

النفذ الادبي في الفن الرابع الهجري

رسالة قدمت الى دائرة الدروس العربية في كلية العلوم

والاداب بجامعة بيروت الاميركية لنيل شهادة

استاذ في العلوم

بنظم

محمد حبيب الحلوى

الطبي

بيروت في شباط سنة ١٩٤٢

المقدمة

عرف القرن الرابع الهجري طائفة كبيرة من النقاد الادبي جدير بهذا الفن الجميل ان يباهي بهم في عصورهم المختلفة ، لما اوتوه من سلامة الذوق والتساع الاتق ، وصق الفكرة ، وحسن التقظيم وجمال العرض . فقد بلغ الشعر والنثر في العصر العباسي نهاية ما وصل اليه هذان الفنان الى نبيل النهضة الحديثة ، بما حدث لهما من التجديد في الروح والمعنى والاسلوب ، وما تلاقى في سائهما من الكواكب اللامعة ، كاهن المفتح والجاحظ واهن هباد واهي نواس والبحترى واهي تمام والمتنبى وغيرهم من فحول البيان . فكان من الطبيعي ان يرافق هذا النشاط الادبي حركة نقدية مماثلة تتناول مذاهب الشعراء المتباينة ومشاكل الادب الجديدة ، وان يعرف العصر الرابع اكبر النقاد كما عرف اكبر الشعراء والكتاب ، فاشتهر منهم صاحب نقد الشعر ، والصولى والعسكرى والامدى والجرجاني والثعالبي والباقلاني وحملت كتب الادباء بالدراسات المستفيضة في علم البلاغة وفلسفة الادب وخلفوا لنا من التعانيف النقدية ما لا يكاد يحصى كثرة ، والذي وصلنا منها هائل باسنى النظرات التي وصل اليها النقد الادبي عند العرب . فاذا نحن درسنا النقد في العلة الرابعة للهجرة فانما ندرس هذا الفن ممثلا بارئى الادباء الذين خاضوا فيه واعمق المؤلفات التي وضعت له . وليس في نقاد العصر الحاضر من انرد لهذا الموضوع رسالة خاصة تستولي اهم بحوثه وتميز الاتجاهات الكبرى فيه . ولكن منهم من ألم بالآراء النقدية لذلك القرن في جملة ما ألم من الموضوعات ، او وقف عندها وثقة نصيرة لا تليها حظها من الدقة والتوسع . ثم ان لهذه الرسالة اتجاهها خاصا يخالف اتجاه هذه البحوث التي وضعها المعاصرون عن النقد الحديث الادبي عند العرب . ذلك بان شخصية هؤلاء الادباء تكاد تطفئ على شخصية النقاد القدماء . وهم يتناولون النقد الادبي من وجهة نظرهم اكثر مما يتناولونه من وجهة نظر الاسلاف . اما نحن فنقد حال الاسلوب العلمي بيننا وبين هذا الاتجاه ، ولم نبح لانفسنا ان

ندلي بآرائنا الخاصة او نتجاوز البحث الى الآراء النقدية التي لم تخطر على اذهان النقاد في ذلك العصر ، واكتفينا بآراء العصر الذي حددته لنا الدائرة العربية وتركنا المجال لانكار النقاد وتفيدنا ما امكن بخلافه بتعابيرهم ومنايبهم ورتبناها وشرحناها واستنتجنا الاتجاهات الرئيسية فيها ، فلهذه الرسالة اذا غاية تاريخية مع الغاية الادبية . وغايتها التاريخية ظاهرة كذلك في اننا لم نغفل البحث على المعايير النقدية بل ضمنا كل ما يمكن ان يقال عن الحركة النقدية ، نحللنا مصادرها ، وتكلمنا عن اساليب النقاد ، ونزاهتهم ، ومهمة النقد في نظرهم ، وبيننا الامواج الاجتماعية والادبية التي وجهتهم وجهاتهم المختلفة .

وند اخترنا لهذه الرسالة ان تدور حول الموضوعات لا حول الكتب الهامة والاشخاص وذلك لسببين : احدهما لفتح لنا دراسة الآراء النقدية في جميع الكتب الادبية لذلك العصر ، سواء في ذلك كتب النقد الخالص والمؤلفات الادبية الاخرى . والثاني ، لتتجنب التكرار ، لما بين الآراء والمواضيع في هذه الكتب من تشابه وتوافق لا بد منها لان العصر واحد والمشاكل متشابهة .

واحب ان اغتني الفرصة لاشكر الرعاية التي غمرني بها رئيس الدائرة العربية استاذي انيس المقدسي ، وزميله الاستاذ جبرائيل جهور ، وسائر الاساتذة الافاضل الذين تلقيت عنهم من العلوم ما اهلني لكتابة هذه الرسالة .

حسيب الحلوي

جامعة بيروت الاميركية ، في ٣٠ كانون الثاني ١٩٤٢ .

الباب الاول

"الجسد الادبي في القرن الرابع الهجري"

بلغت الفتح الاسلامية الصى غاياتها في العهد الاموي ، وبذل العرب نهاية جهودهم وحيويتهم في ضم السالك المجاورة اليهم ، ونشروا فيها مبادئ شريعتهم ونقلوا اليها لغتهم ووجدوا ادارتها ومزجوا بين عناصرها وكونوا منها مملكة اسلامية عربية متناكسة الاجزاء ، نوية الشكبة ، مرهوبة الباس ، تمتد رقعتها من البحر المحيط الاطلسي غربا الى ما وراء حدود الهند والتركستان شرقا ، ومن المحيط الهندي جنوبا الى بلاد القوقاز شمالا (١) فلما قام بنو العباس بثورتهم الكبرى على ابناء امية وقتلوا عرشهم ، واستعانوا عليهم بجيوش خراسان العاصبة ، وورثوا عنهم هذه البلاد الواسعة ، ولم يفلت من سيطرتهم الا امويو الاندلس ، واسسوا خلافتهم في بغداد على انقاض الخلافة السابقة ، وكان هذا الانقلاب الذي ازال من بني امية في الشام وربع ابناء العباس على اريكة الحكم في العراق ، اشارة الى انشاء امبراطورية اسلامية تخالف في مبادئها واساسها امبراطورية الامويين العربية المنقرضة (٢)

كان الملوك العباسيون الاول يتمتعون بسلطة مطلقة على حياة رعاياهم واملاكهم ولا يحد من نفوذهم غير ضمايرهم وما تفتضه مصالحهم . ادخلوا الى بلاطهم المراسيم والعمادات الملائمة الفارسية وطشوا في تصورهم عيشة الملوك الفرس قبلهم في هيبتهم واتساع نفوذهم .

(١) دي بوري :

بيد ان الدولة العباسية ، على صلابه شوكتها وقوة حكمتها ، لم تستطع ان تخالف
منن الطبيعة المحتمة . ولم تستطع ان تدفع عنها عوامل الانحلال والضعف الا زمنا يسيرا .
بدأ ذلك والدولة في غاية عزها وازدهارها وعلى رأسها مفخرة سلاطين الاسلام ، الخليفة
العامون فانشأ قائده وواليه على خراسان : طاهر بن الحسين دولة مستقلة في ولايته
واستغل اولاده بحكمها ولم يتركوا للخليفة في بغداد غير السلطة الاسمية ، ولم يعترفوا له
الا بالتبعية الظاهرية ^(١) . ثم كانت خلافة المعتصم بالله ، ناعاط نفسه بالجنود الاتراك ^(٢)
وسار بالدولة من حيث لا يشعر ولا يريد . خطوة واسعة نحو الانحطاط ، فاضحت الخلافة
العوية بيد الامراء والفواد والمتنفذين واضحي تناهب الخلافة على العرش سريعا كتنابح
المنازعات ، وقامت الدويلات الصغيرة في ارجاء المملكة تحت سلطة الامراء وملوك الطوائف ،
تستبد بالامور ، ولا ترتبط بالخلافة الا بالاهن الروابط الاسمية والظاهرية . ^(٣)
فلما جاء القرن الرابع الهجري كانت المملكة العباسية تمر باحس ايامها واكثرها
فلاقل واضطرابات . فقد ضعفت شوكة الاسلام ، وظهر الهم على المسلمين ، ونسدت الحج ،
وانقطع السبيل ، ونسدت الطرق ، وانفرد كل رئيس وتغلب على البلاد التي هو فيها ^(٤) .
وانتهى عمل هؤلاء الرؤساء * بحمل ملوك الطوائف بعد مضي الاسكندر ^(٥) .

لم يبق للخليفة اذن غير نفوذ الروحي ، كانت بغداد والبصرة سنة ثلاثمائة واربعمئتين لابن رائق وكانت خوزستان في يد البربري ، وبارس في يد عماد الدولة بن بويه وكرمان في يد ابي علي محمد بن الياس ، والري واصبهان والجهل من يد ركن الدولة بن بويه وبدوشمكيراخي مرداويج يمتنازعا عليها ، وخراسان وما وراء النهر في يد نصر بن احمد

(٢) راجع الطبرى طبعه اوربا، المجلد ٢ الجزء ١٠ ص ١٠٣٩، ١٠٦٣-١٠٦٤، ١٠٦٥، ١٠٦٦، ١٠٦٧، ١٠٦٨، ١٠٦٩، ١٠٧٠، ١٠٧١، ١٠٧٢، ١٠٧٣، ١٠٧٤، ١٠٧٥، ١٠٧٦، ١٠٧٧، ١٠٧٨، ١٠٧٩، ١٠٨٠، ١٠٨١، ١٠٨٢، ١٠٨٣، ١٠٨٤، ١٠٨٥، ١٠٨٦، ١٠٨٧، ١٠٨٨، ١٠٨٩، ١٠٩٠، ١٠٩١، ١٠٩٢، ١٠٩٣، ١٠٩٤، ١٠٩٥، ١٠٩٦، ١٠٩٧، ١٠٩٨، ١٠٩٩، ١١٠٠، ١١٠١، ١١٠٢، ١١٠٣، ١١٠٤، ١١٠٥، ١١٠٦، ١١٠٧، ١١٠٨، ١١٠٩، ١١١٠، ١١١١، ١١١٢، ١١١٣، ١١١٤، ١١١٥، ١١١٦، ١١١٧، ١١١٨، ١١١٩، ١١٢٠، ١١٢١، ١١٢٢، ١١٢٣، ١١٢٤، ١١٢٥، ١١٢٦، ١١٢٧، ١١٢٨، ١١٢٩، ١١٣٠، ١١٣١، ١١٣٢، ١١٣٣، ١١٣٤، ١١٣٥، ١١٣٦، ١١٣٧، ١١٣٨، ١١٣٩، ١١٤٠، ١١٤١، ١١٤٢، ١١٤٣، ١١٤٤، ١١٤٥، ١١٤٦، ١١٤٧، ١١٤٨، ١١٤٩، ١١٥٠، ١١٥١، ١١٥٢، ١١٥٣، ١١٥٤، ١١٥٥، ١١٥٦، ١١٥٧، ١١٥٨، ١١٥٩، ١١٦٠، ١١٦١، ١١٦٢، ١١٦٣، ١١٦٤، ١١٦٥، ١١٦٦، ١١٦٧، ١١٦٨، ١١٦٩، ١١٧٠، ١١٧١، ١١٧٢، ١١٧٣، ١١٧٤، ١١٧٥، ١١٧٦، ١١٧٧، ١١٧٨، ١١٧٩، ١١٨٠، ١١٨١، ١١٨٢، ١١٨٣، ١١٨٤، ١١٨٥، ١١٨٦، ١١٨٧، ١١٨٨، ١١٨٩، ١١٩٠، ١١٩١، ١١٩٢، ١١٩٣، ١١٩٤، ١١٩٥، ١١٩٦، ١١٩٧، ١١٩٨، ١١٩٩، ١٢٠٠، ١٢٠١، ١٢٠٢، ١٢٠٣، ١٢٠٤، ١٢٠٥، ١٢٠٦، ١٢٠٧، ١٢٠٨، ١٢٠٩، ١٢١٠، ١٢١١، ١٢١٢، ١٢١٣، ١٢١٤، ١٢١٥، ١٢١٦، ١٢١٧، ١٢١٨، ١٢١٩، ١٢٢٠، ١٢٢١، ١٢٢٢، ١٢٢٣، ١٢٢٤، ١٢٢٥، ١٢٢٦، ١٢٢٧، ١٢٢٨، ١٢٢٩، ١٢٣٠، ١٢٣١، ١٢٣٢، ١٢٣٣، ١٢٣٤، ١٢٣٥، ١٢٣٦، ١٢٣٧، ١٢٣٨، ١٢٣٩، ١٢٤٠، ١٢٤١، ١٢٤٢، ١٢٤٣، ١٢٤٤، ١٢٤٥، ١٢٤٦، ١٢٤٧، ١٢٤٨، ١٢٤٩، ١٢٥٠، ١٢٥١، ١٢٥٢، ١٢٥٣، ١٢٥٤، ١٢٥٥، ١٢٥٦، ١٢٥٧، ١٢٥٨، ١٢٥٩، ١٢٦٠، ١٢٦١، ١٢٦٢، ١٢٦٣، ١٢٦٤، ١٢٦٥، ١٢٦٦، ١٢٦٧، ١٢٦٨، ١٢٦٩، ١٢٧٠، ١٢٧١، ١٢٧٢، ١٢٧٣، ١٢٧٤، ١٢٧٥، ١٢٧٦، ١٢٧٧، ١٢٧٨، ١٢٧٩، ١٢٨٠، ١٢٨١، ١٢٨٢، ١٢٨٣، ١٢٨٤، ١٢٨٥، ١٢٨٦، ١٢٨٧، ١٢٨٨، ١٢٨٩، ١٢٩٠، ١٢٩١، ١٢٩٢، ١٢٩٣، ١٢٩٤، ١٢٩٥، ١٢٩٦، ١٢٩٧، ١٢٩٨، ١٢٩٩، ١٣٠٠، ١٣٠١، ١٣٠٢، ١٣٠٣، ١٣٠٤، ١٣٠٥، ١٣٠٦، ١٣٠٧، ١٣٠٨، ١٣٠٩، ١٣١٠، ١٣١١، ١٣١٢، ١٣١٣، ١٣١٤، ١٣١٥، ١٣١٦، ١٣١٧، ١٣١٨، ١٣١٩، ١٣٢٠، ١٣٢١، ١٣٢٢، ١٣٢٣، ١٣٢٤، ١٣٢٥، ١٣٢٦، ١٣٢٧، ١٣٢٨، ١٣٢٩، ١٣٣٠، ١٣٣١، ١٣٣٢، ١٣٣٣، ١٣٣٤، ١٣٣٥، ١٣٣٦، ١٣٣٧، ١٣٣٨، ١٣٣٩، ١٣٤٠، ١٣٤١، ١٣٤٢، ١٣٤٣، ١٣٤٤، ١٣٤٥، ١٣٤٦، ١٣٤٧، ١٣٤٨، ١٣٤٩، ١٣٥٠، ١٣٥١، ١٣٥٢، ١٣٥٣، ١٣٥٤، ١٣٥٥، ١٣٥٦، ١٣٥٧، ١٣٥٨، ١٣٥٩، ١٣٦٠، ١٣٦١، ١٣٦٢، ١٣٦٣، ١٣٦٤، ١٣٦٥، ١٣٦٦، ١٣٦٧، ١٣٦٨، ١٣٦٩، ١٣٧٠، ١٣٧١، ١٣٧٢، ١٣٧٣، ١٣٧٤، ١٣٧٥، ١٣٧٦، ١٣٧٧، ١٣٧٨، ١٣٧٩، ١٣٨٠، ١٣٨١، ١٣٨٢، ١٣٨٣، ١٣٨٤، ١٣٨٥، ١٣٨٦، ١٣٨٧، ١٣٨٨، ١٣٨٩، ١٣٩٠، ١٣٩١، ١٣٩٢، ١٣٩٣، ١٣٩٤، ١٣٩٥، ١٣٩٦، ١٣٩٧، ١٣٩٨، ١٣٩٩، ١٤٠٠، ١٤٠١، ١٤٠٢، ١٤٠٣، ١٤٠٤، ١٤٠٥، ١٤٠٦، ١٤٠٧، ١٤٠٨، ١٤٠٩، ١٤١٠، ١٤١١، ١٤١٢، ١٤١٣، ١٤١٤، ١٤١٥، ١٤١٦، ١٤١٧، ١٤١٨، ١٤١٩، ١٤٢٠، ١٤٢١، ١٤٢٢، ١٤٢٣، ١٤٢٤، ١٤٢٥، ١٤٢٦، ١٤٢٧، ١٤٢٨، ١٤٢٩، ١٤٣٠، ١٤٣١، ١٤٣٢، ١٤٣٣، ١٤٣٤، ١٤٣٥، ١٤٣٦، ١٤٣٧، ١٤٣٨، ١٤٣٩، ١٤٤٠، ١٤٤١، ١٤٤٢، ١٤٤٣، ١٤٤٤، ١٤٤٥، ١٤٤٦، ١٤٤٧، ١٤٤٨، ١٤٤٩، ١٤٥٠، ١٤٥١، ١٤٥٢، ١٤٥٣، ١٤٥٤، ١٤٥٥، ١٤٥٦، ١٤٥٧، ١٤٥٨، ١٤٥٩، ١٤٦٠، ١٤٦١، ١٤٦٢، ١٤٦٣، ١٤٦٤، ١٤٦٥، ١٤٦٦، ١٤٦٧، ١٤٦

الساماني ، وطبرستان وجرجان في يد الديلم ، والحوصل وديار بكر ومضروبيعه في يد بني حمدان ، والبحرين واليمامة في يد ابي طاهر الفرمطي ، ومصر والشام في يد محمد بن طنج ، والمغرب والريف في يد ابي القاسم امير المؤمنين المهدي ^(١) القاطمي ^(٢) ، وكانت الاندلس كما ذكرنا في يد الامويين ، وكان عليها الامير عبد الرحمان بن محمد الملقب بالناصر ^(٣)

السلطنة في بغداد

اعتاد الباحثون ان ينقسم العصر العباسي الى اربعة ادوار بحسب العناصر التي كان لها التأثير الاكبر في شئون الدولة المركزية في بغداد . وهي :

الدور الاول : او دور النفوذ الفارسي : يمتد من بدء الدولة ١٣٢ هـ الى اول حكم المتوكل على اللع ٢٣٢ هـ . بلغت فيه الخلافة ازهى ايام رخائها وعظمتها ، وكان اثر الفرس فيه كبيرا في الادارة والثقافة والحياة الاجتماعية .

الدور الثاني : دور النفوذ التركي ، يمتد من خلافة المتوكل ٢٣٢ هـ الى استقرار الدولة البويهية في بغداد سنة ٣٣٤ هـ . وفيه نرى الجنود الاتراك الذين اعتمد عليهم الخليفة المعتمد بالله من توطيد سلطته ، يستبدون بالامر ويتصرفون في الخلافة كما يشاؤون . ^(٤)

الدور الثالث : دور النفوذ البويهى ، ويمتد من اواخر ايام الخلافة المستكنى سنة

(٢) آدم هندي ١ : ص ١

(٣) الكامل لابن الاثير ١ : ٢٤٩ (٣) الطامل لدره الاثير ٨ : ٤٤٠

(٤) زيدان : تاريخ ادب اللغة العربية ج ٢ ص ٩ ثم امراء الشعر العربي في العصر العباسي ص ١

(٥) تجارب الام لسكوته : ١٥ ص ٨٤ - ٨٢ ، وامراء الشعر : ١ - ٢ وتاريخ ادب اللغة

لزيدان ١٢ : ٩ .

٣٣٢ (١) الى دخول السلاجقة بغداد سنة ٤٤٧ هـ .

الدور الرابع : دور النفوذ السلجوقي ، يمتد من دخول السلاجقة بغداد ، الى

سقوطها في ايدي المغول سنة ٦٥٦ هـ ، فنهبوا البلد وقتلوا اخر الخلفاء وازالوا

الخلافة العباسية من الوجود . (٢)

.....

ثالث الاول من القرن الرابع الهجري الذي تنحصر فيه مباحث هذه الرسالة ، كان

تحت النفوذ التركي ، وسائر هذا القرن كان تحت نفوذ آل بويه . وخلفاء هذه الحقبة ثمانية

خمسة منهم في الدور التركي ، وثلاثة في الدور البويهي وقد حكم هؤلاء الخلفاء بحسب السنين

التالية :

(١) الخليفة المقتدر : ٢٩٥ هـ - ٣٢٠ هـ (٣) ٢- الخليفة الناصر ٣٢٠-٣٢٢ هـ (٤)

(٣) الخليفة الرضا : ٣٢٢ - ٣٢٩ هـ (٥) ٤- الخليفة المنصور ٣٢٩-٣٣٢ هـ (٦)

(٥) الخليفة المستنصر : ٣٣٢-٣٣٤ هـ (٧) ٦- الخليفة المطيع ٣٣٤-٣٦٣ هـ (٨)

(٧) الخليفة الطاهر : ٣٦٣ - ٣٨١ هـ (٩) ٨- الخليفة الناصر ٣٨١-٣٩٢ هـ (٩)

(١) تجارب الامم لسكوته : ص ٨٤-٨٧ ، وامراء الشعر : ١-٢ وتاريخ اداب اللغة لزيدان

١٠٢ (٢) وامراء الشعر ٢ (٣) السعدي : ٧ : ٢٧٤ ثم ٨ : ٢٩٧ والعقد الفريد ٣ : ٥٨

ثم ابن الاثير ٨ : ١٧٨ (٤) السعدي ٨ : ٢٨٦ وابن الاثير ٨ : ١٧٨ ، ١٨٠ العقد الفريد ٣

٥٩ (٥) العقد نفس الصفحة السعدي ٨ : ٣٠٨-٣٠٩ وابن الاثير ٨ : ٢٧١-٢٧٢ (٦) العقد نفس

الصفحة ٢٨٧ ثم ابن الاثير ٨ : ٢٧٥ ، ٢٣٨ ثم السعدي ٨ : ٣٤٤-٣٤٥ (٧) العقد : نفس الصفحة

وابن الاثير ٨ : ٣١٤ ، ٢٣٨ والسعدي ٨ : ٢٧٦ (٨) العقد نفس الصفحة ابن الاثير ٨ : ٢٣٩ ،

٤٦٨ السعدي ٨ : ٢٧٦ ، ٤١٠ (٩) ابن الاثير ٨ : ٤٦٨ والجزء التاسع ٥٥-٥٦ وذي تجارب

الام ص ٢٠-٢٠٢ (٩) ذي تجارب الام ٢٠١-٢٠٢ ثم ابن الاثير ٩ : ٥٦ ، ٢٨٤

٥
"تواريخ هؤلاء الخلفاء في الموسوعة الإسلامية مقالة : Abbasids

الخلافة في العهد التركي من القرن الرابع :

كان هؤلاء الخلفاء من انحس الناس حظا واسواهم مصيرا يعزلون ويحبسون لا
ويحبون ويقتلون ولا يكون لهم من السلطة الا اقلها . وذلك في فترات قصيرة جدا لاتبث
بعدها ان تخرج من ايديهم ، بعد ان تكلمهم غالي الاثنان . ونخص بالذكر من كان منهم
في العهد التركي ، كالمفتدر والقاهر والمكتفي ، فقد خلع الاول مرتين وقتل في الثالثة في الوعدة
التي كانت بينه وبين مؤنس الخادم ^(١) ، ولم تطل خلافة القاهر سنتين اثنتين ، حتى خلع وسلط
عيناه ^(٢) ، وخلع المكتفي بعد اربع سنين من خلافته وسمل ^(٣) .

وكان القائمون على الامور في هذا العهد يتوخون في انتقال الخليفة ، انصر
الامراء يدا وانلهم خطرا ، واستشار الوزير العباس بن الحسن كاتبه ابن الفرات - هو الوزير ابن
الفرات فيما بعد كما سنرى - فيمن يولي له الخلافة بعد المكتفي ، فاشار عليه بجعفر بن المعتز
لانه ولد لا يستطيع ان يباشر الامور بنفسه ^(٤) فكان عمره لما ولي الخلافة ثلاث عشرة سنة ^(٥)
وظهر في امام الخليفة المفتدر نفوذ الخدم الى جانب نفوذ النواد الاتراك ،
ومن رؤسائهم : مؤنس الخادم ومحمد بن ياقوت ، وقد استبد هؤلاء الخدم بامور الدولة لا
استبداد الاتراك بها وزادوا الشعب واضافوا الى مشاكل الدولة مشاكل اخرى سببت ضعفها ،
وكان تناسلهم من اهم الاسباب في خلع المفتدر وقتله كما بينا ^(٦) . وكانت سلطة مؤنس تزداد

(١) المسعودي ٧ : ٢٧٤ (٢) المسعودي ٨ : ٢٨٦ (٣) مروج الذهب للمسعودي ٨ / ٣٤٤

٣٤٥ - (٤) ابن الاثير : ٨ ص ٧ (٥) نفس المصدر : ص ٨ والمسعودي ٧ : ٢٧٤

(٦) ابن الاثير : ٨ : ١٦٥ .

سلطة الخليفة وتفرض عليه طاعتها في كثير من الاحوال ، وقد صدف ان المفتد اراد ان يستوزر الحسين بن الناسم ، فلما سمع بذلك مؤنس عارض واجبر الخليفة على ان يستوزر ابا الناسم الكلوز انى لفعل (١) .

ولم يكن الوزرا في العهد التركي احسن خطا من الخلفاء ، فقد كان هؤلاء على اختلاف دائم مع وزراءهم ، وكان الوزرا في حكم سمو مناصبهم واستلامهم امور الناس اكثر تعرضا للفتنة والاذى من غيرهم . وقد الف ابو الحسن الهلال بن ابراهيم الصابي المتولي ٤٤٨ هـ (٢) كتابه : تاريخ الوزرا وضمنه ذكر كثير من هذه الناسم ، انرا مثلا عن ابي الحسن بن الفرات ، وهو اكبر وزير لاول خليفه في هذا الدور ، فقد ولاه المفتد الوزارة ثلاث دعات (٣) وكان في كل مرة يفدقه عليه العطايا ومنحه الاعطاع الواسعة والفصور العامة ويخصه بمشاهدة لا تخطر بالبال : خمسة الاف دينار ، ويخص ولديه بمشاهدة عظيمة كذلك (٤) ، فاذا تمكن الوزير في دست الحكم جمع حوله الاهوان واغدق عليهم الاموال ، وسمى في تنميه امواله فاعجز هزانه الدولة واثار عليه الجنود واصحاب الحقوق ، فكان المفتد يحزله ويصادر امواله وقد اريت على مات الالوف من الدنانير ، بل انها بلغت في اخر مرة ، على ما يذكره ابن الاثير الف الف دينار (٥) .

ويظهر ان الذي كان يختلوه المفتد بعد عزل ابن الفرات لم يكن احسن منه علاقة بالخليفة ولا اندر على تسيير الامور ولا اف في اموال الخزانه ، فكان يحير الى ما صار اليه سلفه ، فيكف المفتد ويدوينيله ما اتال الوزير قبله ، ثم يعيد ابن الفرات اليه ، ويبالغ

(١) ابن الاثير ١٨ : ١٦٦ (٢) كتاب تاريخ الوزرا ص : ٣

(٣) كتاب تاريخ الوزرا ٢٢ (٤) نفس المصدر : ٢٣

(٥) نفس المصدر : ٢٨ ، ٢٩ وكتاب الكامل لابن الاثير ١٨ : ١١٠

في اكرامه والانعام عليه (١) ، ثم يحود ليعزله ويحبسه ويغذيه ويهيئه ، ثم يحود ليستوزره
وسبع عليه وغيره ، وهكذا ثلاث مرات تتقلب فيها هذه الكوميديا اللجيبة الى مأساة محزنة تنضي
على نفوذ هذا الوزير وقنزل به اشد الجزاء (٢) .

ويزعم الصابي* ان ابن الفرات تحدث ذات يوم الى جلسائه بما وصل الى الخليفة
من ماله فقال تأملت ما صار الى السلطان من مالي فوجدته عشرة الاف دينار ، وما اخذت من
الحسين بن محمد عبد الله الجوهرى فكان مثل ذلك (٣) وهو حديث نتيين من خلاله
اطماع الوزراء والقادة وما كانت تجره عليهم وعلى غيرهم من الولايات .

كل هذه الاضطرابات في مركز الخلافة مضاة الى ما يحدثه استقلال الولايات من
ضعف في جسم المملكة ، ساعد على قيام الثورات الداخلية وسهل لاعداء المملكة في الخارج
مهاجمتها وايضا الاذى باهليها : نثار الليث بن مارس (٤) والاطروش في طبرستان (٥) وابن
الساج في الري (٦) وتتابعت ثورات القرامطة (٧) ، واشتد خطرهم واصبحوا سنة ٣١٧ هـ
يمهدون طريق الحج ، ودخلوا مكة وانتزموا الحجر الاسود واخذوه معهم (٨) ورفضوا طلب
الخليفة بارجاعه (٩) . واشتد النزاع بين جيوش المهدي وجيوش العباسيين على مصر (١٠) ،
وتتابعت هجمات الرمم (١١) ، وظلت المملكة تسير من سي* الى اسوأ حتى نوى نفوذ البويهيين

(١) كتاب تاريخ الوزراء : ٣٠-٣١ (٢) نفس المصدر : ٥٩ (٣) نفس المصدر : ٢٢٣ (٤) ابن

الاثير : ٨ ، ٤٣ (٥) ابن الاثير : ٨ ، ٦٠ (٦) نفس المصدر : ١٠٥ (٧) نفس المصدر : ١٠٥-١١٤

(٨) نفس المصدر : ١٥٣ (٩) نفس المصدر : ٢٢٠ .

(١٠) نفس المصدر : ٦٣ ، ٨٢

(١١) نفس المصدر : ١٧٣ .

في نارس وناضت فوتهم الى العراق ، ودخل اميرهم ابو الحسن احمد بن بويه بغداد سنة ٣٢٤ هـ (١) .

البويهيون في الحكم :

دخل الامير ابو الحسن احمد بن بويه بغداد سنة ٣٢٤ هـ ، وحظي بالحضور في مجلس الخليفة المستكفي بالله ، وبايعه وامن رجال حاشيته ، فالبسه الخليفة الخلع وللبه بهمز الدولة ، ولقب اخاه الاكبر : علي بن بويه بعماد الدولة ، ولقب اخاه الاوسط : الحسن بن بويه بركن الدولة . حكم معز الدولة في العراق وركن الدولة في الراي (٢) وعماد الدولة في نارس (٣) ، فاستمرت الاحوال السياسية نوعا وظهر هذا الاستقرار في امور ثلاثة : اتفاق الامراء البويهيين - طول مدة الخلفاء - استعمال اكابر الوزراء :

(١) كان اتفاق هؤلاء الامراء البويهيين في بادئ الامر سر نجاحهم في توسيع نفوذهم وفرض سلطتهم على سكان البلاد ، كان صغيرهم ينفاد الى كبيرهم ، وكبيرهم يعطف على صغيرهم ويناصره ويخلص له النصيح :

"كان معز الدولة اذا لاقى اخاه عماد الدولة يقبل الارضيين يديه ويثقب قائما عنده فينصره بالجلوس فلا يفعل" (٤) احتراماً لآخيه . ولما مات عماد الدولة ضم ركن الدولة بلاد الرافدين اليه واجاب اخوه معز الدولة امره لئلا يهجم عليه على طرد القائد منصور بن قراشك منها (٥) .

(١) مسكويه ٨٤ - ٨٥ (٢) مسكويه ج ٦ ص ٨٥ - وادم منزع ١ : ص ٢١ وتاريخ الادب

العربي للزيات : ص ١٢٢ ، ١٢٣ (٣) كتاب العيون ص ١٤٧ ف ب من ادم منزع ص ٢٧ - ٢٨

لعدم وجود المصدر الاولي بايدينا

(٤) ابن الاثير ٨ : ٣٥٢ - (٥) نفس المصدر ص ٣٦٥ - ٣٦٦

وكان معز الدولة حين ايقن بالثلف قد وصى ابنه بختيار بطاعة ركن الدولة واستشارته في كل ما يعرض له من مهم ووطاعة ابن ^{محمد} ~~محمد~~ عضد الدولة لانه اسن منه وانتم بالسياسة . (١)

(٢) واستقر خلفاء هذا العهد في مناصبهم مدة طويلة تشعربحسن علاقاتهم مع المتنفذين ، وقد رأينا انه لم يتتابع على هذا المنصب ما بين سنتي ٣٣٤ - ٤٢٢ غير ثلاثة خلفاء وهي مدة ليست بالقصيرة كما ترى . ولعل سبب ذلك يعود الى اكتفاء الخلفاء بالسلطة الروحية وانفلالهم من التدخل في الامور الدنيوية ، ولما تمر في كتب التاريخ بعمل سياسي خطير لهؤلاء الخلفاء باستثناء الخليفة الطائع فقد انحاز الى عضد الدولة في نزاعة لعز الدولة (٢) وقد اتم ^{الغياث} البويهيون للخليفة ثلثة حسنة (٣) ، واظهروا له الخضوع الاسى ، ومن دلائل ماكانوا يتظاهرون به من اجلال الخلافة ان احدهم كان اذا حضر مجلس الخليفة يلتم يده ويقبل الارض امامه (٤) ، ويقدم له الهدايا الثمينة والهبات الوافرة . (٥)

(٣) واستعمل البويهيون على الوزارة رجالا اكفاء ، واستوزر معز الدولة ابا محمد المهلبى المشهور بمناصرتة للعلم والادب (٦) ، وكان يجمع الى ذلك من ادوات الرئاسة مائل ان يجتمع في غيره (٧) . واستوزر ركن الدولة ابا الفضل بن الحميد الذى لم يكن له شبهة في ايمانه بالنضال وحسن التصرف ، كان من اكتب اهل عصره واعلمهم واحفظهم لدواوين العرب (٨) ، واعلمهم بفنون السياسة والحرب (٩) ، وكان الى ذلك كله محيا للعلماء رؤوا بالروية (١٠) . واستوزر من بعده ابنه ابا الفتح ابن الحميد وكان عالما شجاعا ادبيا (١١) .

(١) مسكويه ٦ : ٢٣٤ (٤) مسكويه ٦ : ٢٤٣ (٥) مسكويه ٦ : ٨٧ (٦) مسكويه ٥ : ٨٦

(٥) مسكويه ٥ : ٣٤٤ (٦) مسكويه ٥ : ١٢٥ (٧) مسكويه ٥ : ١٢٤ (٨) مسكويه ٦ : ٢٧٥

(٩) مسكويه ٦ : ٢٧٩ (١٠) مسكويه ٦ : ٢٨١ (١١) مسكويه ٦ : ٣٠١

وكان الاديب المشهور صاحب بن عباد ^(١) وزيرا للخزائن وكان فخر الدولة من اشد الناس اعجابا به وانتفاعا من مواهبه . ^(٢)

اثر اكابر الامراء في الادب :

ولا نشك في ان اختصار هؤلاء الوزراء الادباء كان يعود الى تمكن الذوق الادبي في نفوس الملوك والامراء كان من امراء ذلك الزمان من يطرب للشعر وينظمه ويحتفل بالشعراء والادباء ويوسع عليهم من نفعه . كان الخليفة الراضي حسن الذاكرة باخبار الناس واما من مضى لاهل العلم والادب والمعرفة ، نياضا عليهم من جوده ، ولم يكن ينصرف عند احد من ندمائه في كل يوم الا بصلة او خلع حسنه ^(٣) ، وكان ادبها شاعرا ، ولم ينصرفني نصائده عن ابن المعتز اذا لم يكن يضاهاه في بعضها ^(٤) ، وكان كثير من امراء آل بويه يجيد نظم الشعر وينصرف في تكمينه ، وكان عضد الدولة على ما مكن له في الارض وادني من وسعة السلطان ، يتفرغ للادب ، ويتشاغل بالكتب ، ويؤثر مجالسهم مجالسة الادباء على مناداة الامراء ويقول شعرا كثيرا ولا يصعب عليه الارتجال والاجادة ^(٥) ، امر احد الشعراء ذات يوم ان يصف بهيمة ^(٦) عرضت امامه فارتج عليه فارتجل عضد الدولة .

بهيمة تعجز عن وصلها بامدعي الاوصاف بالنور
كانها لي الجام مجلوة لا لي في ماء كافور ^(٧)

(١) مسكويه ١ : ٣٠١ راجع عنه في سيرة الدهر ٢ : ٨١

(٢) ذيل تجارب الامم : ٢٦١ (٣) المسعودي ٨ : ٢٢٨ - ٢٣١ (٤) المسعودي ٨ : ٢٠٩ -

٢١٠ (٥) سيرة الدهر ٢ : ١ - ٢ البسيط : الارزيطنج باللبن والسمن : معرب هندیته

بهيمتا : عن محيط المحيط . (٧) الدهر ٢ : ٣

ولمزالدولة بختيار بن معزالدولة في وصف مجلس شرب :

اشرب على نظر السماء الناظر
في صحن دجلة وأقصى زجر الزاجر
مشمولة أهدى العزاج بكاسها
رتواً نثيراً بين نظم جواهر
من كف أفيد يستببك اذا مشى
بدلال معشوق ونخوة شاطر
والماء ما بين الفصون فصلق
مثل النبان رنن حول الزامر

وكان تاج الدولة بن مضد الدولة اشعر آل بهبه واكرمهم. ذكر له الثعالبي قوله :

سلام على طيف الم نسلما
طأدى شعاع الشمس لما تكلمنا
هدا لهدا من وجهه البدر طالما
لدى الروض يستعجلي نضيبها منعنا
وند ارسلت أهدى العذارى بهده
عذارا من الكانور والسك المسجما
واحسب هاروتاً اطفاف بطرته
لعلهم من سحره لتعلمنا
الم بنا في دامن الليل فانجلي
لما انثنى هنا وودع اضلما (١)

ونولس

انا التاج المرصع في جبين المسالك مالك سهل الصلاح
كتائبنا يلوح النصر منها
تكد مالك الاناق شرونا
برايات تطرق بالنجاح
تسير الي من كل النواحي
حلم المجد بالماء المباح
الا للعرض لي مهنون

وانشد له بدمع الزمان هذين البيتين :

هب الدهر ارضاني واعتب صرته
واعقب بالعسنى من الحبس والاسر
نمن لي بايام الشباب التي مضت
ومن لي بما انفلت في الحبس من همى (٢)

ولم يكن العباسيون واليوهميون وحدهم يعنون بالادب والادباء في ذلك الزمان بل كانت هذه العناية تكاد تشمل بقية الامارات ، وتحذو حذو بغداد والموالك الشريفة وتغاهبها في كثير من الاحيان . في حلب امارة الحمدانيين . وفي راسها سيف الدولة . وحضرته اذ ذاك ملحد الوفود وموسم الادباء ، ويقال انه لم يجتمع بهاب احد من الملوك بعد الخلفاء ما اجتمع بهابه من شيوخ الشعر ونجوم الدهر ، وكان ادبها شامرا محيا لجهد الشعر شديد الاهتزاز لما يمدح به (١) . وكان ابن عمه ابو فراس من اشعر رجال عصره حتى كان صاحب يقول : يدي الشعر بملك ، وختم بملك : يعني امرا القيس وابا فراس (٢) . ولد عند النعماني في بتيمة الدهر ثلاثة ابواب من شعراء بني حمدان وفوادهم واشعارهم ، وهي ترمنا اثر هذه السلالة الكريمة في ادب القرن الرابع وهوائير قيم مبيين (٣) .

وفي مصر كذلك نجد الاسنان كالنور يستندم المتنبهي ويعد بان يولييه ولاية (٤) ، وكان كائنور يرفب في اهل الفضل ويعظمهم (٥) وكانت خاشيته لا تخلو من الكتاب والشعراء (٦) . ويلاحظ الاسنان نيكلسون ان الشعر في العصر العباسي ، باستثناء جزء ضئيل منه ، كان يزدهر كونه تحت رعاية الناصر (٧) ، وهو حكم ينطبق بصورة خاصة على القرن الرابع الهجري ، قال الاسنان المقدسي : ولما تجزأت المملكة الى امارات مستقلة لم يتغير الحال كثيرا على الادباء والعلماء وارباب الفنون ، اذا اصبحت حواضر هذه الامارات تنافس بغداد في الغنى والبهذخ والانفاق على الادب (٨) . وقد شجع وجود هؤلاء الامراء الحركة الادبية وكانوا سببا هاما في

(١) بتيمة الدهر ١ : ص ٩ (٢) نفس المصدر ١ : ٢٢ (٣) راجع الجزء الاول ما بين ٦٥-٦٠
(٤) وفيات الاحيان ج ١ ص ٥٠ : طبعة دار الطباعة المصرية ١٢٧٥ هـ : ثم ص ٦١٤-٦١٧
(٥) نفس المصدر ٦١٤ (٦) نفس المصدر ٦٤٦ ثم : زهر الاداب ج ٣ ص ٢٥-٢٨
(٧) Lit. His. of the Arabs (٨) امراء الشعر : ٢٣

وجود هذه الكثرة من الشعراء الذين نجد ذكرهم في كتاب الهنمية وفيه ، وكان لهم اثر كبير في توجيه الحركة النقدية وجهاتها المختلفة كما سنرى .

على اننا لانحاول ان نغلب الحقائق ونزعم لهذا العصر ما ليس فيه ، وليست غايتنا ان ننسب لامراء هذا العصر كل فضل ولدولاتهم كل هدى ، ولارب ان بلادا عظيمة واسعة كالبلاد الاسلامية في ذلك الزمان ، لاتخلو من ايام نحس وابتاس كما لاتخلو من ايام نال وانبال وقد بينا ما كان على الدور التركى من اضطراب ، ونزول هنا بان الممالك الاسلامية لم تكن دائمة الصلوة في ايام البويهيين ، ولم تخل حالة الخلافة من سوء يعانونه من البويهيين وقد خلع البويهيون خليفتين وهدوا الى اشنع الوسائل في عزلهما (١) ، وكان التماس بين هؤلاء الامراء ، على لثة ، يبلغ احيانا حد العداوة ويحملهم على حرب بعضهم بعضا ، وكان عقد الدولة يقول : الارض اضيقت عرصة من ان تسع ملكين (٢) ، وقد ادى ظموحه الى محاربة جيوش ابن عمه عزالدولة وتنحيه عن اماره بغداد (٣) ، وكان عزالدولة هذا سي السيرة في رعيته ينفذ ايامه في اللهو واللعب ومعاشرة النساء (٤) ، وكان الخلاف دائما في عهد بين الجنود الاتراك وهم انصار السنة ، والجنود الديلم وهم انصار الشيعة (٥) ، وقد جعل بين الفريقين حروب الفت مضجعه وهددت دولته (٦) . وكان الجند في تلك الايام الذي سبب للفوضى الداخلية في البلاد وكانت يد المصلحين تفسر عن تنظيمهم وتوجيههم بما تقتضيه مصالح الدولة (٧) ، وقد ادى ذلك كله الى تحيى موقف البلاد وتراجعها امام اعدائها في الخارج ، وازداد خطر اليرم

(١) راجع مسكويه : ١٦ : ٨٦-٨٧ وذييل تجارب الامم : ٢٠١-٢٠٢ وابن الاثير : ١ : ٥٥-٥٦

(٢) ذييل تجارب الامم : ٤٠ (٣) مسكويه : ١٦ : ٧٤٣ (٤) مسكويه : ٦ : ٢٣٤ (٥) مسكويه : ٦ : ٣٢٨

(٦) مسكويه : ٦ : ٢٨٢ ، ٣٢٦ (٧) مسكويه : ٦ : ٢٨٠ - ٢٨١

حتى انهم اغاروا سنة ٢٦١ هـ على الرها ونواحيها وتجاوزوا ديار بكر حتى بلغوا نصيبين وتركوا السكان في حالة مؤلمة ولم يتصدى لوقف هجماتهم احد . (١)

وعلى الجملة فقد كانت الحالة السياسية في السلطنة ذات وجهين اثنين اثرا في الحركة الادبية في ذلك العصر وطبعها بطابعين مختلفين . فاما الوجه الاول فاسود قائم . وكان اثره على الادب قاهرا في شعر المعينى والمغرب والشريف الرضى والناضى الجرجاني واخرين غيرهم من كبار الشعراء . كان لهؤلاء الشعراء نفوس طماعة الى المجد والخير ، انوفه من الذل والشر وتأنوا بدمع ميولهم الذاتية اولا وظروف حياتهم ثانيا على معرفة عميقة بامراض عصرهم السياسية والاجتماعية ، فطبع ذلك نفوسهم الحساسة بطابع من الالم عميق ، وارسلوا نغاثهم الادبية حارة عميقة عليها رونق واحد من المثالية وتسودها عاطفة متألعة متشابهة ، هؤلاء الشعراء يمكن ان تؤلف منهم مدرسة واحدة تدعوها بالمدرسة المثالية ، ونرى لها ميزات ذاتية مشتركة .

خصائص المدرسة المثالية : - تمتاز هذه المدرسة بالعنايات العامة التالية :

١- قوة الشخصية

٢- عمق التفكير

٣- نشدان المثل الاعلى ٤- النظرة السوداوية الى الحياة

لناخذ نصيدة الشريف الرضى التي مدح بها الخليفة الناصر المنصور النظم من هذه الابيات

منها : عطفنا امير المؤمنين فانا في دوحة العلياء لا نلتقى

ما بيننا يوم الفخار تفاوت ابدا كلانا في المعالي معرق

الا الخلافة ميزتك نائني انا عاقل منها وانت مطوق (٢)

(١) ابن الاثير : ١٨ : ٥٤

(٢) ابن خلكان ٢ ص ٣ .

فماذا نرى فيها ؟ نرى نفساً نبيلة الاحساس عزيزة الكرامة ، نوية الشخصية ، مريضة
 في المعالي ، تايى الا ان تساوى مقامها بمقام الخلافة ، واذا اعرلت بتفاوت بينها وبينه
 فليس التفاوت في مامركم ، او مخرعتيد ، بل في حظ احدهما من الخلافة ، وحرمان الثاني منها
 ويذكر ابن الاثير ان الشريف الرضى كان من جملة جلساء الخليفة الطائع عندما
 جذبه الديلم بامر معز الدولة وانزلوه من سريره واهانوه وعزلوه ، فبادر الشريف بالخروج ونجى
 بنفسه من عبث الديلمة وانشد نولته :

من بعد ما كان رب الملك مهتسماً الى ادنوه في النجوى ودينيني
 امسيت ارحم من قد كنت اغبطه لقد تقارب بين العز والهون
 ومنظر كان بالسرا يضحكني يا ثرب ما عاد بالسرا يبكيني
 هيهات اغتر بالسultan ثانية قد ضل ولاج ابواب السلاطين (١)

ارابت الى هذا البيت الاخير وما فيه من طموح الى المثل الاعلى ، وهو الخلافة ؟
 ارابت كيف كان الخوف يزهد بهذا المنصب السامي ويبعد عن الافتراجه ؟ والنظر الى
 نوله : امسيت ارحم من قد كنت اغبطه ، فماذا تعنى كلمة : اغبطه غير اشتها الخلافة والتطلع
 اليها ؟

وكذلك شعر المتنبى ، فهو يرم عن شخصية كبيرة ، ترسل التاملات شعرا ملونا بلونها
 فاذا هو الطموح المجسم نحو المجد ، باى الوسائل وباى الاثمان جاء :
 وما رفني في مسجد استليده ولكنها في مفخر استجده (٢)
 وما يدلنا على علو نفسه واعتزازه بقدرة انه كان ينشد لعائده في حضرة الملوك وهو
 جالس . ذكر الاثير ان سيف الدولة استشهد المتنبى فعبدته التي اولها :

(١) ابن الاثير ١ : ٥٢

(٢) العرف الطيب < ٤٩

لكل امرئ من دهره ما تعودا ومادات سيف الدولة الطعن فيها لعدا

لناشدها وهو ناعد ، فقال بعض الحاضرين يريد أن يكيد ابا الطيب ، لو انشدها ثانيا لاسمع

لأن أكثر الناس لا يسمعون ، فقال ابا الطيب : اما سمعت اولها : لكل امرئ من دهره ما

تعودا (١) . ومهما قيل في سيره هذا الشاعر الكبير ، فاننا نعتقد بان له مثالا اعلى في

الحياة . وان هذا المثل الاعلى هو المجد النبوي ، وان غايته الاخرى في الحياة لم تكن في

النوع الا ان الاوساط لهذه العاية النبوية التي كان يسموا اليها :

فلا مجد في الدنيا لمن قل ماله ولا مال في الدنيا لمن قل مجده (٢)

وقد كان لاخفاق هذا الشاعر اثر كبير في نضائه ، وانك لتسمع نبضات الالم في

من نشأته واخسر منها ما كان بعد رحيله عن سيف الدولة والتحانه بكانور .

لم يترك الدهر من قلبي ومن كبدي شيئا تقيمه عين ولا جيد

باسانيه اخبرني كؤوسكما ام في كؤوسكما هم وتصيد

اصخرة انا . مالي لا تحركني هذي المدام ولا هذي الاغاريد

اذا اردت كميت اللون صافية وجدتها وحبيب النفس مفلود (٣)

وما هذا الحبيب المفلود الذي لا تلهيه عنه الكميت العافية والاغاريد والندمان ؟

هو المثل الاعلى الذي هام به المتنبي ولم يعمل اليه . (٤)

(١) وفيات الاعيان : ٥٣ (٢) المعروف الطيب ٥٤٨-٥٤٩ (٣) وسند المتنبي يظهر في كثير من

شعره كنوله يمدح كانور : قالوا هجرت اليه العيث ، وملت لهم . الى فيوت يديه والشايب

الى الذي نهب الدولت راحته ولا يمن على اثار موعوب : يتيم الدهر :

وشبهه بالمتنبي طموحا واكثر منه اتزاناً هو القاضي ابو الحسن علي بن عبد العزيز
الجرجاني الشاعر النقاد صاحب كتاب الوساطة بين المتنبي وخصومه . وفي شعره نجد
صورة لشخصية المثاليه المنهضة الانفة ، وهو صاحب النصيدة المشهورة التي مطلعها :
ينولون لي نيك انقباض وانما راوا رجلا من موقف الذل احجما
وصاحب النصيدة المشهورة واولها :

على مهجتي تجني الحوادث والدهر نأما اصطباري فهو مستعصر (١)
ونستطيع ان نتبين من هاتين النصيدتين وغيرهما الصفات الكبر التي ذكرناها
للمدرسة المثاليه . وليكتف بان تذكر له الابيات الثلاثة الآتية ، وهي ترنم هذا الشاعر من
محيطه واعتزاله الناس ذهابا بنفسه عما لا يحسنه ^{رضاه} العالي :

ما تطعمت لذة المعيش حتى صرت للبيت والكتاب جليسا

لبس شيء اعز عندي من العلم لما ابتغي سواء انيسا

أما الذل لي مخالطة الناس من لدنهم وهش عزيزا رئيسا (٢)

ونحن لا شك في ان الجرجاني متأثر في كتاب الوساطة بالمدرسة المثالية الى اوسع مدى
وسنرى ذلك في بحثنا عن النقد ان شاء الله .

ولا نخالنا بحاجة الى التماس الامثلة من شعر الصغرى ، فالصغرى في نظر المعين
شاعر نبيل الاماني ، عبقو الشعر ، قائم الراي في الناس ، ولعله احب الشعراء بزواجة هذه
المدرسة واكثرهم تمثيلا لها .

هو "لا" الشعراء الاربعة هم اشبه في ميقاتهم الشعرية بزعماء المدرسة الغنائية

الرومانتيكية في فرنسا : L'école le romantique ، وهم لامارتنين ١٧٩٠-١٨٦٩ م .

ولفكتور هيجو ١٨٠٢-١٨٨٥ م ولييني ١٧٩٧-١٨٦٣ م والفريد دي ميسه ١٨١٠-١٨٥٢ م .

(١) اخبار الجرجاني في ابن حلكان ج ١ : ٤٦١-٤٦٢ ونرى هاتين النصيدتين في يتيمة الدهر

ج ٢ : ٢٥٦ - وفي البحار والرياح ١٩٤ نجد طائفة من شعره (٢) ابنه علاؤنا : ١٦٤ : ٢٦٤

ولقد عرف أحد النقاد صفات هذه المدرسة بقوله : " هي التعبير الخيالي الملتهب عن العواطف الشخصية نحو الفضايا العامة . " (١) على أننا نرجح لشعرائنا كلمة المثالية . لأن الميل الى استنحاء الطبيعة وتسجدها ينغمس هذه المدرسة ويميزها عن اختها . وفيما عدا هذا الاختلاف لا نرى فرقا جوهريا بين هاتين المدرستين ينوف عن الفرق بين شاعر وشاعر من ممثلي كل مدرسة المدرسة الواقعية في القرن الرابع وما بعدها :

الى جانب هذه المدرسة نجد مدرسة اخرى " واقعية " تمثل لنا الحياة في القرن الرابع - من حيثها الثاني ، ناحية الامن والسرور والاستمتاع بمثلذات الحياة بما فيها من خلاعة ومجون وتمتلك وياحياة . هذه الحياة كانت ميسورة لطبقة كبيرة من الامراء والرؤساء وما يتصل بهم من نكاح وشعراء واعوان وكانت تحيط بهذه الطبقة هالة من انوار الصرف والسرور وتلون النفس الكبير من تاريخ القرن الرابع بالوان براقة ناصعة تسر القارئ . والحق انك اذا نضرت الى القرن الرابع نظرات الفاحص المدقق وجدت ان الناحية الثالثة فيه تسير جنباً لجنب والناحية الرابعة المشرقة . فان التنافس بين الامراء والرؤساء والا والزعما شهدا بالغاً وكان تنافس هؤلاء الامراء سببا كبيرا في ضعف الدولة وتجزؤها . ولكن على م كان هذا التنافس ياتى ؟ كان هذا التنافس يدور حول اسيطرة على الناس وامتلاك مقدراتهم والتصرف بخزائن الدولة والانتفاع بما فيها . فاذا تم ذلك برزت من ورائه الغاية الدينية لوية جذابة لامعة ، وقامت على اساسها حياة رخيصة وادعة ، وكانت حفارة المملكة الاسلامية وما فيها من وسائل اللذة والبسط . تسهل لهؤلاء الامراء وحاشيتهم الانتفاع بما توافر لهم من الثروات النخمة وتفتح لهم ولذراتهم ابواب التمتع والطرب ، وتخريمهم بازدياد الفخائل والشرائع ليتهللوا منها ويحلوا ويستقروا ما فيها من متع ويلبوا ما بالنفس من اوطار . وهوؤلاء بنو بويه يشندون الاشعار وينجون الشعراء ويشربون ويظهرون . وهوؤلاء خلفاء بني العباس واولادهم وذريتهم يتذوقون لذات الحياة ويلغون لبانات النور . وكذلك سائر الامراء واهل السعة والشر . وقد صور لنا ابن المعتز هذه

(١) La Littérature expliquée . Des Granges : Paris 1928 P. 265
راجع مع صورة الشراء ص ٢٦٥ - ٢٦٦

الحياة الخليفة المترلة في شعره ومن ذلك قوله :

خليلي انزكا نول النصوح	ونوما لامزجا راحا بهرح
فقد نشر المباح ردا نور	وهبت بالندى انناس ربح
وحان ركوع اهرق لكاس	ونادى الديك حي على الصبح
وحسن الناس من طرب وشوق	الى وتر يجاوه نصيح
هل الدنيا سوى هذا وهذا	وساق لا يخالقنا طبع (١)

والحق ان قيام الدولات في انحاء المملكة كان وسيلة لتوسيع نطاق الترف وتحميه اعداد المترفين ، وكانت العصور العباسية كلها تقدم بها الزمن واستكملت فيها الحضارة تتمتع في طريق اللبث وتصرف في ملذات الحياة . وكانت بغداد على ما تغلب عليها من خطوط لا تزال موئل الغنى والبذخ وحاضرة المدنية وال عمران . وقد ذكر ابن الاثير ان بيت المال في بغداد كان يحوى لدى بيع عقبة الملتد خمسة عشر الف الف دينار (٢) . ومهما يكن من حال الخلافة في ذلك الحين . فقد بقي للخلفاء من اسط والسعة بعض الذي كان لاسلافهم ، روى المسعودي (انه كان للقاهر (٣) يستان غرس فيه التاريخ ، وحمل اليه من البصرة ومكان ما حُمل من ارض الهند ، قد اشتبكت اشجاره ولاحت ثماره كالنجوم ، من احمر واصفر ، وبين ذلك انواع الغروب والرياحين والزهر ، وقد جعل في ذلك الصحن انواع الاطيار من الفاري والدياسي والشحارير والبيع ما قد جلب اليه من السالك والامصار . فكان لذلك في غاية الحسن وكان القاهر كثير الشرب عليه والجلوس في تلك المجالس (٤)

وكذلك حال الوزراء ، حدث ابو الفضل بن الوارث انه لما نهر على ابي الحسن بن الفرات في وزارته الاولى كان يجرى على خمسة الاف انسان مابين مائة دينار في الشهر الى

(١) ديوان ابن المعتز ص ٢١٧ (٢) ابن الاثير : ١٨ : ١٦ (٣) هو الخليفة الثاني من هذا

الدور حكم ٣٢٠-٣٢٢ كما ذكرنا ص ٢٧ (٤) المسعودي : ١٨ : ٣٢٦ - ٣٢٧ .

خمسة دراهم ، ونصف نفيز دقيقا الى عشرة انقرة (١) .

وجاء في كتاب الوزراء : كان لابي الحسن بن الفرات مطبخان في داره ، فاما مطبخ الخاصة الذي يطبخ فيه فلا احصي ما كان يدخله من الغنم والحيوان لكثرة ، واما مطبخ العامة فكان يستعمل فيه كل يوم تسعون رأسا من الغنم وثلاثون جديا و . . . (٢)

واذا كان ترف الخلفاء قد اخذ يميل الى الاعتدال ، فان ترف المتسلطين من آل بويه وغيرهم كان على ازدياد ، ولا نطيل في سرد الحوادث عن دور البويهيين ونصورهم ونكتفي بما ذكره ابن الاثير من ان معز الدولة بنى لنفسه دارا في شمال بغداد ، فكان مبلغ ما خرج عليها : ثلاثة عشر الف الف درهم . (٣) ١١

وكانت اصناف اللذات ممياة لهذه الطبقة من الناس لاستكمال حاجات الحياة وابتذال الجوارى والمغنيات ، وتقدم صناعة الغناء ، وقد كان للخاصة " بيع الرقيق " تجارة رائجة يلتمس بها رجال يعرفون بالخاصين في اسواق مخصوصة ، فيأتون بالجوارى من اطراف الدنيا الى بغداد ويهين الروميات والجرجيات والشركميات والعربيات من مولدات المدينة والطائف ومصر . (٤)

وكانوا يعنون بهؤلاء الجوارى ويهذبونهن ويعلمونهن الادب والغناء وترتفع مكانتهن ويخلصن ويعلمونهن . (٥) ويتخذ الاسياد منهم وسيلة للفرح . قال اسحاق الموصلي لابنه حماد : نصرت الى ما صار الى جدك - اي المفضي ابراهيم الموصلي - من الاموال والفلات ومن ما باع من جواريه ، فوجدته اربعة وعشرين الف الف درهم . . . وقد اتفق عندنا مرة من الجوارى البودائع لآخوانه ثمانون جارية (٦) . وروى الاصبهاني ان ابراهيم الموصلي اشترى جارية باربعين الف درهم واشتراها منه الرشيد بستة وثلاثين الف دينار تنازل منها ابراهيم عن اثني عشر الف (٧)

وكان بعض الشعراء يجتهدون الى الجوارى في دور اسيادهن ، وكان هؤلاء كثيرا ما

(١) كتاب الوزراء : ١٤٢ - ١٤٣ . (٢) راجع ذلك في المصدر ذاته : ١٩٥ (٣) ابن الاثير ١٨

٣٩٨ (٤) جميل نخلة المدور ٩٨ والافاني ١ / ١٢٨ - ٥ / ١٢٦ - ٢ / ١٧٥ - والعند

١٣ + ٤٣٩ (٥) الافاني ٦ : ص ٢٤ - ٢٦ (٦) لعلمهم كانوا يودعونهم الجوارى ليعلمهن الغناء .

(٧) الافاني : ٥ : ص ١٦٣ - ١٦٥

يتخذونهم اداة لكسب المال من المجان وهواة الطرب ، على نحو ما يفعل اصحاب الملاهي في عصرنا الحاضر . وفي الاغاني انه كان بالكرخ نخاس يكتسب اياها عمير ، وكان له جوارنيان لهن ظرف وادب . وكان الشاعر ابن الهوب يالك جارية منهم ويكر غشيان مثل ابي عمير حتى ^{ضايقه} حلت من حاله واعسر ، وكان له اصحاب يالعون هذا المنزل معه وينفنون على الجوارى انقائه . (١) وكان ضد عبد الحكم بن عمرو بن عبد الله بن صفوان الجعفي قد اتخذ بيتا يجعل نيسه شطرنجيات وتردات ولترات ودنا تر ميبها من كل علم وجعل في الجدار اوتادا ، فمن جاءه على نياحه على وتد منها ثم جرّ دفترا فتراه او يعضر ما يلعب به مع بعضهم . (٢)

ولا نستبعد ان تغلب ناحية اللهو والاستهتار على بغداد ، كما هو الحال في اكثر العواصم الغنية الكبرى ، ونجد صورة دنيئة لهذه الحياة في كتاب العنقد ، وخصوصا في الاغاني للاصفهاني ، فهو منعم بذكر المترين والحلما ، الاباحيين ومجالس الشرب والشعر والغناء . ويرى الدكتور طه حسين في كتابه : حديث الاربعاء ان العصر الاموي والعصر العباسي كانا عصر شد وعيث ومجون او ثان التثايب والاعيب والمجون اظهر ميزاتهم . (٣) وجاء في الاغاني ان الخليفة يزيد بن معاوية كان اول من سنّ الملاهي في الاسلام من الخلفاء . وآثر المسكين واشهر المتكلم وسرب اسمر . (٤) وفي العصر العباسي الاول جدد ااكبر الخلفاء يانسون بانعنا ، ويفريون المصنفين والمعنيت ، وكان في المصنفين اكابر الرجال مثل ابراهيم المهدى اخو الخليفة الرشيد ومناس المامون على الخلافة (٥) ، وكان يهتم بالخلفاء ولهم نظم لا يتخرجون من صنع الاصوات وغنائها . جاء في الاغاني ان الواثق صنع مائة صوت ما فيها صوت سائط (٦) ، وفي هذا الكتاب عقل خالص لمن غنى من اولاد الخلفاء (٧) ، وكان اسحاق الموصني كبير المصنفين في هذا العصر عالما ادبيا راوية . وكان الغناء مع ذلك اصغر علومه

(١) الاغاني ١ : ٢٠ من ٤٣ (٢) الاغاني ٤ : ٥٢ (٣) راجع حديث الاربعاء ص : ز -

والكتاب كله يحوم حول هذه النقطة (٤) الاغاني ١٦ : ٧٠ (٥) راجع العنقد ١٧ : ٢٤٦ (٦) الاغاني

١ : ٢٧٦ - ٢٧٧ (٧) راجع الاغاني ١ : ٩

وكانت مجالس الشرب شائعة بين الناس، ولم يكن للفنهاء على مذهب واحد في نصية الخمر، والخمر التي ونع الاجماع على تحريمها في الكتاب هي : ماغلا ونذف الزيد من معير العنب من غير ان تسمه تار (٢) ، اما ما سوى ذلك مما ليس له جماع هذه الاوصاف فقد كان مجال خلاف . قال ابن عبد ربه : «و قد جعل الله فيما احل عوضا ما حرم ، لحرم الربا واحل البيع ، وحرم السفاح واحل النكاح ، وحرم الديباج واحل الوشي ، وحرم الخمر واحل التبيذ غير المسكر (٣) » وقد استغل المجان اختلاف هؤلاء العلماء من الخمر ، وتندر ابن الرومي بذلك فقال :

احس العراني التبيذ ونسبه وقال : الحرامان المدامة والسكر

وقال الحجازي الشرايان واحد جعلت لنا بين اختلافهما الخمر

سأخذ من قوليهما طرفيهما وأبيريهما لا تارق الرازي الوزر (٤)

وقد كان للخلقاء وحمر الائمة مشاركة قوية في اللهمر والخلاعة وكانوا قدوة سبقة

لغيرهم من المترين وقد احدث ابوالسوار في شعره على الخمر بقوله :

الرفضها والله لم يرد اسمها وهذا امير المؤمنين صديفها ؟ (٥)

ومن غرائب الفصيح ان تتراني نسب الادب ان مثل الخليفة المأمون كان يتخذ

من ناصيه على بغداد يحيى بن اكرم نديما له على شرب الخمر واستماع الغناء (٦) ، فيشرب

الفاضي حتى ينفذ الرمي ثم ينتبه على انغام النينة فيشد

ياسدي وامير الناصر كلهم قد جارني حكمة من كان مسلفني

اني غفلت عن الساني لعبرتي كما ترائي سليب العتل والدين

لا استطيع نهوضا قد وهي جسدي ولا اجيب المنادي حين يدعوني

ناختر لبغداد ناصرا نبي رجل الراح يقتلني والعود يحبيني

(١) الاغانى ١٥ : ٢٥٨ (٢) الـ نقد ١٣ : ٤٠٠ (٣) العند ١٣ : ١٠٦

(٤) امراء الشعر العربي : ٢٣٨ (٥) نفس المصدر ٩٣ (٦) العند ٣ : ١٠٥

وان الخليفة المقنن ، اول خلفاء القرن الرابع ، كان يستمع الى غناء الجوارى والمغنين وبين يديه ويدى كل من اصحابه خمسة ارطال نبيذ ^(١) وان خلفه الفاهر يشرب على " وصف الغلاميات " وهو له الجوارى الحسان في مناطق الذهب والفضة ^(٢) . على ان اقرب النص من خلاصة النفاة ، في القرن الرابع ما حكاه الثعالبي من ان " القاضي " ابا القاسم علي بن محمد بن داود التنوخي كان من اعيان اهل العلم والادب واتراد الكرم وحسن الشيم وكان له غلام في نهاية الملاحة واللباقة يقره اليه ويؤثره على سائر غلمانه ! ! وكان في جملة " النفاة " الذين ينادون الوزير المهدي ويجمعون عنده في الاسبوع ليلتين " على افراح الحشمة والتبسط في النصف والخلاعة " وهم ابن نوحه وابن معروف والقاضي التنوخي وغيرهم . وما منهم الا " ابيصر اللحية طويلها " وكذلك كان الوزير المهدي . فاذا تكلم الانس وعاب المجلس ولذا السماع واخذ الطرب منهم ماخذه " وهبوا نوب الزنار للعتار ، وتغلبوا في اعطاف العيش بين الخفة والحليس " ووضع في يد كل واحد منهم تاس ذهب من الف مثقال الى مادونها ملوئا شرابا قشربليا ، ليغمس لحيته فيه ، هل ينفذها حتى تشرب انثره يرش بها بعضهم على بعض ، ويرفضون جميعا عليهم المصيفات ومخالق البيم والمنثور ^(٣) !

قال الدكتور طه حسين : كان هذا العصر عصر شك ومجون وكان عصورا وثقا . فكان للكثير من الناس مظهران مختلفان : احدهما للعامة واجمهور وهو مظهر الجذ والتفوى ، والاخر للخاصة ولانفسهم وهو مظهر النهر والمجون الذي يخلق فيه العذار وتترن فيه للشبهوات حويشها المطلقة ^(٤)

خصائص المدرسة الوانعية :

تأثرت المدرسة الوانعية بهذه الحياة الاجتماعية بما فيها من زخرف ولهو ومادة واباحية ، واستمدت عناصرها من النصور الفخمة والحدائق المزهرة ومن مجالس الانس والسرور

(١) الاغاني ١٥ : ٢٢١ (٢) مروج الذهب ١٨ : ٣٠٠

(٣) يتيمه الدهر ١٢ : ١٠٥ - ١٠٦ (٤) حديث الاربعاء ١ : ٤٤

كان رجال هذه المدرسة كما يقول المستشرق دى بوروند لعل هذه الطائفة من الشعراء " رحيبون الحياة ويستطيعون ان يتذوقوا شعر الطبيعة ولم يكن يسرهم الكثير مما لا يهيئ العتاهية من شعر يدهونيه الى الاهواز عن الدنيا ، ولا ترضيهم اشعار المتنبي لما في موضوعها من ثقل على النفس ، مع ان المتنبي اكبر شعراء العربية غير مدافع (١) ، وكانوا كما لاحظ المستشرق ادم مئزر " بكرهون ما اولع به القدماء من تعظيم شان القصيدة ، حتى نفذت ما كانت تتمتع به من تفرد بالسيادة . . . وبالع الناس في الميل الى الازان القصيرة والعبارات اللينة (٢) . وعلى الجملة فقد امتازت هذه المدرسة بخصائص هامة تميز لنا ان نمزجها عن غيرها وتسميها باسمها ، وهي تتلخص فيما يلي :

- ١- العلامة بين اخرف الحياء وبين الادب : الصناعة البدعية في الشعر والنثر
- ٢- الالتفات عن المواضيع الوجدانية الى المواضيع الوصفية ومن هنا كان :
- ٣- تراجع شخصيات هؤلاء الشعراء بالنسبة الى شخصيات المدرسة الخالصة
- ٤- تدني القيم الاخلاقية ، وظهور الاباحية المطلقة في الادب .
- ٥- الاحتفال بجمال الطبيعة وتصويرها .
- ٦- ايتار المقطعات القصيرة على النصائد الطويلة .
- ٧- ظهور الاخوانيات وادب المجاملات في النثر .

رجال هذه المدرسة لا تحصى اسماؤهم كثرة ، ودونك كتاب اليتيم للشمالي ناكثر المترجمين يمتون الى المذهب الوائعي ، وقد اخترنا منهم : السري الرنأ ، ابا الفرج الآلة الببعأ ، ابا الناسم الزاهي ، عبد المحسن العوي ، ابن لنك ، ابا الفرج الواو ، وقد غلب عليهم النظم ، والمصاحب بن عباد ، ويديع الزمان الهمداني ، واما منصور الشمالي وقد غلب عليهم النثر .

ولا تطيل الكلام من الصناعة البديعة ، فهو امر سيلحظه القارئ بنفسه ، وسرى
ما حام حول هذه الصناعة من اخذ ورد بين النقاد ، وننتقل الى الميزة الثانية فنجد ان
هؤلاء الشعراء يلفتون الاهتمام الى ما حولهم من الاشياء ينطع النظر عن غايتها او عظمتها
وليسحون لهذه الموضوعات الخيرة اوسع المجالات في شعرهم ،
وهذه ذلك فيما نرى تعود الى مادية هؤلاء الشعراء وتأثرهم بما حولهم من الاشياء ، وبما
يكن من امر فقد كان اهتمام هؤلاء الشعراء بهذه الاشياء كبيرا جدا ، استمع الى محمد
بن هرون بن الاكثمي قوله في شعره :

بأكية ضاحكة	خدائها جلاسها
مظهرة انوارها	ان جَزَمَتْها راسها
كانها عاشقة	تذيبها انفاسها (١)
ولسليمان بن حسان النصيبي في وصف الراي العنلى وهو ضرب من السمك :	
ما راينا مثل هذا الرا	ى حسنا ما راينا
صار تكبرا بعد ان كا	ن عقينا ولجينا (٢)
وله في الحمام	
انت في الحمام موقو	ف على قلبي وسمعي
نأملها تجسدها	كونت من بعصر طبعي (٣)
وللسرى الرنا في وصف كانون النار	
وذو اربع لا يطيق النهو	من ولا يالف السر نيمى سوى
تحمله سبخا اسودا	ييجعله ذهبيا احمر (٤)

(١) يتيمة الدهر : ٣١٣

(٢) يتيمة الدهر : ٣٢٦

(٣) ج. (٢) : ٢٦٨

(٤) ج ٣٢٧

والعاحب بن عاد في حبة عنب :

من المني متخذة

وحبة من عنب

في وسطها زمردة (١)

كانها لؤلؤة

وقد بلغ انصار هذا المذهب ان تناولوا احط المور واشبعها كما في بيتي الرستمى يصف قبسنة

لنا قبسنة تحمى من الشرب شرينا فقد امنوا سكرًا وخوفهم

تكثر عن انبائها في غنائها فتحكي حمارا (٢)

ويلغ اهتمامهم فيما حولهم من الاشياء ان الشاعر شاجم اكبره قدح فجاء عليه

بسبعة عشر بيتًا من الرثاء . (٣)

افتح الجزء الرابع من يتيمة الدهر ص ١٠٨ - ١٠٩ تجد المواضيع التالية : في

جرحها - بعد اشتعاله - في البرد - في اللذيق - في المحيرة - في الطفلة والافلام

في السكين المذب - في المقص - في المحراب وهو المشابه - لا في الاصعلا - وفيه - في

المفراض ، وقد لاحظ ذلك المستشرق ادم ملتر فقال : " وفي اواخر القرن الرابع الهجري اولع

الادباء بوصف جميع الاشياء على اختلافها ، فنجد وصف الميراب الى جانب وصف الشاعر

صورته في المرأة ، وذلك ارضاء لرغبة الناصر في المستحدث (٤) "

ادباء هذه اتجاهاتهم الفنية يصعب عليهم ان يذكروا الجمال في شعر

المتنبي والمعري ، فاخذوا انثاسي ، ولم ينفذ الا الاوائل منهم ، وابن نظرات المعري

ونفقات المتنبي من وصف السكين المذب والمفراض .

(٢) هؤلاء الشعراء ليست لهم شخصية بارزة ، واحدهم نموذج عن جميعهم ،

تركوا المتنبي والمعري والجرجاني والشريف الرضي " في بروجهم العاجية " كما يقول الفرنسيون

(١) ج ٤٤ : ١٦ (٢) ج ٣ : ١٢٨٤ - ١٢٩١ : سنية الدهر

(٣) زهر الاداب : ١٦ : ٤ (٤) ادم منذ : ٤٤١

ونزلوا الى المجتمع ، واحتكوا بالناس ، واخذوا عنهم واعطوهم ، فضاغت شخصيتهم ، اوئل انها
 تعددت واندمجت بغيرها ، ولكنهم كسبوا خبرة عقلية " وشطارة " تادرة ، وانت لتفرا لرجل
 كالعصر ، او المتقي فتشعر بالثقة والراحة . ولكنك تفرا لهؤلاء الشعراء والكتاب فتشعر بالرهيب
 والحذر . وانت تفرا خبر المناظرة التي كانت بين بديع الزمان الهمذاني والخوارزمي ، فلا
 ترى للهمذاني شخصية انسانية ^{عجيبة} ولكن تجد له شخصية عقلية مريضة ^(١) . وقد ساعدتهم
 واتعبتهم هذه على ولج ساحات الادب الموسوعي ، فالفوا بعمر النقص والعفامات واشتهر منهم
 في هذا الباب : بديع الزمان الهمذاني ، وابوالفرج النيفاء ، وابن التباري ، واحمد بن
 يوسف المصري ، والتوحيدى ، والقنوخى ، وابوالمظهر الأزدي ، مما دعى الدكتور زكي المبارك
 ان يقول بان الاناصيص في النشر من اهم ما يمتاز به الادب في القرن الرابع الهجري ^(٢)
 اما الخلاعة والمجون ، ونحظ الادب ، منهما كبير وهو يمثل لنا تلك البيئة الاباحية
 ادق تمثيل ، وتصور الخلق من ايراد الامثال عن المعمر ^{الغفور} من اصائل هؤلاء ^{المازين} الطالبيين ^(٣)
 ونكتفي بايراد بعض الامثلة عن انواع الملاحية عند شعراء ذلك الزمان . فما يمثل لنا ولهم
 النفس الى اللذات ، وتسلطها بالمسرات ، وانراضها من حد الحياة ، قول ابي محمد الحسن بن
 علي بن وكيع القنيسى :

على نوادك والدنيا اغايل	لا يشغلنك عن اللهو الا باطيل
ولا يصدنت عن امر هممت به	من العوائل لانال ولا تيل
وان اتوك فغالوا كن خليلتنا	فلن لهم انني عن ذاك مشغول
فان ذلك امر مع نفاسته	ونبلاء بغناء العمر موصول
وارض الخمول يحظى ^{نفر} بلذته	الا امره خامل في النار مجهول
ولا تبع عاجل الدنيا باجل ما	ترجو فذلك امر شانه الطول ^(٤)

(١) راجع رسائل بديع الزمان ص ٢٨ - (٢) راجع انثر الغنى ج ١ ص ٢٤٦ ، ٢٥٤ ، ٢٨٢
 ٢٩٤ (٣) من برهد الاطلاع ندونه كتاب البيعة للشمالي ج ١ ص ٥٠ - ٢٦١ - ٢٦٢ - ٢٦٣ - ٢٦٤
 ج ٢ ص ١٠٤ - ١٠٥ - ١٤٧ (٤) بيعة الدهر للشمالي ج ١ ص ٢٩٣

وقول أبي الحسن علي بن محمد البديهي :

زربني اواصل لذتي قبل فوتها وشيكا لتوديع الشباب المطارق
لما العيش الا صحة وشبيبة وكاس وقرب من حبيب موائق
ومن عرف الايام لم يفتري بها وبادر بالذات قبل العوائق (١)
وتغنى هؤلاء الشعراء بالخمر فوصفوها صحيحة ومعلنة وعدوا اوصافها وتغنوا في
تشبيهها ، فلاهي الفرج الواو

عذبتها بالمزاج لا بهتسمت عن برد نابت على لهاب
كان ابدى المزاج قد سبكت في كاسها لفة على ذهب (٢)
ولاحمد بن محمد الطائي الدمشقي :

وند غدونا الى صلاة الغداة ثم ملنا منها الى الحانات
نشرنا مدامة كدم الخشخشة فغارا قضى في الكاسات
ناذا شجها السنة بها ابرزت مثل السن الحيات
وكان الانامل اعتصرتها من شفيق الخدود والوجنات (٣)
واذا كان الدمشقي يصلي ويشرب ، نأين عهد ربه يستعمل الفاظ الصلاة في تمثيل
حركات الابرقي والكاس :

وحاملة راحا على راحة اليد مودة تسعى بلون مورد
متى ماترى الابرقي للكاس راكما تعلى (٤) له من غير طهر وتسجد
على ياسمين كاللجين ونرجس كاتراط درني قضيب زرجد
بتلك وهدي ناله يومه كله ومنها نسل لاتصال الناس عن غد (٥)

ويجى رابعهم فيندب الناس الى الحج والعمرة الى كعبه النفوة !!

(١) يتيمه الدهر ٣ : ١٦٥ (٢) ج ١١ : ٢٠٧ (٣) ج ١ : ٢٨١ (٤) هكذا وردت

(٥) ج ١١ : ٢٠

ونهوة من كاسها ترمي الندامي بالشر

ند جمعت نشر الوها ويرد انفس السحر

طوبى لمن حج الى كعبتها ثم اعتمر (١)

وللغزل المذكور حظ وان من اشعارهم ، وهو فحلم بالشابية والاستعارات ، ومثل

لنا ما كان للخلعان في نفوس هؤلاء الانجاب من مكانه عاليه ، فللمصاحب بن عباد في غلام :

وشادك اصبح فوق الصفة ند ظلم الصعب وما انصفه

كم لئت اذ ليل كفى وقد يتمنى باليت كفى شغفه (٢)

وله في معناه

وشادك هيجاله تنصر عنه صفتي

اهوى لتقبيل يدي فقلت لاهل شفتي (٣)

وقال احد هؤلاء الشعراء :

نديمك يا اتم الناس ظرنا واصلحهم لمتخذ حبيبا

فوجهك نزهة الابصار حسنا وصوتك مثقلا الاسماع طيبا

وسائلة تسائل عنك للنساء لها في وصفك العجب والمعجبا

رنا ظيبا وغنى عند ليبيسا ولاح شقايقا ومضى نحيبا (٤)

ولابي الفرج البغفاء :

ومهلطف لما اكتست وجنانه حائل الملاحة طرزت بعذاره

لما انتصرت على عظيم جفائه بالقلب كان القلب من انصاره

كملت محاسن وجهه فكانما اذ تبس الهلال النور من انواره

(١) بيتية الدهر : ١ : ٢٧٧

(٢) بيتية الدهر : ١٣ : ٨٨ (٣) ج ٣ : ٨٩ (٤) ج ١ : ١٢٢ (٥) زهر الاداب ج ٣ : ١١٨

وإذا الح القلب في هجرته نال الهوى لاهد منه نذاره (٥)

وَقَدْ جَمَعَ الْحَصْرَى فِي زَهْرِ الْأَدَابِ فَتَرَا كَثِيرَةً مِمَّا كَانَ يَجْرَى عَلَى السِّنْتِمْ مِنْ لَفُوتِ صَبْرٍ
الغلمان فليرجع إليه أرباب الاستغناء (٦) .

وبالاختصار ، فقد صور الشعراء ما كان عليه كثرة الشعراء في ذلك العصر من تهتك
ومجون ، ولم يعب الشعراء عن تصوير أحوال شهواتهم وأهوائها ، وعينوا بالاخلاق ولم يؤمنوا برسالة
غير رسالة الفن ، وقد ظهر أثر هذه الإباحية في النقد ، وكان جهلُّ النقاد في القرن الرابع
من أشباع نظرية الفن للفن " كما سنذكر ذلك في حينه .

(٥) يعني هؤلاء الشعراء بالطبيعة عنيفة نائلة ، وجمال الطبيعة يرافقتهم في
صغرياتهم وفي غزلياتهم ، وصفوا النصور والحدائق والزهور والامواء ، والليل وساعات الشروق ...
وتفننوا في ذلك وأجادوا : فليس المراد الرثاء يصف الحدائق في يوم مسطهر

وحدائق يسبيك وضجاء برودها	دني تشبهها سبائب عطر
يجرى النسيم خلالها وكانا	نخست فضول رداؤه في العنبر
بانت للوب المحل تخفق بينهما	بخفوق رايات السحاب الماطر
طارت حقيقة برقه فكانا	صدعت نمسك فيه بمعصفر (٧)

وله في الورود

لورحبت كاس يندى زورة	لورحبت بالورد اذ زارها
جاء نخلناه خدودا بدت	مضومة من خجل نارها
وطر الدنيا فطابت به	لاعدمت دنياه عطارها (٨)

ولاهي الفن الواو في وصف الليل

وغداف الظلام في شمسك المنجسر نريكي في نبخته الارتبان

(٧) ينمية الدهرج ١١ : ١٩٣ (٨) ينمية الدهرج ١١ : ١٩٤ - ١٩٥ (٩) ج ١ : ١٩٥

(١٠) زهر الاداب ٢ : ١٤٨ - ١٥٠

وكان النجوم احداً و ريم
وللسرى الرنا في وصف طير الماء :

وامنة لا الوحر يزج مسرهما
اذا انبعثت بين الملاعب خلتها
ولا الطير منها دابات المخاب
ررأسي كسرر بثها في الملاعب (٢)

وللقاضي التنوخي محمد بن داود بن فهم يصف الروض :

ورافق من حاكت لمن الشرا
نثر الغيث در دمع عليها
انحوان معانق الشفق
وعيون من نرجس تستراي
وكان الشفق حين تبدى
ونان الندى عليها دموع
وللماحب بن عباد في وصف الثلج :

اقبل الثلج ناهبط للسرور
انبل الجو في فلائل نور
نكان السماء صاهت الار
ولشرب الكبير بعد الصغير
وتنادى بلول مشرور
من نهار النثار من كاسور (٤)

وللزاهي في طلوع الفجر :

ارى الليل يخفي والنجم كانها
وند لاح فجر يغمر الجو نوره
عيون الندامى حين مالت الى الخمر
كما انفجرت بالما عين على الارض (٥)

وله في ليلة عاصلة :

الريح تعصف والاغصان تعتق
كانما الليل جفن والهوى له
والخزى باكية والزهر معتبه
عين من الشمس تدهو ثم تنطبق (٦)

(١) ج ١ : ٢٠١ (٢) ج ١ : ٤٦١ - (٣) ج ٢ : ١٠٩ (٤) نتيجة الدهر ٣ : ٩٥

(٥) ج ١ : ١٧٢ (٦) ج ١ : ١٧٢

ولله بعد لتلك لي شقائق النعمان :

ند شربنا على شقائق روض شربت عبرة السحاب السكوب

صبغت من دم القلوب فيها تبسُّ — صرا لا تعلفت بالفلسوب (١)

(٦) وملاحظ القارئ الصور الشعرية الجميلة في هذه الابيات ، كما يلاحظ اتيار هذه المدرسة للمذطعات القصيرة ، وعلى هذا اكرر شعرا البيتية في الاكتفاء بتلليل الابيات عن كثيرها ، على خلاف الموضوعات الوجدانية من مديح وهجاء ونحو . . . فان النفس فيها تمتد والقصائد تطول .
(٧) اما ادب الاخويات فنحظ القرن الرابع منها كبير ، وهي طمعة برون الوداد والتواضع ، وتسودها الاماديج والمجاملات ، نمثل على ذلك برسالة للخوارزمي الى حديق له على ديوان الخراج :

"الايام ايدك الله تعالى بيني وبينك تراجمة لي من صفة ونائله ، وشهود عندي على صدق اخائك . وائل حقوت علي" يلزمي ان لا اشغل لساني بغير شكر ، ولا قلبي الا بذكر . . . وقد بلغني خبر سميت لفلان لي العمل اندي هو دون ندره ، وان كان فوق اعمال عصره ، فشكرت عنه وان كان بسرك (٢) اوني وامد ، وما يفاك حفت احق واولي ، وارتد ان اني شكرت انيه ، ولا اتطفل فيه عليه ، شكرت ان تطوى صحيفة الشكر ولم يجز لي فيها اسم ، وان تختم جريدة المشاركة ولم يكن لي فيها قسم ، فذكرته لك وانت له اذكر ، وشكرتك عنه وهولك مني اشكر . . . فنعمتك عليه منتسمة بيني وبينه ، بل اكرها لي دونه ، فما ظنك بعارلة واحدة تكسبك شكرين ، وتستعبد لك حرين ، وجد يرمن هطلت عليه مدائب عنايتك ، ورزقت حوله اجنحة رعايتك ، ان ينبر عنه سيف الزمان مفلولا ، ويرجع عن ساحته عسكر الزمان مهزوما . . . احبرت انت ايدك الله تحدث نفسك بزيارتي ، وانه ليسرني ان اخطربالك ، وسوئي ان اصبر زيادة في اشعالك ، ولا تجشم نفسك بان خيا لك في كل ليلة نائب عندي عنك ، وان لم يكن فيه ولا في الدنيا كلها عوض لي منك . . (٣)

(١) ج ٢ : ١٢٣ (٢) وردت شكر (٣) رسائل الخوارزمي : ١٦٧ - ١٦٨ .

وكتب الى غيره :

"وصلت الرسالة التي كل الرسائل دونها في الكتب ، كما ان كل كاتب دون كاتبها

في الرتبة ، ووافقت مني فلها معمورا بل خيرا بالهم ، وجسما معضلا بل مكدودا بالسقم ،
نشفت القلب حتى نسي همه ، والجسم حتى طلق سقمه ولكن كانت الالام سلبتني من المال
علنا خطيرا ، لقد الفت لي منك عوضا كبيرا ، ولكن كانت صادرتني على ثوب يبلى ودرهم
يبلى لقد وهبت لي من مودتك ما لا يبلى اذا استعمل ولا يصدأ اذا اهل ، ولا يفتن اذا
بذل ، ولا يخلق اذا ابتذل . (١)

ارأيت كيف يجد الخوارزمي شفا روحه وجسمه وجيبه في كتاب صاحبه ؟ رأيت كيف
ساقه حبه لصدفه الآخر على ان لا يشغل لسانه الا بشكره . ولا قلبه الا بذكره ؟ وعلى هذا
اكثر رسائل الخوارزمي وديع الزمان الهمداني (٢) والشمالي (٣) ، واي الفرج اللطالبي (٤)

x x x

تطور الادب اذا وفنا لتطور الحياة ، وهذا امر طبيعي جدا ، فالادب صورة الحياة
ومراتبها ، وليس بمستطاع المرأة ان تعكس الا ما يبدا امامها ، وهن الانسان وذوته يرجعان
الى حد كبير جدا الى بيئته وظروف حياته ، والى شخصيته الناشئة في هذه البيئة والظروف .
نعم قد يشذ بعض الشعراء عن عصرهم ، ويتبعون انماط اسلافهم ، ولكن شذوذهم الادبي يكون
تابعا لشذوذهم الاجتماعي ، ولوعاشوا عيشة معاصريهم لاحسوا باحاساسهم ولكروا بتفكيرهم
وساروا معهم بوحى المحيط الجديد والحياة الجديدة .

و نعم ان بذور هذا التطور في المدرستين : المثالية والوانعية لا تخلو منهما العصور
المتقدمة ، كما ان القرن الرابع لا يخلو من شعر قديم الروح والطابع ، وذلك لان النفس البشرية
واحدة مهما جد بها من تغيير ، وحاجات المرأة ثابتة مهما اعتراها من تبدل ، وليس يلزم في

(١) ص ١٩٨ (٢) راجع رسائل بديع الزمان وكذلك راجع بيتية الدهر ج ٣ / ٨٦١ ثم ج ١٤

١٦٩ - ١٢٠ (٣) راجع بيتية الدهر (٤) ج ١١ ص ١٨٢ - ١٨٢

نظرنا ان تنقلب الطبيعة البشرية من حقيقتها حتى يتأتى لها المذهب الجديد ،
وليس معنى التجديد استيعا عناصر نفسية لم تكن في الوجود ، ولكن معنى التجديد
ان يتناول الادب بعض العناصر النفسية المهمة ، والتي لم يكن يعبا بها من ذى قبل ،
ويوجه العناية اليها . كان في الشعر القديم بديع لفظي ، ولكنه لم يصبح فنا شعريا الا في
العصر العباسي ، ولا يعقل ان لا يكون في الشعر القديم اى معنى في وصف الادوات
العملية وما يشبهها في البساطة ، ولكن الشعر الجديد هو الذى تعلق بهذه الامور واعاها
اهتمامه ، وكان " في الادب الجاهلي خمر تراه في شعر طرفة ، ونحش تراه في شعر امرئ
القيسر وكان في الادب الاموى خمر كالذى في شعر الاحطس ، وكان غزل مكشوف كغزل عمر
بن ابي ربيعة ، ولكن اين هذا كله من شعر المحدثين اكان فجور الاولين ما دجا بسيطا
في الفاظه ومعانيه كعبيثتهم ، وكان دجور الآخرين مركبا معنانيا في الوصف شاملا لكل المظاهر
ومشاعر الشهوة ، بتخير ائيج اللفظ لا نبيح المعنى " . (١)

لهذا ننحن نرى بعض الغبن في استخفاف الدكتور طه حسين بك بهذا التجديد (٢)
ونرى من الانراط ان ننسب الجمود الى الشعر العباسي كله ، في الفاظه ومعانيه واساليبه
وموضوعاته ، الا اذا كان الدكتور يفهم من التجديد ان تصح الالفاظ غير الالفاظ ، وان نستمد
المعاني من غير منبعها الطبيعي ، لا نقول ذلك قناعة منا بالموجود ونفورا من الاحسن ،
ولكننا نقوله لنضع الامر في مواضعها ونشيد احكامنا على حقيقتها .

ومن العجيب ان الدكتور يعلل هذا " الجمود " في الشعر العربي ^{بمباشرة} بطفق الدين (٣) ،
في حين انه يرى في مكان اخر : " ان الدين لم يكن ليمنع الامويين والعباسيين ان
يستمتعوا بلذات الحياة ، ولم يكن الفتح ليمنعهم ان يستمتعوا بهذه اللذات ، ولم يكن العلم
ليحول بينهم وبين ذلك . (٤) "

ولا نرتاب في ان الدكتور انما يعني من بطل حركة التجديد ان هذه الحركة لم

(١) ضحى الاسلام ج ١ : ص ١٨٤ ملخصه (٢) احاديث الاربعاء : ٨ (٣) ص ١١ - ١٢ من
احاديث الاربعاء . (٤) احاديث الاربعاء : ٨٥ .

لم تنسح للشعر النعصي والشعر الثقيلي (١) . اننا لا نفهم كيف كان الدين يمنعهم من التحرر في حياتهم الادبية ، ويطلق لهم الحرية في حياتهم المادية ، كيف كان الدين يمنعهم من الكلام ، ولا يمنعهم من العمل . على اننا لا نرى للدين سلطة كبيرة على الشعر نفسه في ذلك العصر . ولذا يمنع الدين من معالجة الشعر النعصي والشعر الثقيلي ولا يمنع ابا نواس حين يقول :

حدثنا الخفاف عن وائل	وخالد الحذاء عن جابر
قالوا جميعا : ايما طفلة	علفها ذو خلق طاهر
نواصلته ثم دامت لسه	على وصال الحافظ الذاكر
كانت لها الجنة مفتوحة	ترتبع في مرتعها الزاهر
راى معشوق جنا عاشقنا	بعد وصال دائم ناضر
فني عذاب الله بعسدا له	نعم وسحق دائم واحكو (٢)

وحين يقول :

اثن على الخمر بالآلها
لا تجعل الماء الخ (٣)

فيستعمل التعابير القرآنية في الخمر .

وابو سراس ، ومطيع بن اياس ويشار بن برد ، وامثالهم من الشعراء الماجنين ، هم بعد كما يقول الدكتور : " التراجمة الصادقون لما يخطر لطبقات الناس من خواطر وما يضطرب في نفوسهم من مواطن ، وهم الذين يمثلون الجماعة حقا ويبلغون ان شمرتهم لانهم لسان هذه الجماعة الصادق ومرآتهم العانية . (٤) "

x x x

(١) احاديث الاربعاء : ٥٥ - (٢) احاديث الاربعاء : ٥٥ - ٥٦ : لم اقدر على الديوان .

(٣) احاديث الاربعاء : ١٠٧ - ١٠٨ (٤) احاديث الاربعاء : ٤٢ - ٤٣ .

وتأثر السند بدوره بحركة التجديد الأدبي ، ومناييس المدرستين المثالية والواقعية ،
وهذه المناييس كان ينفذ كثيرا من الآثار الأدبية من قديمة وحديثة . ولم يكن هناك نقاد
واقعيون بكتابتهم . ولم يكن هناك نقاد مثاليون بكتابتهم ، بدرجة ما كان في الشعر والنثر ،
ولكن كانت هناك آراء متأثرة بهذا المذهب أو ذاك ، وهذه البيئة أو تلك ، كانت هناك
خصومة بين القديم والحديث كما يعتقد الجميع ، ولكن أحدا لا يستطيع أن يشير إلى نائد
ما ، ويقول إن من أنصار القديم في جميع آرائه ، أو أن من أنصار الجديد في جميع هذه
الآراء ، وكذلك الحال فيما يتعلق بالمدرستين الجديدتين اللتين ذكرناهما ١٠ هـ .

.....

.....

.....

.....

.....

...

.

الباب الثاني

سير النقد الادبي قبل القرن الرابع

النقد في الجاهلية :

اذا صح ان النقد يساير الحركة الادبية جنباً لجنب ، فيزد هر بازدها رها ، ويذهب بذهولها
نقد خلف لنا الجاهلية وصدر الاسلام والعهد الاموي ذخيرة ادبية ثمينه كان ينبغي ان ترافقه
زخيرة واثرة من الآراء الادبية الناضجة متفوق اضعاف ما انتهى اليها منها . ولعل لنا ان الامة قد
فرطت بهذه الآراء ، وناز الشعر من ذاكرة الرواة بالمحل الذي اخفق دونه النقد . ومن المستبعد
فيما نرى ان يتحلى القرآن الكريم ببلاغته قوما لا يميزون حبيب الكلم عن سافله ، ولا يكون لديهم من
الخبرة الذاتية ما يصح احكامهم ومجليها . نال عمر بن الخطاب : كان الشعر علم قوم لم يكن لهم
علم اص منه نجا الاسلام فتشافت عنه العرب : وقال ابو عمرو بن العلاء : ما انتهى اليكم ما نالت
العرب الا اقله ولو جاءكم وانرا لجاءكم علم وشعر كبير : (ابن سلام : ١٥)

لا نجد في هذه الآراء تحليلات مسببة وموازنات دقيقة ودراسات شاملة ، بل نجد لهم خطوط
موجزة فطرية ، مرجعها الاحساس السليم ، والطبيعة البسيطة ، فيلنوا باحكامهم قريبة عذبة ساذجة
شان حياتهم البسيطة ونفوسهم الساذجة . كان الشعر يروى لهم جملة ليستعذبونه ، او يسودهم جملة
فيستذكرونها اذا ذهبوا الى ما وراء هذا الشعور العام ، عمدوا الى اهم ما يلفت نظرهم من خصائص
هذا الشعر او ميزات ذلك الشاعر ، فواضحوا عنها بهجمل قصيرة محكمة كأنها الامثال .

ولا نرتاب فيما كان من الاهمية للاسواق الادبية كعكاز ومجنحة وذى المجازني الجاهلية (١)

(١) راجع كتاب : احبار مكة : لابي انونيد محمد بن عبد الله الارمني ج ١ ص ١١٢-١٢٤ واحمد

امين : في الجامعة المصرية مجلة كلية الآداب : مجلد ١ جز ١ مايو ١٩٢٢ ص ٤٦-٦٧

بمعنوان عكاظ والعريد .

والمرشد في الاسلام (١) ، من خطر في إثارة الآراء النقدية عن الشعر والشعراء بمثل ذلك كان تأثير الامراء والخلفاء في مجالسهم التي كانوا يعقدونها ويتداولون فيها اخبار الشعراء وطرائف اقوالهم (٢) . وكذلك كانت المناقشة بين الشعراء في العبد الاموي ، ونخص منهم جريرا والاخلط والفريزدق ، من الاسباب النوية التي تحمل هؤلاء الشعراء واشباعهم على تقدير حسنات الشاعر وسبائته وارسال الاحكام الانتقادية لهذا الشاعر او لذاك (٣)

ولم تكن العجبة في بداية الحال ناسبة بين العرب لقلّة احتلاطهم بالادب المجاورة واستقامة سليفتهم على الفطرة فلم يكتفوا بذلك وضعوا بعد قواعد العرب والمحرر واحكام اللغة ، فلا يقتصر منهم انتقادات مبينة على هذه العلوم المتأخرة اذ ما نشر ، وجل ما خلقوه لما يدور حول معاني الشعراء ، واشخاصهم والفنون التي اجادوا فيها . لم يلتفت الادباء الى تصحيح خطيات الشعراء الا بعد ان دونوا علومهم ورسموا قواعدهم واحكامهم واصبحوا حينئذ على اتباع الشعراء اياها ، بعد ان كان اللحن قليلا لا يستتبراهم اهتمام النقاد واستنكارهم ~~في~~ راجع طبقات الشعراء : •

نماذج من النقد في الجاهلية :

من اقدم ما وصل الينا من النقد في الجاهلية ما رواه المزني في الموشى قال : تنازع امرؤ القيس بين حبر وعلقة بن عبدة وهو علقمة النخعي الشعر : ايها الشعر • فقال كل واحد منهما : اما الشعر منذ • فقال علقمة قد رصيت بامراتك ام جندب حكما بيني وبينك • لحكماها • فقالت ام جندب لهما : فولا شعرا تعلمان فيه برميكما على ثائية واحدة وروي واحد فقال امرؤ القيس :
خليلي مرايبي على ام جندب
نفر لبانات القواد المعذب

وقال علقمة :

- (١) احمد امين في المصدر السابق ، الاغاني ٥ : ١٢ الاغاني ٢٩ : ٨ (٢) راجع مثلا الاغاني ١ : ٣٥٤ ، ٣٥٥ ، ١١٢ ، ٣٣٨ - ٣٣٩ ٠٠٠ (٣) راجع في الاغاني اخبار جرير ج ١ : ٨٤ ص ٣ - ٨٩ اخبار الاخلط : ٢٨٠ - ٣١٩ واخبار الفريزدق ج ١ : ٩ ص ٣٢٤ - ٣٢٥

ذهبت من الهجران في غير مذهب ولم يك حنا طول هذا التجنب
 ناشداها جميعا القصديين • فقالت لأمري • الفير • علقة اشعر منك • قال وكيف ؟ قالت :
 لانك قلت :

لللسوط الهوب والساق ديرة وللزجرة منه وقع اخري مذهب
 ••••• فجهدت فرسك بسوطك في زجرك ومرتبه فاتعبته بسائك • وقال علقة :
 فادركهن ثانيا من عنانه يركم الرايح المحتلب
 فادرك فرسه ثانيا من عنانه لم يخرجه بسوط ولم يتعبه (١) •••

وقد استكر الاستاذ عه احمد ابراهيم هذا النقد على زوجة الشاعر الكبير ، ووجد ان الموازنة على
 شريطة الجمع بين ثلاثة اشياء (٣) فكرة على شي من الدقة لاتتلاءم مع النوى الجاهلي في النقد
 الادبي (٢) على اننا نرى هذا الاشتراط من البيهقي التي تدرب بالذوق الخطري ، ونرى في
 سداجه هذا النقد ما لا يحملنا على استكثاره على زوجة الملك الخليل نقد استساغت ام جنوب (مدح)
 الفرير وانكرت (وصفة) وحكمت على كل من الشاعرين بيت واحد ، ولم تتعد في حكمها المعنى الجزائي
 الى شاعرية الشاعر على العموم •

ويروى ان الشاعر طرفة بن العبد سمع وهو صبي منشدا يقول :
 وقد اتناسى الهم عند احتفاره بناح عليه الصعيرة مكوم
 فعابه بقوله : استنور الجمر ، لانه وصف النحر بالصعيرة وهي من سمات اناث الابل (٤)
 وكان التابعة الزبياني تضرب له نية حمرا من ادم بسوق عكاظ بنتاويه الشعراء فتعرض عليه اشعارها •
 انشده حسان بن ثابت الانصاري قوله :

لنا الجففات الغر يلعبن بالضحى واسياننا يقطرن من نجدة دما
 ولدنا بني العنقاء وابني محسرق لأكرم بنا خلا واكرم بنا ابنما

(١) الموشع للمريهاني ١٨ (٢) تاريخ النقد الادبي عند العرب : ٢١ ، ٢٢
 (٣) ان وصف الفرير ووحدة الغافية والروى (٤) نقد الشعر المنسوب لقدمه : ص ٨

فكان له المايعة : انت شاعر ولكنت افلتت جفانت وامياذك وفخرت بمن ولدت ولم تفخر
 بمن ولدت (١) . فان صاحب نقد الشعر (٢) : وذلك انهم يرون موضع الشعر على حسان في قوله
 العروكان ممكنا ان يغور البيض لار الدرة يماز ليل في لون اخر ونالوا فلوقال البيض لكان اكثر
 من الدرة ، وفي قوله : يلمعن بالضحى ولونار بالدجى لكان احسن ، وفي قوله : اسياينا يظطن من
 نجدة دما ، نالوا ولوقال يجرين لكان احسن (٣) .

ومما يروى لزهير بن ابي سلمي في استحسان الشعر المطايع لخلخال النسر والمعبر
 عنها قوله :

وان احسن بيت امت قاله بيت ينار اذا استندته : ههنا (٤)

وذكر صاحب الاغاني ان فحليس من الشعراء نارا يفرسان : النابغة وشرب بن ابي حاتم . ولما دخل
 النابغة يشرب نابهوا ان يقولوا له لحيث والفت تدعوا نيسة وامروها ان تغني في شعره ففعلت ،
 ومدت من قوله : واتقتنا باجد ، ويكاد من اللطافة يعند ، تعارت المكسرة يا والخفة واوا ، فظن
 الى خطاه وغيره ، وجعله عثم على اغصانه لم يعقد ، وكا ينور : ورد ، يشرب وفي شعره بعض العاهة
 فصدرت عنها وانا اشعر النادر ، واصبح الشعر هكذا .

سند النصيف ولم ترد اسفاطه تتناولته واتقتنا باليد

بمخضب رخم كان بناسكته عثم على اغصانه لم يعقد (٥)

وعندما من سواد رما وصلنا عن اخذ النحر في العصر الجاهلي ، وهونك بسيط كما ترى
 يدرك بالذوق العطرى وان لم يدرك بالقاعدة المرسومة ، ولا نستبعد ان تكون الطبيعة التي تعصمهم
 عن الخطاء في اكثر الاحيان تستطيع ان تدلهم كذلك على الخطاء ان وجد في بعض الانسواء .

(١) الفرائد - طبعة ارنهيم ج ٢ : ص ٥٤٦ - ٥٤٧ والمولى ص ٦٠

(٢) كريد به الكتاب القديم ، لا كتاب الاستاذ عازار (٣) نقد الشعر المنسوب لقدماء : ٣٦

(٤) المعقد ٣ : ١٤٣ (٥) الاغاني : ١ : ١٦٤ - ١٦٥ طبعة هولاء : تنايل الجزء

قال : ان هذا الذي كنا نرعبه نأخذه واصابه هذا القرشي (٢) . وسئل النقيب عنه وعن اصحابه فقال : جميل اماما ، وعمره ابي ربيعة اوصلنا لربات الحجال ، وكثيرا بكلنا على الدمن وامدحنا للموت (٣) ومن الانتقادات الطريفة ما رواه العمرياني قال : اجتمع نصيب والنقيب ،

(۲) ص ۱۰۶

۲۵۵ (۲)

فاستنشد النصب الكعب شجرة ناشده الكعب :

هل انت عن طلب الايقاع منقلب حتى بلغ الى قوله :

ام هل طعائن بالعلياء ناعسة وان تكامل فيها الانس والشب

نعند الصيب واحدا * اي عفدا صعبا واحدا * فقال الكعب ما هذا ؟ قال : احصى خطاك
تعاذت في قولك : الانس والشب ، الا قلت لما قال ذو الرمة :

لياء في شفتها حوة لعصر وفي الخثات وفي اهبها مسب (١)

وسدا ما ساء المتأخرين : بمراعاة السدير . وفي ارياء ان الصيب اشتد بعد ذلك قوله :

ابيت هذه انظر الا اذكارا

حتى بلغ الى قوله :

اذا ما الهجارير (٢) فنيها تجارين بالملوات اهبارا (٣)

فقال له النصب : وانوار لا تسكن الملوات ثم انشد حتى بلغ منها :

فان الختام (٤) من عليما اراجيراسم نرجو غسارا (٥)

فقال النصب : ما هجت اسم غسارا قط ، فانكسر الكعب وامسك (٦)

وبان رواية الادب وعلما انهم قد بدأوا في تدريس نواعه العربية وانما فيها ، وكان الشعر

شيعا عزيز المعارفهم وابارهم ، فقال لهم ذلك اني قد كنت رجالة ، واشعر منهم : ابو عمرو بن

العداء والاصمعي وعلما انهم رجالات الرواية وابو عبيدة وابو العباس محمد بن يزيد الميموني (٧)

روى عن حنيفة بن اسود قال ابراهيم بن اسيد بن جبير شعر (٨) واعصم بجيده . وكان الاصمعي شديد

(١) الموشح : ١٦٣ والاعاني : ١ : ٣٤٨ والخزهر للسيوطي ج ٢ ص ٢٥٠ (٢) جمع هجرير ، وهو

الفرس والخشب او وفده ، وهو ادب ايضا ، او هو من السباع كل ما يحس بالخير مما كان دون

الشعير ومن الجربوع (٣) دابة غصيرة اللون - تكون الطحالب - لا ذنب لها تدجن في البيوت

(٤) صوت عليان النضر (٥) اسم وغفار فليتان (٦) الاعاني : ١ : ٣٤٨-٣٤٩ والموشح : ١٦٣ والخزهر

للسيوطي ج ٢ ص ٢٥٠ (٧) راجع كتاب اخبار النحويين البصريين : لابي سعيد السيرافي

(٨) طبقات ابي سحر ٩

التمرس بالشعر والرواية له ، قال انه ما بلغ الحلم حتى روى اثني عشر ألف أرجوزة للاعراب (١) وكان حماد وحيد الاحمر من قسول الشعراء حتى كانا يتوليان الشعر ويحدانه الشعراء فيسيرني الانان (٢) ناصبي للسند رجال يعرفون به كذا اثر الفنون . قال رجل لخلد الاحمر : اذا سمعت انا بالشعر واستعصمت فما ابالي ما قلت فيه انت واصحابك ، فقال له اذا اخذت احد درسنا فاستحسنه فنان لك الصراف انه ردي هل ينفذ استحسانك له ؟ (٣) ولكن اكثر هؤلاء الرواة كان يرمى الى فاية لغوية ، ويتاثر بهما به هذه في السند ، مما دفع الجاحظ الى ان ينكر على الرواة ذوقهم الادبي ويفهم ذوق الادباء الكتاب قال : * " ليل علم الشعر عند الاممعي بوجدته لا يعرف الاغريبه فرجعت الى الاخفش راثة لثيته لا يتفنن الا اعرابه ، تعطف على ابي عبيد ، ترايت لا ينفذ الا ما اتصل بالاخبار وتعلق باذيام والاسباب ، ولم اغرب ما اردت الا عند ادباء اصحاب كالحسن بن وهب ومحمد ابي عبد الملك التيات (٤) " *

فمن الامثلة على استقادات الادباء في ذلك العصر ان ابي ابي عتيق كان يلخص شعر عمر بن ابي ربيعة على شعر الحارث بن خالد وينون : لشعر عمر بن ابي ربيعة كوة (٥) في القلب ، وعلق بالفسر ، ودراك للجاجة ليس لشعر . وكان خالد بن العاصي بن هشام يتعصب لشعر الحارث . فقال له ابي ابي عتيق : اشعر فرس من دون معناه ، ولطف مدخله ، وسهل فحريته ، ومتن حشوه ~~ولا~~ وتعطف حواشيه ، وانارت معانيه ، ~~ولا~~ واعرب عن حاجته ! فقال خالد : اليس صاحبنا الذي يقول :

اني وما تحروا غداة مني عند الحجار يتودها (٦) المثل (٧)

لو بدلت اعلى مساكنها سفلا واصبى سفلىها يحسب لو

فيكاد يعرفها الخير بها فيروها الاقواء والمحل

لعرفت مغناها بما احتملت مني الغلوغ لاهلها قبل

(١) المجلد ١ : ١٣ - ١٣٤ (٢) المجلد ١ : ١٣٤ - ١٣٥ والافاني ١٦ : ٨١ - ٩٠ وابن سلام

١٥ (٣) طبقات الشعراء ٨ (٤) الكشف عن مساوي شعر المتنبى للمصاحب بن عباد ١١١ ص ٤ - ٥

(٥) تعلق (٦) يتعصبها (٧) الحسن

فقال له ابن ابي عتيق : يا ابن اخي ، استر على نفسك ، واكتم على صاحبك ، ولا تشاهد
 المعاني بمثل هذا . اما تشير الحارث عليها حين نلب ربعها فجعل عاليه سائله ، ما بني الا ان
 يسان الله تبارك وتعالى لها حجارة من سجيل ، ابن ابي ربيعة كان احسن صحبة للربيع من
 صاحبك ، واجمل مخاطبة حيث يقول :

سائلا الربيع بالبللى ونولا هجت نمونا لي الفداة طويلا (١)

ومهما تكن الصورة السمرية طريفة في شعر الحارث بن حنبل ، فان ندد ابن ابي عتيق بشيرا الى
 مدعيه في الشهر ، وايناره المعاني احاحكة . ومن السناد من كان يرى جمال الشعر في سهولة
 لفظه وقرب معانيه الى القلب :

فيل للاصمعي : اي بيت تفوله العرب اشعر ، قال الذي يسابق لفظه معناه ، وفيل للخليل
 اي بيت تفوله العرب اشعر ؟ قال : انبيت الذي يكون في اوله دليل على قايته ، وفيل لعميرة
 اي بيت تفوله العرب اشعر ؟ قال : انبيت الذي لا يحجبه عن القلب شيء (٢) .

وند اثني عمر بن الخطاب على سمر ربيعة لانه كان : لا يقول الا ما يعرف ولا يمدح الرجل
 الا بما يكون فيه ، وانه كان لا يتبع هوشي الدم ولا يعاض في المنطق (٣) : وشبهه براهبه فيما
 يجب على الشاعر ان يتجنبه من التلم الخوشي ، رأى الاصمعي في تناثر الحروف : فلي الموشح
 ان اسحاق الموصلي اشد الاصمعي تولد في غضب المأمون عليه :

يا مسرحة الماء قد سدت موارد ، اما اليك صرسق غير محدود

لحام حام حتى لا حيسام به محلاً عن طريق الماء مطرود

فقال الاصمعي : احسنت في اشعر فيران هذا الماء ان توابست في آية الكرسي
 لعابتها ١٠ (٤) .

وانتبهوا بعض العوام المؤثر في الشعر ، دخل الشاعر ارمأة بن سمية النري على عبد الله

(١) الاغاني ١ : ١٠٩ (٢) العقد ٣ : ١٤٣ (٣) الاغاني ١ : بولاق ١ : ١٤٢

(٤) الموشح ٢٠٠

بن مروان ، وقد اوى على المائة سنة . فقال له عبد الملك : ما بني من شعر له يا ابن سمية ؟
فقال : والله ما اشرب ولا اعطرب ولا اغضب ، ولا يجيى الشعر الا على مثل هذه الحال . (١)
ونيل لتصيب : هم شعرك . قال : لا ، والله ما هم ، ولكن العشا هم . (٢) وسئل
يونس النحوي : من اشعر الناس ؟ قال : لا اوى الى رجل بعينه ، ولكني انول : امرؤ
النيس اذا غضب ، والناخبة اذا رهب ، وزهير اذا رغب ، والاعشى اذا طرب . (٣) وقال الفرزدق
اما اشعر الناس عند اليأس ، وقد ياتي علي الحين وتلح ضرب من اسون من قول بيت شعر ،
ونيل لتثير عزة : يا ابا صخر : كيف تصنع اذا عسر عليك الشعر ؟ قال : اضرب في الرباع
المحيلة والرباع المعنوية (٤) .

ومن اجمل ما انتبه اليه الاندلسيون من نغمة الوحدة في النصيدة ان ابا العباس المبرد كان
يفصل الفرزدق على جرير لان الفرزدق يجيى بالبيت واخيه جرير ياتي بالبيت وابن عمه (٥)
واخذت بدور الحصومة بالموءلين اسباع الندما واشباع المحدثين ، حتى ان الاصمعي كان يقول :
ان بناراً حانقة الشعراء ، والله نوه ان ايامه تاحرت نصنته على تير منهم . (٦) غير ان اجلى
ما وقع عليه من النقد عند موءلا ادبا ما رواه الزبير بن بكار عن عمه مصعب في شعر عمر بن
ابي ربيعة . حسن مصعب ميراث عمر الكهري . وذكر بعض اوصاف العائدة الى غربة الشاعر
النصبية . ونبه الى معايرة السعيرة الرائعة . ولم يغض سهولة شعره وحسن وصفه فقال :
راق عمر بن ابي ربيعة النامروناو نظراهم برعهم بسهولة الشعر وسدة الاسر وحسن
الوصف ودقة المعنى وصواب المصدر وانصد بلحاجة واستعوار الريع وانطاق القلب وحسن العزاء
ومخاطبة النساء وعدة المئان وبله الاستفان - لعله يشير هنا الى اتصال نفسه النصبي - واثبات
الحجة وبرجيج الشك في موضع اليقين وصدوه الاعتذار وبيع العرس وبيع العلل وطف الماسة
على المعدان . واحسن التفجع وبخل المازن واحتصر الغبر وصدق الصنا ، ان مدح اوى .
وان اعتذر ابرا ، وان تشكى اشجى ، واقدم عن حيرة ولم يعتذر بهنفة ، واسرائنم ، وفي الطير

(١) الموشح ٢٤٢ (٢) الاغانى ١ : ٣٦٦ (٣) الاغانى دار الكتب ١ : ١٠٨ (٤) العند ٣

١٤٢ - ١٤٣ (٥) الموشح ١٢١ (٦) الاغانى ٣ : ١٥٠ .

واغذ السير ، وحيرما الشباك ، وسهل وقول ، وناس الهوى ناري ، وهوى واخلي ، وحالف
 بسمعه وطرفه ، وابهم نعت الرسل وحدر ، واعلى الحرب واسر ، ووطن به واظهره ، والى واسف ،
 وانكى النهم ، وجنى الحديث وغرب صهره ليطعه ، واذل صعبه ، ونفع بالرجاء من النوا ، واعلى
 ناله واستبكي عادله ، ونغز النهم ، ~~وجنى الهوى~~ واغزو رهن منى ، واهن
 نثله ، وكان يعد هذا كله نصيحا ، فمن سهوة شعره (١) . . . ثم يورد امثلة لكل هذه
 الارصاف .

ويرى النازي ان هذا التحليل الدقيق الشامل انبج باث راسه المستنعية منه بالرأى المرتجل

.

ولا تخلو احكامهم في بعض الاحوال من معالاة واطراط : سان عبدالمطلب بن مروان احد اللصحة

اي بيت فلكه نالته العرب امدح ؟ قال : بيت جرير :

الستم خير من ركب المطايا
 وانلة واندى العالمين بظنون راح

قال . ناي بيت نالته العرب افخر ؟ قال : قول جرير :

اذا غضبت عليـم بموتيم
 حسبت النار كلهم غضابا

قال ، ناي بيت اهدى ؟ قال : قول جرير :

نضر الخلف اند من نعيم
 مذ كعبا بلغت ولا كسلايا

قال ، ناي بيت اغزى ؟ قال قول جرير :

ان الميزن التي في طرفها منى
 فتلنا ثم لم يحيين لتلنا

قال ، ناي بيت احسن تشبيها ؟ قال قول جرير :

سرى نحوهم ليل كان تبوم
 فتاديل فيهن الذبال المقتل (٢)

ولقي ابو عمرو بن العبر به الرواة فقال له : يا ابا عمرو : من ابدع النازييننا ، فقال : الذي
 يقول :

لم يظل ليلى ولكن لم اتم ومنفى عنى الكرى طيف الم

روحي عنى قليلا واعلمني انني يا عهد من لحم ودم

ثم سألته عن امدح بيت وعن اهجى بيت ، فاجابه بابيات لبشار بن برد (١)

على اننا نستطيع ان نحمل هذه الابيات على انها كانت ابداع ما يحضر النائد في وقته

من الشعر ، وعلى انه لا يقصد من هذه الحفلاء الا محرد التعبير العاطفي عن اعجابه بهذا

البيت او ذاك . على ان من غادهم من كان يتجنب هذه الاحكام الانتباطة ويتحفظ في حكمه .

وقد سئل بشار نفسه : اخبرنا عن اجود بيت للعرب ، فقال : ان تفضيل بيت واحد على

سائر شعر العرب لشديد ، ولكن احسن ليبد كل الاحسان في قوله :

واكذب النفس اذا حدثتها ان صدق الشعر يترى بالامل (٢)

وسئل نوتار بن مسافر : اعينك الله بن نيسابور في اختيار الشعراء وتذخيرهم ، وكان في هؤلاء الامراء من

حين يقولان ماذا ؟ الى آخر الرواية . . . (٣)

وكانت سائر الامراء والخلفاء كبروا ما يوسع للشعراء وتشجعهم ، وكان في هؤلاء الامراء من

يعنون بالادب ويحسنون النقد ، كعبد الملك بن مروان والتوليد بن عبد الملك وشرب بن مروان

والاحجاج بن يوسف الثقفي وغيرهم (٤) . وفي الموشح ار الراعي انشد عبد الملك بن مروان

نميدة نبلغ قوله :

اخليفة الرحمن انا معشر حلفاء نسجد بكوة واصيلا

عرب نرى لله في اموالنا حق الزكاة منزلا تنزلا

فقال له عبد الملك : ليس هذا شعرا ، هذا شرح اسلام وبراءة آية . (٥)

(١) الاغاني ٣ : ١٥٠ - ١٥١ ، (٢) كتاب : خاص الخاص : ٧٩ (٣) الاغاني ٥ : ١٥

٩٣ (٤) راجع اخبار ذلك في الاغاني : ٣٥٤ ، ٢٥٥ ، ١١٢ ، ٢٢٨ - ٢٢٩ : الاغاني

للطبر ٨ : ٣١٥ ، ٦٦ (٥) الموشح : ١٥٧ .

نظرة سريعة على المصنفات الهندية في القرن الثالث الهجري :

جاء القرن الثالث الهجري والآداب العربية في غربتها نحو الكمال . لقد سلّكت له العمود الأولي ثروة أدبية ضخمة لا تعد ، ونددنا كثيراً من الشعراء النحويين من جاهليين وإسلاميين وأمويين . وترك أبي إسب ذلك مادة غزيرة من الآراء الأدبية والاستقادات والمناقشات . واستقرت أحوال المملكة ونشط العلماء في التدوين والتأليف ، يشجعهم على ذلك الخلفاء والأمراء . واشتهر الخلفاء الأولون من بني العباس بانعتم والآداب وليس الشأن في سبيلهما كان المنصور متدماً في علم التاريخ ، وله كتاب كان يدور في أيدي الناس (١) ، وكان يحريراً بالآداب ، حسن التمييز لسرور الشعر ، انشد ، ابن خزيمة أحياناً يمدحه بها ، فقال له المنصور : أما هذا الشعر نصنير ، وأما نحن فلا نكافي إلا بالتي أحسن (٢) . وفي الأغاني أنه فقد أحد أولاده ناراد الخز ، فاستنشد أهله نصيدة أبي ذؤيب :

امن النون وربها تتوجسجج .
وانه هر ليس بمعتب من يجزع

فلم يكن فيهم أحد يحفظها . فقال : والله لمصيبتني بأهل بيتي إلا يكون فيهم أحد يحفظ هذا لذلك رعبتهم في الآداب اعظم واشد علي من مصيبتني بأبي . (٣) وعرف أرسنيه يحفظ الشعر وتغريب الشعراء والآداب إليه . وكان له كتاب يحفظ شعر راسد العرب ويؤثره (٤) وكان ابنه الناموس يامر العلماء بالمأليف وينتقى علمهم بعض البحوث ويكتبونها ويعرضونها عليه . فيقرأها ويستندها . (٥)

أخذ الأدباء في تدوين الشعر وما يحوم حوله من آراء في الآداب ورباله . وأخذوا يعرضون بتحديد الشعر وتقديم بحروقه واستنساخ مذايبه ، فلم يعد النقاد آراء منتخبة نظرية . بل أصبح لنا مستقلاً له كتبه وله رباله ،

ثان ابن سلام : وللشعر صناعة وثقافة يعرفها أهل العلم كسائر اصناف العلم والصناعات

(١) البيان والتبيين ٣ : ٢١٨ (٢) نفس المصدر : ٢٢١ (٣) الأغاني ٦ : ٢٧٢ - ٢٧٣

(٤) الأغاني ٥ : ٢٣٨ (٥) البيان والتبيين ٣ : ٢٢٣ .

منها ما تشفه العين ومنها ما تشفه الاذن ومنها ما تشفه اليد ومنها ما يلقفه اللسان . . . من ذلك الجهبذة بالدينار والدرهم ، لا يعرف جودتهما بلون ولا مس ولا طراز ولا حمر ولا صفة ، ويعرفها الثالث عند المعاينة فيعرف بمرجها وزائفا ومستوقفا ومسرعتيا . . . وكذلك يصر الرقيب فتوص الجارية نبيان : ناعمة اللون ، جيدة الشطب ، ندية الشعر ، حسنة العيس واللف جيدة النهود ، طريفة اللسان ، واردة الشعر ، فتكون هذه الصفة بمثابة دينار ومائتي دينار ، وتكون اخرى بالف دينار واكثر ، لا يجب واحدا منها على هذه الصفة . (١) راجع المكتب استنبطه الشيخ اعيان رجال الفقه الثالث اربعة : ابيات الشعراء لابن سبويه ، والبيان والتبيين للجاحظ ، والشعر والشعراء لابن قتيبة وكتاب الجديم لابن المعتز .

اما طبقات الشعراء فله اقدم كتاب نقدي رحمن الينا ، واهم ما ندرس له ابن سلام هو نقدية الشعر الموشح وقد كانت فكرة الموشح في الشعر من الحلو في عصره وكان خلف الاحمر يعترف بنحل الشعر ويقول : كنت اخذ من حماد الراوية السليم من انصار العرب واعطيه المتحول ، فيقبل ذلك مني ويدخله في اشعارها . (٢) وقال المتنبي الخبي : قد سيط على الشعر من حماد الراوية ما اسده فلا يصح اينما . غليل له : وكيف ذلك ؟ ايضاح في روايته ام يلحن ؟ قال : ليته كان كذلك ، فان اهل العلم يزدون من احط الى الخواب ، ولا ولكنه رجل عالم بلغات العرب واشعارها ومذاهب الشعراء ومغانيهم ، فلا يزال ينوز الشعر يشبه به مذهب رجز ويدخله في شعره ، ويحمل ذلك منه في الآتي فتختلط اشعارا قديما ولا يتميز الصحيح منها الا عند عام نافذ ، وابن ذلك . (٣) وقد استحدث السدي حمادا ليصدقته في ابيات منسوبة لزهير فان حماد بوضعها وانما السدي على من في قصره من العلماء : ان امير المؤمنين قد ابطل رواية حماد لزيادته في اشعار الناس ما ليس بها . (٤) وقال يونس : المعجب لمن يخذل من حماد ، وكان يكذب ويلحن ويكسر . (٥) : على ان ابن سلام بحث هذه القضية بحثا علميا مستفيضا واجاد في الرد على الواضعين واحسن في بيان الدائع لهم على ملهم وايراد الشواهد على الشعر المتحول ، قال : وكان من هجن الشعراء وانسده

(١) طبقات الشعراء ٣ (٢) الاغانى ٦ : ١٢ (٣) الاغانى ٦ : ٨١ (٤) الاغانى ٦ : ٨١-٩١ (٥) ابن سلام ص ١

محمد بن اسحاق وكان من علماء السير فنقل الناس عنه الاشعار وكان يعتذر منها ويقول لا علم لي بالشعر انما اوتيت به فاعمله ، ولم يكن ذلك له عذرا ، فكتب في السير من اشعار الرجال الذين لم يقولوا شعرا نقدوا اشعار النساء ، ثم جاوز ذلك الى عاد ونمود ، الى يرجع الى نفسه فيقول : من حمل هذا الشعر ومن اداه منذ الوف من السنين والله يقول : " وانها ملك عاد الاوتى ونمود بما ابشئ " وقال في عاد : " فهل نرى لهم من باقية " . . . وقال بنو نصر بن حبيب : اول من تكلم بالعربية اسماعيل بن ابراهيم . . . وقال ابو عمرو بن العلاء : ما لسان حمير وانما هي اليمن لساننا ولا عربيتهم بحريتها . . . (١) راجع في النشأ وطول الشعر على عهد عبد المطلب وماثم بن عدي ص ١٠ ، وذلك يدل على اسفاذ عاد ونموذج حمير ونس . (٢) قال ابن سدرم فلما راجع بنو العرب رواية الشعر اسفروا بحضر امثال شعر شعرائهم وما ذهب من ذكر وثائقهم : وكان يومئذ ثلث وثلاثهم واشعارهم وارادوا ان يلحنوا بمن له الوثائق والاشعار فنالوا على السن شعرائهم : ثم قالوا : اذابة بعد فزادوا في الاشعار . . . (٣) . . . وصنف ابن سدرم الشعراء الى طبقات ، جعل شعراء انجاشية عشر طبقات ، كل طبقة من اربعة شعراء ، واول طبقة نعم : امرأ القيس واسابغة الديبائي وزهير بن ابي سلمى والاعشى (٤) وآخر بشعراء ابيات غنية : اسحاب السراة (٥) ، شعراء اليمن اعربية (٦) ، شعراء مكة (٧) والنشأ (٨) ، شعراء الجاهلية (٩) ، شعراء اليهود في المدينة (١٠) ، وجعل الشعراء الاسريين عشر طبقات كذلك ، فزعموا ان طبقة اذولى هم : الفرزدق وجربور والاختل والرامي (١١) وزعماء الطبقة الثانية هم : الجهمي والنفاعي ونثيروذ والرمة (١٢) . . . ولم يتكلم ابن سلام عن الشعراء المحدثين ولم يذكر طبقاتهم .

وفي كتاب كتاب البيان والتبيين لنلاحظ ، ومع فيه الجاهل عاتفة كبيرة من

(١) ابن سلام ٤ باختصار . (٢) ص ١١ (٣) ابن سلام ١٤ باختصار (٤) ص ١٥ (٥) ٤٨

(٦) ٥٢ (٧) ٥٢ (٨) ٦٥ (٩) ٦٩ (١٠) ٧٠ (١١) راجع بعده من ٧٥ (١٢) راجع ص ١٢١

أخبار الشعراء والخطباء والرواة وأشعارهم وآرائهم . وبحث فيه شتى الموضوعات الأدبية المعروفة في عصره ، بحث في البيان (١) ، والبلاغة (٢) والخطابة (٣) وقد أسهب الجاحظ في كلامه عن الخطابة وأوصا فيها وفحولها مما يدل على أهمية هذا الفن في تلك الأيام . وللجاحظ في البيان والتبيين آراء أدبية قيمة نجدها في هضائف الكتاب ، فمن ذلك قوله : أحسن الكلام ما كان قليله يخفيك عن كثيره ، ومعناه ظاهر في لفظه ، وكان الله عز وجل قد البسه من الجلالة وفشاه من نور الحكمة على حسب نية صاحبه وتلوى ناله ، فإذا كان المعنى شريفا واللفظ بليغا ، وكان صحيح الطبع بعيدا من الاستكراء ومنزها عن الاختلال مصونا عن التكلف ، صنع في القلب صنيع الغيث في التربة الكريمة . (٤) .

وقال : متى شاكل إهناك الله ذلك اللفظ معناه ، وأعرب عن بحواه ، وكان لتلك الحال ومنا ، ولذلك القدر لفتا ، وخرج من سماجة الاستكراء وسلم من فساد التكلف ، كان فمينا بحسن الموضع وانتفاع المستمع ولا تزال القلوب به معمورة والصدور مأهولة . (٥) . ويلاحظ القارىء في كلام الجاحظ بذور الطريقة البليانية في النقد ، فهو يتكلم عن الالفاظ والمعاني وموافقة الكلام لمقتضى الحال ونزاهته عن الاستكراء وكل هذه أمور عني بها النقاد فيما بعد وأسهبوا الكلام فيها كما سنرى . ومن لطيف آراء هذا النائد الكبير قوله : وأنا أقول انه ليس في الأرض كلام هو امتع ولا انفع ولا آتق من طول استماع حديث الأعراب الفصحاء العفلاء والعلماء البليغاء وازعم ان سخيف الالفاظ مشاكل لسخيف المعاني ، وقد يحتاج الى السخيف في بعض المواضع وربما امتع بأكثر من امتاع الجؤل الفخم . (٦) . وقال : العتابي حين زعم ان كل من ادعيت حاجته فهو بليغ ، لم يعن ان كل من انهمنا من معاشرا المولدين والبلديين تصده ومعناه بالكلام الملحون والمعدول عن جهته والمصرف من حقه ، انه محكم له بالبلاغة كيف كان وانما عني العتابي انه يهاكم العرب جاجتكم على مجرى كلام الفصحاء . (٧) .

(١) البيان والتبيين : ٢٧ (٢) ٨٧ (٣) ٨٧ (٤) ١٥ (٥) البيان والتبيين ٢ : ٦

(٦) ج ١ : ١٣٣ (٧) ج ١ : ١٤٥ - ١٤٦ .

أما كتاب الشعر والشعراء لابن نتيبة الدينوري فقد ذكر فيه المؤلف " الشعراء "

وأزمانهم وأندادهم وأحوالهم في شعرهم ونبائلهم وما يستحسن فيه من أخبار الرجل ويستجاد من شعره ، وما أخذته العلماء عليهم من الغلط والخطأ في النظم وما سبق إليه المتقدمون فأخذ منهم المتأخرون وأخبر فيه عن السام الشعر وظلماته وعن الوجوه التي يختار الشعر عليها ويستحسن لها (١) وانتصر فيه على كبار الشعراء ومن كان الأغلب عليه الشعر (٢) .

بحث ابن نتيبة في مقدمته لفظة القدماء والمحدثين وخص منها برأى صاحب بعيد هي النبوى « فلم ينضر إلى المتقدم منهم بعين الجلالة لتقدمه ولا إلى المتأخر منهم بعين الاحتقار لتأخره ، وانتقد على بعض العلماء الذين كانوا يستجدون الشعر السخيف لتقدم ثائله ويزلون الشعر الرصين ولا عيب لهم له عندهم إلا أنه لعل في زمانهم وراوا ثائله ، ذلك لأن الله لم ينصر الشعر والعلم والبلافة على زمن دون زمن ولا خسر به يوما دون يوم . بل جعل ذلك مشتركا بينهم ففسوا بين عباده ، فوجعل كل نديم منهم حديثا في عصره ، وقد كان جرير والفردق والاختل معدون محدثين ، ثم صاروا قديما ، وكذلك يكون من بعدهم » (٣) وقد ورد في أثناء الكتاب أبيات كثيرة للقدماء كان ابن نتيبة ينتقدهم فيها جريا على مذهبه ، ولكننا نأخذ عليه أمرين : الأول أنه حين أكره رسم من الكتاب بتراجم الشعراء الأندمين ، والثاني أنه كان يتمسك بطريقة القدماء وجعلها دون غيرها مليا للشعر الجيد : فعلى الشاعر أن يبدأ بذكر الدمار والدمع والآثار يشكى ويبكى ويخاطب الريح ويستوند الرفيق ليجعل ذلك سببا لذكر أهلها الظالمين عنها ، وعليه أن يصل ذلك بالنسب ، فيشكى شدة الشوق والم الوجع . . . لا لشيء إلا لأن الله جعل في تركيب العباد محبة الغزل والفت النساء . وعليه بعد ذلك أن يشكو النصب وسرى الليل ومن ثم ينتقل إلى المديح وذكر حاجته ، ولا يجهد الشاعر إلا إذا سلك هذه

(٢) نثر المصدر : ٢

(١) الشعر والشعراء : ١

(٣) الشعر والشعراء : ٢

الاساليب وعدل بين هذه الاسام (١) ١ ١

والشعراء في نظرائهم نثيبه ، منهم المتكلف ومنهم المطبوع ، فالمتكلف هو الذي لوم شعره بالثقاف ونقده بغول التفتيش واعاد فيه النضر كرهير والحطبة وغيره . هو لا هم عبيد الشعراء الذين قدحوه ولم يذهبوا فيه مذهب المطبوعين ، بل وجدوا الاجادة كل الاجادة في الشعر الحولى المنفع المحكك (٢) . ولا ينكر ابن نثيبه جمال هذا الشعر ، ولكنه ينكر المتكلف الذي لا يؤدى المعنى بللفظ طبعي ، بل يظهر فيه ما نزل به صاحبه من طول التفكير وشدة العناء ورشح الجبين وكثرة الضرورات وحذف ما بالمعاني غني عنه (٣) .

غير ان اهم ما قام به ابن نثيبه يعود الى بذور الطريقة العلمية التي زرعها في المباحث النقدية ، تلك البذور التي نمت وازدهرت وآتت خيرا ثمارها بعد في كتاب نقد الشعر المنسوب لقتادامة بن جعفر . اخذ ابن نثيبه طرفي الكلام : اللفظ والمعنى ، ونذر لكل منهما احدى حالتين : الاجادة او الاساءة ، ومن هنا استنتج منا ييس الشعر في كتابه : فالشعراء اربعة اضرب :

١- ضرب منه حسن للفظ وجاد معناه كقول النائل :

في كفه خيزران ريحه عبق من كف اروع ، في عرنينه شم

يفضي حيا ، ويفضي من مهابة فلا يكلم الا حين يبشم (٤)

٢- وضرب منه حسن للفظ وحسلا ، فاذا انت فتشته لم تجد هناك طائلا ، كقول النائل (٤) :

ولما قضينا من منى كل حاجة ومسح بالاركان من هو ماسح

وشدت على حذب المباري رحالنا ولم ينظر القادى الذى هو رائج

اخذنا باضراب الاحاديث بيننا وسالت باعناق الطي الا باطع

٣- وضرب منه جاد معناه ولعرت الالفاظ عنه كقول لبيد :

(١) الشعر والشعراء ١ ٦-٧ (٢) نفس المصدر ٧-٨ (٣) ص ١١

الاساليب وحدل بين هذه الانسام ١ ١ (١)

والشعراء في نظرائهم نتيجه ، منهم المتكلف ومنهم المصنوع ، فالمتكلف هو الذي لم
شعره بالشكاف ونضجه ، يقول التنوير واعاد فيه النحر كرهير والحطبة وغيره . هو لا هم عبيد الشعر
الذين مضوا ولم يذموا فيه مذهب المصنوعين ، بل وجدوا الاجادة كل الاجادة في الشعر
الحولى المنطق المحلك (٢) . ولا ينكر ان نتيجه جمال هذا الشعر ، ولكنه ينكر المتكلف الذى
لا يؤدى المعنى بللفظ طبعي . بل يظهر فيه ما نزل به صاحبه من طول التفكير وشدة العناء ورشح
الجبين وكثرة الضرورات وحذف ما بالمعاني فني عنه (٣) .

غير ان اهم ما قام به ابن نتيجه يعود الى بذور الطريقة العلمية التي زرعها في المباحث
النقدية ، تلك البذور التي نمت وازدهرت وانت خيرا الثمار لينا بعد في كتاب نقد الشعر المنسوب
لعذامه بن جعفر . اخذ ابن نتيجه طرفي الكلام : اللفظ والمعنى ، ونذر لكل منهما احدى
حالتين : الاجادة او الاساءة ، ومن هنا استنتج مناقب الشعر في كتابه : فالشعراء اربعة
اضرب :

١- ضرب منه حسن للفظ وجاد معناه كقول النائل :

لي كنه خيزران ريحه عبق من كف اروع ، لي عرنه شم

يلغى حياء ويلغى من مهايته فلا يكلم الا حين يهشم (٤)

٢- وضرب منه حسن للفظ وحسلا ، نادا انت منتشته لم تجد هناك طائلا ، كقول النائل (٤) :

ولما لقينا من منى كل حاجنة وصح بالاركان من هو ماسح

وشدت على حدب الممارى رحالنا ولم ينخر النادى الذى هو راجع

اخذنا باضراب الاحاديث بيننا وسالت بافتاق الطي الا باطل

٣- وضرب منه جاد معناه ولصرت الالفاظ عنه كقول لبيد :

(١) الشعر والشعراء : ٦-٧ (٢) نفس المصدر ٧-٨ (٣) ٢٨٩٩ (٤) من ١١

ما عاتب المرء الكريم كلفه والمرء يصلحه الجليس الصالح (١)

٤- وضرب تاخر لفظه وتاخر معناه كقول الخليل بن احمد العروضي :

ان الخليط تصدع فطر يداتك اولع

لولا جوارحسان حور الدامع اربع

ام البنين واسسط ثم الرباب بهوزع

لذلت للقلب ارحل اذا بدالك اودع (٢)

لا نناقش ابن نتيبه رايه في الشعر الذي يمثل به على كل من هذه الابواب ، فاننا نختلف معه في كثير منها اختلفا كبيرا ، ولكن الذي يهمنا ان نقوله هو ان ابن نتيبه لم يضع هنا مقاييس الجودة والرداءة ولكنه بين انواع الكلام الحسن ، لم يرد ابن نتيبه في هذه المقاييس ان يبين متى يكون المعنى جيدا ومتى يكون اللفظ جيدا ، ولكنه اكتفى بان قال ، ان من الكلام ما هو جيد اللفظ والمعنى اوسى اللفظ والمعنى ، او جيد في احدهما عن دون الآخر ، وهو كما نرى تنقسم معقول ، ولكنه لا يغني عن الذوق المهدب في تمييز جيد الكلام عن رديئه .

اما كتاب البديع لابن المعتز فقد جمع فيه مؤلفه خمسة انواع من البديع . وهي الاستعارة (٣) والتجنيس (٤) والمطابقة (٥) وباب رد اعجاز الكلام على ما تقدمها (٦) ، وباب المذهب الكلامي . (٧) ، والباب الاخير غامض . ولكننا نرجح انه يقصد منه : ان يتبع الكاتب طريقة " المتكلمين " في التفكير والتعبير ، يظهر هذا اولا في قوله : ما اعلم اني وجدت في القرآن منه شيئا وهو ينسب الى " التكلف " تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا (٨) وثانيا في امثله ، وهو يدل على مثل قول الفرزدق :

ونفسك من نفسك تشفع للندي اذا قل من احرارهن شليمها .

(١) ص ٤ (٢) الشعراء والشعراء : (٣) كتاب البديع : ٣ (٤) ص ٢٥ (٥) ص ٢٦

(٦) (٧) ص ٥٣ (٨) ص ٥٣ .

ويمثل قول عبد الله بن عباس لعمر وقد سأله من ترى ان توليه حمص ، فقال : رجلا صحيحاً منك صحيحاً لك ، قال عمر : كن انت ذلك الرجل . قال ابن عباس : لا ينتفع بي مع سوء ظني في سوء ظنك بي (١) . ويمثل قول الطائي :

المجد لا يرضى بان ترضى بان يرضى المؤمل منك الا بالرضى (٢)

وند ضم المؤلف الى هذه الانواع انواعاً اخرى لم يسمها بالبديع كالاتيات (٣) واعتراض كلامني كلام . (٤) وحسن الخوى (٥) وتأكيد المدح بما يشبه الذم وتجاهل العارف (٦) ... غاية ابن المعتز هي ان يبين ان فن البديع قديم في القرآن والاحاديث النبوية واشعار المتقدمين ، وان المحدثين من امثال بشار ومسلم وابي نواس ومن سلك سبيلهم لم يسبقوا الى هذا الفن ، ولكنه كثرت في اشعارهم فقر في زمانهم ، حتى سمي بهذا الاسم لاعتراجه ودل عليه . (٧) .

وابن المعتز يحمل على الشعراء الذين افترطوا في استعمال البديع فيقول : ثم ان حبيب بن اوس الطائي من بعدهم شغف به - اي بالبديع - حتى غلب عليه وتفرغ ليه واكثر منه فاحسن في بعض ذلك واساء في بعض ، وتلك عنبي الانراط وشرة الاسراف . وانما كان يقول الشاعر من هذا الفن البيت والبيتين في القصيدة وربما قرأت من شعرا أحدهم نصاد من غير ان يوجد فيها بيت بديع (٨) ، وكان يستحسن ذلك منهم اذا أتى نادراً ، وتزداد حظوة بين الكلام المرسل . (٩) .

.....

هكذا جمع هؤلاء النقاد ما عرفوه من الآراء الأدبية وشرحوها وصنفوها ونصّلوا النول فيها وجعلوا النقد فنا مستقلاً يعتمد الذوق السليم والفكر المنطقي . وسرى ان مشاكل هؤلاء النقاد الأدبية كانت المنهل الذي يصره الأدباء في الفن الرابع ويعتمدون عليه في بحوثهم من حذيلة الأدب ومنايسه وننونه .

.....
اه .

(١) ص ٥٤ (٢) ص ٥٥ ، (٣) ص ٥٨ ، (٤) ص ٥٩ ، (٥) ص ٦٠ (٦) ص ٦٢ ، (٧) كتاب البديع : ١

(٨) الاصل : بيت بديع ، على ان سياق المعنى لا يلائم هذا الاعراب (٩) ص ١ .

الباب الثالث

مناهج النقد في القرن الرابع

أساليب النقد

الكتب الادبية التي وصلت اليها من القرن الرابع الهجري ليست في مقام واحد من الاهمية في موضوع النقد ، من هذه الكتب ما يغلب عليه الطابع الانشائي ، ويتجه الى المواضيع النفسية والوصفية ، كرسائل الخوارزمي ومنشاته ورسائل المعري والصابي* والخوارزمي وديع الزمان البهزاني ، وهي مع ذلك لا تخلو من شذرات نقدية في مقدماتها او اثنائها موصفات لها العامة يحرص فيها الكاتب باختصار رايه من ارائه في الادب ، او يصف فيها رسالة وردت اليه من صديق او يثنى فيها على اديب من اديبها* معمره ٠٠٠ ومن هذه الكتب ما تغلب عليه منه الجميع لطرائف الاشعار والخطب واثار البلغاء فلا يكون للمؤلف من النقد غير اختيارها وتنديمها على انها من غرر الكلام وملحة ، وسائر الامثال (١) ، او على ان القول الفلاني امير انوال الشاعر الفلاني (٢) ، او على انها احسن ما قيل في احد الافراس (٣) ، مثل كتاب المؤلف والمختلف للآلئ للامدي - وكتاب معجم الشعراء للمزني ، وكتاب الاجاز والاهجاز وكتاب النهاية في الترميم والكفاية وكتاب نظم الشرحل العهد للشعالي ، وهناك كتب اخرى تكثر فيها المبادئ النقدية وان لم يكن اساسها النقد كالاغانى للاصفهاني ، والعقد لابن عبد ربه ، ونبذة الدهر للشعالي ، هذه الكتب اشبه بتاريخ ادب عامة كما يمكن ان يكون هذه النوع من التاريخ في ذلك العهد ، يحرص فيها المؤلف اخبار الشعراء وطرائف شعرهم ، ويعلق احيانا على بيت الشعر فيذكر مصدره ووجه الاحسان فيه ، او يتناول شاعر الشاعر على العموم ليحللها ويحيط رايه فيها ، وربما وجدنا

(١) راجع مثلا الاجاز والاهجاز (٢) ١٨١ (٣) ١٨٥ و ١٩١ .

في هذه الكتب دراسات نقدية واسعة ، كما فعل الثعالبي في كلامه عن المتنبي ^(١) والمصاحب
 بن عباد ^(٢) ، وهناك كتب أخرى تتجه اتجاهها نقدياً خالصاً وتدور حول موضوعات خاصة ، من
 ذلك كتاب الموازنة بين أبي تمام والبحرني للامدي ، وكتاب الوساطة بين المتنبي وخصومه
 للجرجاني ، وكتاب اخبار أبي تمام للصولي ، وكتاب اعجاز القرآن للبائلي ، وكتاب الكشف
 عن مساوي المتنبي للمصاحب بن عباد ، والرسالة الحاتمية نيباً واثق المتنبي في شعره كلام
 ارسطو في الحكمة لابي علي محمد بن الحسن الحاتمي ، وهناك كتب ادبية أخرى تعالج
 النقد بصورة " تفسرية " فهي لا تحوم حول موضوع واحد وتحاول ان " يطبق " عليه نظريات النقد
 ولكنها " تقرر " القواعد النقدية بصورة عامة ؛ من هذه الكتب : الصناعتين للمسكوي ، ونقد
 النثر لقدامه بن جعفر ، ونقد الشعر المنسوب لقدامه ، واغلب الآراء الادبية التي وصلتنا
 من هذا العصر تحوم حول الشعر والشعراء ، هناك ابحاث قيمة عن النثر في مثل كتابي
 الصناعتين واعجاز القرآن ولكن الاتجاه الغالب حتى في كتاب الصناعتين ، كان الى الشعر
 والشعراء . لم نجد في نقاد القرن الرابع من يعير المصاحب بن عباد واثق الفضل بن
 العميد والخوارزمي والمزاني وغيرهم من النقاد الناقدين كبير اهتمام ، كما اهتموا بالبحرني
 واثق تمام والتمني وغيرهم من كبار الشعراء ، ولم يكن بين النقاد من يستلصي طرق هؤلاء
 الناقدين ويوازن بينهم ، كما ينول الدكتور زكي مبارك ، كما كانوا يوازنون بين البحرني واثق
 تمام ^(٣) ، وكما يوازنون معاني الشعراء واساليبهم والناظم ويردون بعضها الى بعض .
 ونريد ان نستعرض هنا مناهج مشاهير نقاد هذا العصر في تأليفهم ، ونبين اسلوبهم في
 التأليف ، ودرجة نزاهتهم في الحكم ، وهدتهم العلمية في النقد والمهمة الادبية التي
 كانوا يرمون اليها .

نلاحظ اولاً ان اسلوب الموازنة في النقد كان من اهم الاساليب التي يعتمد عليها

(١) بتيمة الدهر ١١ : ٢٨ - ١٦٢ (٢) بتيمة الدهر ٢ : ٣١ - ١١٢ (٣) النثر الفني : ج ١ ص

الادباء في الحكم على الانثاء الادبية التي بين ايديهم . فالامدى في كتابه الموازنة بعد ان يسرد احتجاج القرنيين من انصار ابي تمام والبحري بشكل المناظرة (١) ، ياخذ في تعيين طريقة في المناظرة بين الشاعرين فيقول :

" وانا ابتدى بذكر مساوي هذين الشاعرين لا ختم بذكر محاسنهما ، واذكر طرفا من مميزات ابي تمام واحالاته وغلظه ومانط شعره ، ومساوي البحري في اخذ ما اخذه من معاني ابي تمام وغير ذلك من غلط في بعض معانيه ، ثم اوازن من شعرهما بين قصيدتين اذا اتفقا في الوزن والقافية واعراب القافية ، ثم بين معنى ومعنى ، فان محاسنهما تظهر في تضاعف ذلك وتكشف . ثم اذكر ما انفرد به كل واحد منهما فنحول من معنى سلكه ولم يسلكه صاحبه ، وانفرد به بابا لما وقع في شعرهما من التشبيه وبابا للمثال اختم به الرسالة " (٢)

ولما جاء الامدى الى اختيار قصيدتين لكل شاعر ليقارن بينهما يتبين له " ان اتفاق قصيدتين في الوزن والقافية واعراب القافية لا يكاد يحصل مع اتفاق المعاني التي اليها المصداق وهي العزم والفرض " فاكفى بمقارنة المعاني وصرف النظر عن الشروط الاخرى ولكنه اختار لهذه المقارنة : افتتاحيات عموها الشعراء " التي تدور على ذكر الديار والانوار وصف المدن والاطلال والسلام عليها وتعنيه الدهور والرياح والامطار اياها ، والدعاء بالاستقبال والبكاء فيها وذكر استعجابها عن جواب سائلها ، وما يخلف قلبها الذين كانوا حلولا بها من الوحش ، وفي تعنيف الاصحاب ولومهم على التوقف بها ونحو هذا مما يتصل به من اوصافها ونعوتها (٣) " مما يعود الى معاني القدماء ولا تغفل فيه للشاعرين الا في اثنان التفليد ، وهو امر لاصلة كبيرة له بشاعرية الشاعرين وتفاوتهما ، على اننا اذا تجاوزنا للامدى عن هذه القضية ، نجد قد ولق في سائر الكتاب توفيقا حسا ، وفي هذه المقارنة الاخيرة نلاحظ نجد تفوق الامدى وبراعته في الموازنة ، لولا ان الاختيار لم يكن صالحا من اساسه .

(١) الموازنة من ص ٢٧-٢٨ نفس المصدر ص ٢٧-٢٨ (٢) الموازنة ص ٢١٤ .

وكذلك الباطلاني ، بعد ان يدرس وجوه الاعجاز في الفران ، يعمد الى طريقة
المقارنة ، فهو يوازن بين الفران وبين الحديث النبوي (١) ، وكلام الصحابة (٢) ، ونصائح الكابر
الشعراء (٣) ، ونثر امام المترسلين الجاحظ ، (٤) وهذه هي الطريقة التي يصل بها الى بيان
وجوه الاعجاز التي استنتجها للفران . وكذلك الحاتمي في رسالته التي يوازن بها حكم المتنبي
وحكم ارسطو ، والصولي في كتابه اخبار ابي تمام ، والجرجاني في الوساطة (٧) نعم كثيراً
يلجئون الى المقارنات في نقدهم .

ونلاحظ ثانياً طريقة الثعالبي والاصفهاني في بعض مندماتهما من الشعراء ، تلك
المندمات الاجمالية الموجزة التي يصح لنا ان نطلق عليها اسم " العصر الادبي " . فاما
الثعالبي فتغلب عليه طريقة (التفریط) التي يكثر فيها الثناء والاعجاب بالمتنجم ، ولكنها لا تغلو
في احبان كثيرة من تحديد حسن لاهم ميزات الشاعر الخصوصية ، يوردها الثعالبي ~~بلا~~
باسلوبه الانشائي الخلاب : فمن ذلك مقدمته عن ابي نواس الحمداني :
" كان فرد دهره ، وشمس عصره يادها ونظلا وكرما ونهلا ومجدا وبلاغته ، وبراعة
وفروسية وشجاعة ، وشعره مشهور سائر بين الحسن والجوده والسهولة والجزالة والحدوية والمخامة
والعلاوة والعتانة ، ومعه رواه الطبع وسمة الظرف وهزة الملك ، ولم تجتمع هذه الخلال لبله الا في
شعر عبد الله بن المعتز . واهو نواس بعد اشعر منه عند اهل الصنعة ونفدة الكلام ، وكان
الصاحب يقول : بدي الشعر بملك وختم بملك يعني امراء القيس وابا نواس (٥) .

ومن ذلك ترجمته لابن نباتة السعدي : " من فحول شعراء العصر وآحادهم وصدور
مفيد بهم وافرادهم ، الذين اخذوا برقاب الفوائى وملكوا ارق المعاني ، وشعره مع لوب للنظم بعيد
المرام ، مستمر النظام ، يشتمل على غرر من حرا الكلام كقطع الروض غب القطر ، وفقر كالغنى بعد اللز
وبدائع احسن من مطالع الانوار وهذا الشباب (٦) .

(١) اعجاز الفران : ٦٢-٦٤ (٢) ص ٦٥-٦٦ (٣) ٧٥-٨٥ ثم ١٠٢ او ١١٢ (٤) ص ١١٥ (٥) ينمقالدهو

١ : ٢٢ (٦) ينم الدهر ٢ : ١٤٣ (٧) الجرجاني يوازن شعر المتنبي بشعراءي نواس وابي تمام وابن
المعدل والشعراء الجاهليين .

وند امتاز الاصفياني ببراعته في تقديم بعض الشعراء بمروض على ايجازها ، دنيصة
شاملة لاهم ميراث الشاعر الفنية والشخصية ومجانبتهما للاوصاف العامة التي تصدق على كل شاعر ،
لمن ذلك ما ندم به اخبار ابي تمام : فقال :

” ابو تمام . حبيب بن اوس الطائي . . . مولده ومنشؤه بناحية منبج بقرية يقال لها
جاسم ، شاعر مطبوع لطيف الفطنة دنيق المعاني ، غواص على ما يستصعب منها ويحصر متناوله
على غيره ، وله مذهب في المطابق هو كالسابق اليه جميع الشعراء وان كانوا قد نتحوه لبه وقالوا
القليل منه ، فان له فضل الاكثاريه والسلوك في جميع طرقاته ، والسلام من شعره النادر شيء به
لا يتعلق به احد ، وله اشياء متوسطة وردية رذلة جدا ، وفي عهزنا هذا من يتعصب له ليلط
حتى يفضله على كل سالف وخالف ، وانوام يعتمدون الردى من شعره لينشرونه ويطوون محاسنه
ويستعملون الفخمة والمكابرة في ذلك ليفول الجاهل بهم انهم لم يبلغوا علم هذا وتمييزه الالهاب
فاصل ولم ثاب ، وهذا ما يتكسب به كثير من اهل هذا الدهر ويجعلونه وما جرى مجراه من
ثلب الناس وطلب معانيهم سببا للترفع وطلبا للرياسة (١) .

ومن ذلك ما ندم به ابا العتاهية :

” ابو العتاهية لقب غلب عليه ، واسمه اسماعيل بن الناسم بن سويد ومنشؤه
بالكونة ، وكان في اول امره يتخنث ويحمل زاملة الصخين ، ثم كان يبيع الفخار بالكونة ، ثم قال
الشمر نهر فيه وتقدم . وقال : اطبع الناس بشار والسيد (٢) وابو العتاهية . وما ندر احد على
جمع شعر هؤلاء الثلاثة لكثرة . وكان غزير البحر ، لطيف المعاني ، سهل الالفاظ ، كثيرا لالتنان
ليليل التكلف ، الا انه كثير السائط المرذول مع ذلك ، واكثر شعره في الزهد والامثال ، وكان يوم
من اهل عصره ينسبونه الى القول بمذهب الفلاسفة ممن لا يؤمن بالبعث ويحتجون بان شعره انط

(١) الاغاني ١٥ : ١٠٠

(٢) يعني السيد الحميري .

هو في ذكر الموت والفناء دون ذكر النشور والمعاد . وله اوزان طريقة لها ما لم يتقدمه الاوائل
فيها ، وكان ايهل الناس مع يساره وكثرة ما جمعه من الاموال . (١)

ومن ذلك ما ذكره عن شعراين المعتز :

” ومن صنع من اولاد الخلفاء ناجاد واحسن وبرع وتقدم جميع اهل عصره فضلا
وشرفا وادبا وشعرا وتصرفا في سائر الاداب : ابو العباس عبد الله بن المعتز بالله ، وامره مع
لرب عهد ، بعصرنا هذا مشهور في فضائله وادابه شهرة بشرك في اكثر فضائله الخاص والعام وشعره
وان كان فيه رنة الملكية وغزل الظرفا وهلهلة المحدثين ، فان فيه اشياء كثيرة تجرى في اسلوب
المجيدين ، ولا تنصر عن مدى السابقين ، واشياء طريقة من اشعار الملوك في جنس ما هم بسبيله
وليس عليه ان يتشبه فيها بفحول الجاهلية (٢) “

التعقيب في نسبة كتابي نقد الشعر ونقد النثر الى ندامة بن جعفر الكاتب :

اما الطريقة التي نهج عليها صاحب نقد الشعر ، فيمكن اعتبارها نموذجا كاملا للطريقة
العلمية في التتبع والتقسيم . والسبب في ذلك عند الدكتور طه حسين يك يرجع الى شيوع
الفلسفة وعلم الكلام في الاوساط العلمية عند العرب . بعد تاثيرهم بالهيلينية عن طريق
الفلسفة والعلم (٣) . يمكن اعتبار هذا الكتاب سلسلة متساكنة الحلقات ، متصلة الاجزاء ،
يستدعي بعضها بعضا ويتسم ، بحيث اتنا لو حذفنا بحثا واحدا من ابحات الكتاب لانقطعت
سلسلته المحكمة وبان فيها الاخلال :

يعرف المؤلف الشعر ويحاول ان يحدده ، تحديدا علميا فيقول : الشعر قول موزون
مقلى يدل على معنى . نقولنا قول دال على اصل الكلام الذي هو بمنزلة الجنبين للشعر
ونقولنا موزون بفصله ما ليس بموزون اذ كان من القول موزون وغير موزون . ولولنا مقلى فصل

هنا ان يفرد احكامنا النقدية عن الادب ويجعلها في مراحل ، فتسير من اللفظ الى المعنى ومن المعنى الى الوزن وهي بعد لاغنى لها في سيرها هذا عن الفكر الثابت والذوق المهذب لتقدير كل عنصر من عناصر الشعر ، وبالتالي : لتقدير الشعر على العموم فعندما يسير النائد على هذه الطريقة ^{يسير} يفتقد عليه الحكم " اذا عمل الفكر واحسن سير الشعر " وكما يشتق المؤلف انسام الشعر بعضها من بعض ، نراه يشتق اهباب الشعر بعضها من بعض كذلك . ناهواب الشعر هي : المديح والهجاء والنسيب والمراثي والوصف والتشبيه ^(١) فالهجاء ضد المديح ^(٢) ، والرثاء : مديح لى صيغة الماضي قد اضيف اليه الحزن والتفجع ^(٣) ولا ينتهي التحديد الى هذه الغاية ، بل يتعداها الى الدقائق والتفاصيل ، فللمدح حدود ، والفضائل التي يجب ان يمدح الرجل بها اربعة : العقل ، والشجاعة ، والعدل ، والعفة ^(٤) ، وهي الفضائل الاساسية ، وهناك فضائل فرعية تنتج عن امتزاج هذه الفضائل الواحدة بالآخرى . فاما ما يحدث من تركيب العقل مع الشجاعة فالصبر على الطمات ونوازل الخطوب والوفاء بالايحام ، ومن تركيب العقل مع السخاء فانجاز الوعد وما اشبه ذلك ، ومن تركيب العقل والعفة فالرغبة عن المسالة والاعتصام على ادنى معيشة وما اشبه ذلك ، ومن تركيب الشجاعة مع السخاء : الاتلاف ^(٥) ولهذه التناسيم وبروعها محاسن - ومساوى ، والكلام من هذه المحاسن والمساوى والتشيل عليها هو جسم هذا الهيكل ولوام الكتاب .

نفى كلامه عن المحاسن يذكر انواع البديع التي عرفها ، ولكنه لا يسميها بالبديع ، بل يكتفي بسرد ما يتضمن بسلسلته منها : كالتوشيح والايقال والتشيل والاراداف وصحة التفسير وصحة المناهلة وصحة التفسير ويترن المؤلف ذلك الى عصر البحوث والمطامات الادبية القيمة ليتكلم من اهمية النقد الادبي ، ومن الغلو ، والتناقض ، ونعوت الوصف ، والتشبيه ، وسائر

(١) نقد الشعر ٣٥ (٢) ص ٥٥ (٣) ص ٥١ (٤) ص ٣١ (٥) ص ٤٠ - ٤١

الابواب الشعرية .

هذه هي طريقة المؤلف في " نقد الشعر " ، وهي كما نرى طريقة فذة فادرة ،
ولذلك عرضنا هذا كمنال لادق ما وصل اليه الفكر العلمي في الادب ، ونخصه هنا الى ان
هذه التناقص الكبيرة لا تطفى على الذوق الادبي في الكتاب ، بل انما تسير جنباً الى جنب
معه ، وتثير للمقاريء طريق المعرفة الادبية والتذوق الفني .

.....

لنتنقل الان الى كتاب اخر ينصب لخدمة ابن جعفر ، ولكنه يختلف عنه اختلافاً شديداً
في الطريقة والاجاء والموضوع ، وهو كتاب : " نقد النثر " المعروف بكتاب " البيان " (١) اختلف
يشير الشكوك من الكتابين معا من حيث نسبتهم الى قدامة ، واما كتاب نقد النثر فقد سبق
ان شد فيه الدكتور طه حسين كما سنرى . واما كتاب نقد الشعر فان التناقص اليوم ~~بمجموعه~~
مجمعون على انه لخدمة ابن جعفر . على اننا نريد ان نصرف النظر عن راي هؤلاء هؤلاء
ونحقق بنفسنا في الوصول الى مؤلف كل من الكتابين . لتبين اولاً نواحي الاختلاف بين هذين
الكتابين : نجد ان هناك وجوها عدة ، نذكر منها اولاً :

(١) طريقة التفسير والتجويب ، وقد سبق ان نرحبنا طريقة المؤلف في " نقد الشعر
وقلنا انه يمكن اعتبارها مثالا حيا للطريقة العلمية الناضجة في سائر التفسير والتجويب ، وبينما
ارتباط حلقات الكتاب ببعضها ببعض وتولدها ببعضها من بعض بشكل محكم لا نستطيع معه ان
نحذف بحثاً واحداً من الكتاب بدون ان نعرضه الى الاخلال .

فاذا جئنا الى كتاب " نقد النثر " راينا اضطراباً شديداً في تسلسل البحث ، ومواضيع
متناثرة لا يتصل احدها بالآخر الا باوهى الحلات . فبينما يتكلم المؤلف عن : نسمة العليل ،

(١) راجع مقدمه نقد النثر : ٤٣

اذابه ينتقل الى ذكر وجوه البيان ، نالى الاعتبار ، نالى القياس ، نالى الاعتقاد ، نالى الاشتقاق ، نالى ابحاث صرفية خالصة فيما اعتلت ناوله ، وفيما اعتلت هيئه ، وفيما اعتلت لاسه ، نالى التشبيه والرمز والاستعارة وضروب البيان ، نالى الكلام من الشعر وضروبه من رجز ونصيده ، ومسمط نالى الكلام عن المنشور من رسائل وخطب نالى ابحاث اخرى : نى اختيار الرسول والجدل والمجادلة وادب الجدل والحديث .

وقد حاول المؤلف ان يكون نى ابحاثه من العنل والبيان بعنر الصلة ، ولكنه لم يحاول بعد ذلك ان يلتصاية رابطة بين اجزاء الكتاب .

ونحن نعتقد ان لهذا الاختلاف الشديد بين الكتابين فى المنهج اهمية كبيرة نى الدلالة على اختلاف صاحبيهما .

(٢) الوجه الثاني من الاختلاف بين الكتابين يرجع :

الى تفاوتهما نى الملدرة على النقد الادبي : وضيق بنا المجال لاستعراض الاراء الادبية نى كل من هذين الكتابين بالتفصيل ، ولكننا ننبه الى الاراء القيمة التى ادلى بها صاحب نقد الشعر عن اهمية النقد الادبي بالنسبة الى انواع النقد الاخرى (١) ، ومن التناظر (٢) ، وعن الصناعة البديعية ووجوب الاعتدال فيها (٣) ، وعن محاسن الوصف (٤) والتشبيه (٥) والمديح (٦) والهجاء (٧) وخصوما عن المبالغات الشعرية وترجيح مذهب الغلو نى الشعر على مذهب الاعتدال (٨)

فاما الاراء الادبية نى " نقد النثر " فتتجه وجهتين ، والوجهتان لانتظهران فنونا

ذا بال نى فنون النقد الادبي :

فالوجهة الاولى : تظهر نى بحثه عن العنل واصناف البيان الابعة : بيان الشيا

(١) نقد الشعر ١٢ (٢) ص ١٤ (٣) ص ٢٨ (٤) ص ٧٠ (٥) ص ٧٣ (٦) ص ٣٨

(٧) ص ٥٥ (٨) ص ١٤ .

بذواتها ، البيان الذى يحصل فى القلب عند اعمال الفكرة واللب ، البيان الذى هو نطق
باللسان ، البيان بالكتابة التى تبلغ من بعد او غاب ، كما تظهر فى كلامه من النياس والخبر
والاعتقاد (١) ، وهى بحوث ادخل فى مشاكل الفلأء والمتكلمين ومناهجهم منها فى
النقد الادبى ا .

والوجهة الثانية : تظهر فى بحوثه عن بعض ابواب البديع ، وفيها نراى المؤلف
يكاد لا يزيد عن تعريف كل نوع منها والاستشهاد عليه بالقرآن والشعر .

والذى يريد ان يتأكد من تفاوت الكتابين فى قوة النقد . فيستدوره ان يثابن بين
موضوعي " الغلو " فيها (٢) نسيجد ان صاحب " نقد الشعر " لا يكتفى بان يبحث فى المبالغة
الشعرية ويعملها ، بل انه يدافع عنها دفاع العالء لها ويفصلها على مذهب الاعتدال ،
ويتهم النقاد العرب بمناقضته انفسهم حين يرفضونها (٣) . نسيجد ان كتاب نقد الشعر يرد
بسداجة بعد ما جاء فى نقد الشعر ، ولكنه لا يتحمر لمذهب المبالغة ، ويقول ان المبالغة
حسنه والاعتدال حسن ولكل مذهب ا

على اننا لانخلي هذا الكتاب من الذوق الادبى الحسن ، ولكننا نكتفى ان ننبه
الى ان كتاب نقد الشعر اسبق وانوى فى هذا الميدان وان المذهب الاخر ، على تآثره بالاول
يجىء وراءه بمراجل واسعة .

وقد انخدع بعض الكتاب باسم قدامه ونراج يزعم ان هذا الكتاب " تشريع جديد
فى الادب العربى ، ومحاولة جريئة جدا واسعة النطاق جدا مبتكرة جدا " (٤)
والحقيقة ان كتاب نقد الشعر اسبق من ذلك بكثير ، ولئن ردد المؤلف فيه اسى
ارسطو وجالينوس نما ذلك بالدليل على ان صاحبه هو صاحب " نقد الشعر " وهو من هونى
نقاد الادب .

(١) راجع المقدمة الدكتور طه حسين : ٢٠-٢١ (٢) نقد الشعر ص ١٤ ونقد الشعر ص ٦

(٣) نقد الشعر ٣٥-٣٨ (٤) مقدمة نقد الشعر للدكتور طه حسين بك .

(٣) الوجه الثالث من وجوه الاختلاف بين الكتابين يرجع الى :

التفاوت الشديد بين الكتابين من الوجهة الدينية :

فالذى يقرأ كتاب "نقد الشعر" من اوله الى اخره لا يعرف فكرة دينية ولا بآية

لرأيه . ولا بحديث نبوى ، ولا يظهر له اثر العقيدة الاسلامية الا فى موضعين :

١-الموضع الاول فى اول صفحة من الكتاب : حيث تقرأ ما يلى :

"بسم الله الرحمن الرحيم"

رب يسر ولا تعسر

قال ابو الفرج ندامة بن جعفر : العلم بالشعر ينقسم انسابا ، وللم ينسب الى

علم عروضه ووزنه ونسب الى علم نوائيه ومقاطعته

ونحن نرجح ان البسطة وما يليها من الندما هو من وضع النساخ او الناشرين ،

بدليل عدم وجودهما فى صلب المقدمة المذكورة .

٢- والموضع الثانى فى الصفحة التاسعة والعشرين حيث يقول :

" فانه لا كلام احسن من كلام رسول (١) عليه وآله وسلم . وقد كان يتوخى

فيه مثل ذلك ، فعنه ما روى عند عليه السلام من انه هوذا الحسن والحسين عليهما السلام فقال :

اعيد لهما من السامة والمهامة وكل عين لامة . وانما اراد ملمة : فلا تباع الكلمة اخواتها

فى الوزن قال : لامة . وكذلك ما جاء عنه صلى الله عليه وآله انه قال : خير المال مكة

ماهوره ومهرة مأمورة (٢)

نعم انه يذكر عمر بن الخطاب فى الصفحات : ٢٨ ، ١٠٢ ، ١٠٤ ولكنه

لا يذكره بالتهجيل ولا يقول : رضى الله عنه ، على نحو ما يفعل علماء المسلمين عند ذكر المصطفى

(١) هكذا جاءت نائصة عن شكلها المعروف : رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

(٢) نقد الشعر ٢٩ .

لنرجع الان الى كتاب : نقد النثر ، فنجد النزعة الدينية غالبية على الكتاب في
التفكير والاستشادات واذا حاولنا ان نعدد الايات والاحاديث الشريفة والترجمات والترهيات
..... اتعبنا انفسنا اشد اتعاب !

وليس في الاستشهاد بحسب ، بل ان تفكير المؤلف من اساسه مشبع بالدين
انظر كيف يبرهن المؤلف امكانية الانتصاد في الكلام على الاكثار منه ، بقوله :
" فقد ذم الله الثثرة ، ومدح القلة ، فقال : " الا الذين امنوا وعملوا الصالحات
وقليل ما هم " وقال : " وما اكبر النامر ولو حرمت بمؤمنين " (٢)
اسموا انظر ان المؤلف في الشدب الى الاعتدال في القول ، ولكن اى مناسبة
يبيّن الله الحكمة وقلة المؤمنين ، وبين كثرة الكلام وكثرة النافذين ؟
ومثل هذا نقوله :

" ولو كان لزم السجع في النثر والافراب بيه وبى المثلث هما البلاغة لكان الله
عز وجل اولى باستعمالهما في كلامه الذي هو افضل الكلام ، ولكان النبي صلى الله عليه وسلم
والائمة اهدى من قد استعملوهما ولزموا سبيلهما وسلكوا طريقتهما . فاما ولسنا واجدين فيما
في صحاح ائدينا من كلامهم استعمال السجع والغريب الا في المواضع اليسيرة ، فهم اولى بان
يفتدى بهم ويحتذى بمنهاجهم من قد ثبت في هذا الوقت من هؤلاء الذين ليس معهم
من البلاغة الا ادعائوها ، ولا من الحكاية الا انتحلي باسمها " (١)
هذه رايث الحجة المقتضية في وجوب الانزال من التسجيع والاعزاب اذهب ان
خطيبا لزم السجع من سلام خطبة الى ختامها ، واحتذى باحدى السور القرآنية المسجعة
نماذا يكون برهان المؤلف عند ذلك بآثرى ؟
ومثل هذا كثير ، والمؤلف بعد لا يفتخر على اظهار شخصيته الدينية ، بل نراه

كثيرا ما يظهر تشييعه كما لاحظ الدكتور طه حسين في المقدمة . نال :
 "وتنوان هذه الرسالة : نقد النثر ، وهي تنسب الى قدامة بن جعفر الذي
 سبق سبق الكلام عليه . ولكن المطلع عليها يرى انها لا يمكن ان تكون له ، بل هي لى
 الغالب لكاتب شيعي ظاهر التشيع " (٣)

(٢) الوجه الرابع من وجوه الاختلاف بين الكتابين هو :

أ- في تنسيبهما للابواب الشعرية : فالاعلام من اقراص الشعراء عند صاحب

نقد الشعر هي :

المديح ، والهجاء ، والنسيب ، والمراثي ، والوصف ، والتشبيه (١)
 على حين انها عند صاحب نقد النثر : المديح ، والهجاء ، والحكمة واللها (٢)
 بد في فنية الحذف ، او كما يسميها صاحب نقد الشعر : الاختلال ، وهو ان
 يترك الشاعر من اللفظ ما به يتم المعنى ، اذا كان المخاطب عالما بالمراد ، وهو خلاف صريح
 قدامة بن جعفر في الشعر بمعيه ، واما صاحب نقد النثر فيدحه متأثرا بالروح الدينية لان في
 القرآن كثيرا من الحذف وسيمر معنا في بحثنا عن الصناعة اللفظية " باب في جمال اللها
 الالفاه " فنكتفى ان نحيل القارى اليه والى هذا البحث في الكتابين (٣)

النتيجة الاولى :

فالاختلاف بين الكتابين ظاهر قوى ، وهو يدعونا ان نشك كثيرا في انهما لمؤلف

واحد ، قدامة كان او غيره .

ونحن هنا امام امور :

(١) فاما ان يكون " نقد الشعر " من تأليف قدامة ويكون " نقد النثر " من تأليف

غيره ، وهو رأى الدكتور طه حسين .

(٢) واما ان يكون كتاب " نقد النثر " من تأليف قدامة ، ويكون " نقد الشعر " لغيره

(١) نقد الشعر : ٣٥ (٢) نقد النثر : ٧٠ (٣) نقد الشعر : ١٢٧ نقد النثر : ٥٩-٦٠

وهو ما ترجمه نحن^{ترجمه} .

(٣) وأما ان يكون " نقد الشعر ونقد النثر " معاً لفدامة بن جعفر، وهو راى

الاستاذ عبد الحميد العبادى .

(٤) وأما ان يكون الكتابان لغير فدامة . ولم يذهب هذا المذهب احد .

==:==:==

(١) راى الدكتور طه حسين : نقد الشعر لفدامة ونقد النثر لغيره تلخص

كلام الدكتور بما يلى :

" كان أول ما ظهر من تشريع الفلسفة للادب كتابا لى الشعر لفدامة بن جعفر اسمه : نقد الشعر (١) ثم يحاول الفكر اليوناني مرة اخرى ان يشرع للادب العربي ومحاولة هذه تتمثل فى رسالة محفوظة بمكتبة الاسكوريان تحت رقم ٢٤٢ عنوان هذه الرسالة : نقد النثروهى تنسب الى فدامة بن جعفر الذى سبق الكلام عليه ولكن المطلع عليها يرى انها لا يمكن ان تكون له ، بل هى لى الغالب لكاتب شيعي ظاهر التشيع ، قد كتب كتابا حدة فى الفقه وعلوم الدين يضمر اليها ويحيل عليها فى شئ من الطمانينة والارتياح ، ويرى بروكلمان ان واضع هذه الرسالة تلميذ لفدامة اسمه ابو عبد الله محمد بن ايوب (٢) .

منافسه راى الدكتور طه :

نستخلص من كلام الدكتور ما يلى :

١ - انه يماشى النظرية السائدة فى ان " نقد الشعر " من تأليف فدامة

ويستند اليها فى كلامه ، من دون ان يناقشها .

(١) مقدمة كتاب نقد الشعر : ١٢ (٢) يجيلنا الدكتور الى : دائرة المعارف الاسلامية

٢- انه ينبغي ان يكون نقد النشر لندامة لان :

ا- صاحب نقد النشر فليه شيعي يختلف في روجه عن ندامة صاحب نقد الشعر .

ب : لان بروكلمان ينسب الرسالة المذكورة الى تلميذ لندامة اسمه :
ابو عبد الله محمد بن ايوب .

لم يعد يصعب علينا ان نبين نقطة الضعف في كلام الدكتور ع . وهي
تتلخص في هذا السؤال : لماذا يمتنع ان يكون ندامة هو ذلك الفقيه الشيعي بعينه ، ويكون
كتاب نقد الشعر هو الكتاب الذي يجب ان نشك في نصيبه الى ندامة ، لا كتاب نقد الشعر ؟
الم يسلم ندامة في اواخر القرن الثالث ^(١) في رأى الدكتور ع . ، اى قبل ٢٧ سنة من وفاته
على الاقل بل كان ذلك في الحداثة على رأى الاستاذ العبادي ^(٢) ؟ الم يكن ابو ،
وهو مسيحي لم يبلغنا عن احد انه اعتنق الاسلام ، قد تخلص من الشبهة الاسلامية على عادة
على عادة كثير من زميلى الدولة لذلك العهد ^(٣) كما يمتنع ان يكون ندامة قد تبع اباة في
هذه الشبهة الاسلامية التي كان يعنى بانفائها كل رجل طمع الى المناصب العليا بعامة
والى مناصب الكتابة بخاصة ^(٤) ؟

(١) هكذا يقول الدكتور ع . في نقد النشر : ص ١٢ (٢) مقدمة العبادي لنقد

النشر : ص ٣٤ . (٣) مقدمة العبادي لنقد النشر : ٣٢ نقلا عن Journal Asiatique

... 155, 5, 1962 (٢) ذكرى الموت في الجزء السادس من معجم الادباء : ٢٠٤ ان

ندامة بن جعفر كان كاتباً لبنى بويه ، وذلك نقلاً عن " بعض متعاني الادب " وبرى العبادي
وهو على حق " ان ندامة ما زال يتقلب في الاعمال الديوانية حتى صارت اليه رئاسة الكتاب

مقدمة نقد النشر : ٣٤ . () The Encyclopedia of Islam: Kudama

ولنورد كلام بروكلمان الذي يذكر الدكتور طه انه ينسب " نقد النشر " الى

عبدالله محمد بن ايوب نماذا نال بروكلمان ؟ انه يقول في كلامه عن ندامة Kudāma /

" He devoted his leisure to belles-letters and produced a work on style and rhetoric, Kitab Nakl al-Nathr al-ma'rūf bi-Kitāb al-Bayān, edited by his pupil Abū 'Abdallāh Muḥammad b. Aiyub. (1)

وليس في كلام بروكلمان كما نرى سوى ان ابن ايوب كان نقل الكتاب عن ندامة،

مع اعتراف بروكلمان ان المؤلف هو ندامة نفسه لا تلميذه .

النتيجة الثانية : ----- وهذا هو الى ان الدكتور طه وفي غاية التوفيق حين عي ان يكون الكتابان

معاً لندامة .

ولكنه تصرع حين يسبب " نقد النشر " لتلميذ ندامة ، واعلم انه لا يمكن ان

يكون لندامة نفسه . مع اننا نعلم اني تأييد الاسناد العبادي في ترجيح هذا الكتاب له .

ونرى ان الكتاب الذي يبعد ان يؤلفه ندامة هو " نقد الشعر " لا نقد النشر .

(1) الاسم القديم للصيغة السابقة

(1) قلنا ان ندامة قد اسلم على يد الخليفة المكتبي ، ولعلنا ان اثر التشيع صاهر في كتابه نقد

النشر ، ونسبه هنا الى ان هذا لا ينافر ذلك . بالرغم من ان الحساء انبساطيين لم يتنوا على العموم

مباين الى الشيعة . فان نفوذ الخليفة وزعمته لم تكن وحدها في الميدان السياسي ، فقد كان هناك

البوهميون انصار الشيعة كما ذكرنا وكانت السلطة الخليفة بيدهم ، وميلهم هذا يفسر لنا السبب في تشيع

ندامة وفي تشيع الاصفهاني مؤلف الاغانى " راجع الاغانى ١ : المقدمة : ٢٢ " مع انه ينسب الى خلفاء بني

اميه " الاغانى ١ : المقدمة : ١٥ " وفي تشيع صاحب بن عباد وزير فخر الدولة البوهمي " الامامة " في

ذكر فضائل علي بن ابي طالب واثبات امامته " ابن خلدون ج ١ : ص ١٠٦ " ومثل الاصفهاني : ابن عبد

ربه صاحب العند بنورجن بن موالى بني امية كان يعين ابي آل البيت وتشيع لهم " ابن عبد ربه وفنده

للاستاذ جبر ٦١ " بل ان من خلفاء هذا العصر من كان تآمرا للتصحيح لاهل البيت كالمأمون والمتفد

والمنصور " راجع كتاب العند لابن عبد ربه ج ١ : ٤٢ - ٤٦ " و " ابن الرومي ٢٠٦ للعناد " .

نسارع الآن الى عرض رأينا نحن ، وهوثاني هذه الآراء ، لئلا يطول المدى بينه وبين ما كنا لاحظناه من وجوه الاختلاف الاربعة بين الكتابين ، لارتباطها بها واعتمادها عليها :
 لنذكر الآن انا كنا بينا في الوجه الثالث من وجوه الاختلاف بين الكتابين : ان الفكرة الدينية اشد ما تكون ضعفا في " نقد الشعر " على حين انها هي الفكرة الغالبة في " نقد النثر " والموجهة لكثير من مواضعه وآرائه .

ولندكر كذلك : ان الدكتور طه حسين والاستاذ العبادي ، يذكران في مقدمتيهما " لنقد النثر " ان كتاب " نقد الشعر " هو لقدامة بن جعفر ، وكان قد سبقنا الى هذا الاعتقاد ابن النديم .^(١) وابوعبدالله محمد بن عمران المرزباني .^(٢) المعاصران لقدامة^(٣) وكذلك يقول ياقوت^(٤) في معجم الادباء^(٥) ، وهو من رجال الفن السابع الهجري .^(٦)
 غير اننا نخالف هؤلاء النقاد في اعتقادهم هذا ، ونضيف ، بعد ان بينا ان الكتابين يبعدان يكونا لمؤلف واحد وان كتاب نقد التبريرج انه لقدامة من دون الكتاب الثاني ، نضيف على ذلك اننا نميل الى الاعتقاد ان كتاب " نقد الشعر " لابي جعفر ، وذلك لان قدامة نشأ نشأة اسلامية واعتنق الاسلام كما يذكر ابن النديم .^(٦) منذ صغره على يد الخليفة المكني بالله ، على حين ان كتاب نقد الشعر يكاد يخلو من كل نزعة اسلامية ، ويتأرب روح جعفر المسيحية ، وهو ترجيح منا لم نبلغ به حد التاكيد ، ولكننا نزيكه بالدلائل التالية :
 الدليل الاول : ان المطرزي ، شارح منامات الحريري ، والمتوفى ٦١٠ هـ ، يذكر من كتاب : نقد الشعر : " وقيل هو لوالده - اي لوالد لقدامة - جعفر " .^(٧)

(١) الفهرست : طبعة فلوجس : ١٣٠ (٢) الموشع : ٨١ ، ١٣٢ ، ٢٢١ ، ٢٢٥ ، ٢٣٢ ، ٢٦٥ ، ٢٢٢ ، ٣٥٤ (٣) Enc. of Islam مادة : ابن النديم والمرزباني وكذلك زيدان ج ٢ من كتاب تاريخ آداب اللغة (٤) توفى ٦٩٨ هـ : من : Enc. of Islam (٥) ج ٦ ص ٢٠٣ - ٢٠٥ الطبعة الاوربية (٦) الفهرست ١٣٠ (٧) الايضاح : الورقة ٤٠ ، نقلنا من مقدمة العبادي لنقد النثر مر : ٣٢ -

الدليل الثاني : ما ذكره العبادي نقلاً عن "فهرست دربورج رلم ٢٤٢ ح ١" قال : "وما هو جدير بالذكر في هذا المقام ان نسختي "نقد النثر" و "نقد الشعر" الخطيتين المحفوظتين بالاسكوريال ، مجموعتان في مجلد واحد ، وان الاولى دون الثانية ، هي التي تحمل اسم ندامة . (١) .

على ان العبادي اكتفى بذكر الخبر ولم يناقشه ولم يعتمد عليه .

الدليل الثالث : تلاؤم كتاب "نقد الشعر" مع مسيحية جعفر ، وتناوبه مع اسلامية ندامة ونزوفته الدينية كما تبدو في "نقد النثر" .

الدليل الرابع : تقدم جعفر بالعلم والادب في عصره ، وكفايته في التأليف ، ما يجعل ظننا ممكناً :

من هو جعفر : ولئن من هو جعفر بن ندامة والد ندامة بن جعفر ؟ هل هو كما يدعي ابن النديم : ممن لا يفكر فيه ، ولا علم عنده . (٢) ام هو كما يفون الخطيب البغدادي : احد مشايخ الكتاب وعلماهم ، وابن الادب ، حسن المعرفة ، وله مصنفات في صنعة الكتابة وغيرها ، وحدث عن ابي الحسين الضمير وحماد بن اسحاق الموصلي ومحمد بن مالك الخزاعي ونحوهم . (٣) وروى عنه ابو الفرج الاصبهاني . (٤)

فاما نحن فنميل الى رواية الخطيب البغدادي ونرجحها ، ولا سيما ان جعفر هذا

(١) مقدمة نقد النثر : ٤٣ (٢) الفهرست لابن النديم : ١٣٠ (٣) الواو الاولى زيادة من عندنا

(٤) تاريخ بغداد او مدينة السلام : المجلد ٧ ، ولد الخطيب البغدادي قرب بغداد

٣٩٢ هـ وتولي فيها ٤٦٣ هـ : عن Enc. of Islam مادة :

Khatib Al-Baghdādī بفلسم : W. Marçais

الذى ينسب اليه صاحب الفهرست الجهل وحمول الذكر ، هو من مصادر أبي النضر الاصفهاني
في كتابه الاغانى : فهو يروى عن جعفر بن اماكن كثيرة : يروى عنه في الجزء الخامس مثلا في
الصفحات : ٢٣٩ و ٢٤٢ و ٢٤٧ ،

ويروى عنه في الجزء التاسع "طبعه بولاق" ص : ١٤٢ ص ١٤٧ ، ص ١٤٤ ،
ص ١٤٥ . وفي هذه الاخبار ما يشير بصورة واضحة الى ان جعفر بن ندامة كان من المطربين الى
ابن المعتز : ينسب اليه في مجالس الطرب (١) ، ويراد به في منقذاته وسمع شعره (٢) ، وقد يتوسم
بينه وبين من يحب فيتلطف في تزيين ما بينهما (٣) ، وفي رواية ابن الفديم نفسه ما يستتبع منه مثل
ذلك ، حين يذكر ان ابن جعفر ، وهو ندامة ، كان اسلم على يد الخليفة المكتفي ، بل نرى -
الاصفهاني ، يسبح من كتاب لجعفر شعرا لادريس بن ابي حمزة برقي به اسحاق بن ابراهيم
الموصلي ، وشعرا لفرني رثاء اسحاق للشاعر محمد بن عمرو الجرجاني (٤) .
ونقول البغدادى في مقدمته نقد النثر (٥) نقلا عن الخطيب البغدادي : ان جعفر بن
ندامة كان تولى الكتابة بالديوان ، وهو منصب رفيع لابنائه رجل غافل خامل ولا شك :
النتيجة الثالثة : وليس من المستغرب بعد هذا كله ان ننزل على سبيل الترجيح الذى يكاد
يبلغ حد الاعتقاد : ان :

كتاب نقد الشعر هو لجعفر بن ندامة

وليس هو لندامة بن جعفر

:::::١١١

على اننا نريد ان نحتاط في القول اكثر مما فعلنا ، ونقول : اما لم نعد ان يكون لندامة

(١) الاغانى بولاق ج ١ : ص : ١٤٢ ، ١٤٣ ، ١٤٤ (٢) ص ١٤٥ (٣) ص ١٤٢ (٤) الاغانى

دار الكتب : ج ٥ : ص : ٤٣١-٤٣٢ (٥) مقدمة نقد النثر ص : ٣٢ لان كتاب الخطيب لم كله

يطبعه كله بعد .

كتاب اسمه : نقد الشعر ، ولكننا نقول :

" ان كتاب نقد الشعر الذى لى ايدينا يبعد ان يكون للدائمة "

انظر ماذا . يقول المرحوم العلامة الشيخ محمد محمود الشنقيطي عندما اطلع على كتاب : نقد النثر

بالاسكوريال : " كتاب نقد النثر ، المسمى بكتاب البيان ، مما عني بتأليفه ابو الفرج ندائمة بن

جعفر الكاتب البغدادي ، وهو كتاب نفيس ، لانظيره لى نثنه ، يحتاج اليه ، وما وثقت عليه بالمشرق

ولد الف كتابا اخر سماه بنقد الشعر :

ولكنه بالنسبة لهذا صغير جدا (١) .

والذى يهمنا من هذا الكثر : الفترة الاخيرة : ولكنه بالمسء لهذا صغير جدا لى

حين ان كتاب " نقد الشعر " الذى بين ايدينا لا يثل حجما عن نقد النثر ، فعدد صفحات نقد

النثر الشعرى ١٣١ - ١١ - ١١٠ صفحة ، وعدد صفحات نقد النثر هى ١٢٨ صفحة . ولكن

لنتان بين من : ١١٠ من نقد الشعر ، والمفحة ذاتها من نقد النثر ، نرى ان لى الاولى

٢٤ سطرا ونى الثانية ٢١ سطرا فقط ، على تعادل السطرين تقريبا لى عدد الكلمات .

فان هو كتاب نقد الشعر " الصغير جدا " بالنسبة الى نقد النثر ؟ اليس من

المحتمل ان يكون ندائمة ند اقتدى بابه بوضع كتابا صغيرا لى نقد الشعر ، وهذا الكتاب هو

الذى يشير اليه الشنقيطي لى كلامه السابق ؟ بلى

ومن المحتمل كذلك ان يكون ندائمة ند استغل مركزه وشهرته العلمية ، لاراد ان

يزيد فيهما محدثه نفسه ان ينتفع بمؤلفات رجل قد مات ولم يبق له من الدنيا حظ ، لهواهيه

واحرى الناس بالافاد ، منه اا نسب الكتاب لنفسه ، ولم ينظر الى الامانة العلمية لنظرنا نحن

اليها .

(١) تقرير الشنقيطي رقم ٢٤٣ " مكتبات " بدار الكتب المصرية : ص ١١ ، نفا من مقدمة نقد النثر

(٢) رأى الاستاذ عبد الحميد العبادى : نقد الشعرونقد النشر هما معا لفدامة

بن جعفر (١) . يسلم الاستاذ عبد الحميد العبادى مع الاخرين بان كتاب نقد الشعر لفدامة ولا يكلف نفسه المعاء فى تحقيق نسبة الكتاب ، مع انه يتخذها اساسا فى بحثه عن صاحب " نقد الشعر " فلن نناقشه فى هذا الا لانه يتبناه عن غيره ولا يدلي عليه بتعليق او برهان .

لنتقل اذا الى استعراض براهين الاستاذ العبادى على نسبة نقد الشعر لفدامة

فهى وان كانت تتفق معنا فيما نراه من نسبة الكتاب الى فدامة ، تخالفنا حين نرم " ان المقارنة الموضوعية بين كتابي نقد الشعر ونقد الشعرونقد تقاربا عجيبا فى كثير من المعاني فضلا عن طريقة التعبير عنها ، ما يرجح ان الكتابين صدرا عن اصل واحد " (٢) .

.....

ثبت (٣) للاستاذ العبادى ان كتاب نقد الشعر لفدامة بهذين الدليلين :

الدليل الاول : ان الكتاب لابد ان يكون قد كتب فى عصر فدامة " ٢٧٥ - ٢٢٧ -

فاسلوبه وطريقته وروحه الفلسفي اليوناني ، كل ذلك يشير الى جلاء ووسوع الى انه من اثار القرن الرابع وليس من اثار اى عصر سابق عليه . ثم انه ليس من بين الاعلام الكثيرة الواردة به علم واحد يمكن ان يقال انه متاخر عن عصر فدامة تاخرا يذكر .

وهذا دليل لاغبار عليه من جهة انه يحدد عصر المؤلف ببعض التحديد .

الدليل الثاني : فى ان احنافرة الموضوعية بين كتابي " نقد الشعر ، ونقد الشعر

الشعر ، ترى تقاربا عجيبا فى كثير من المعاني فضلا عن طريقة التعبير عنها ما يرجح ان الكتابين صدرا عن اصل واحد . (٤) .

(١) راجع مقدمة نقد الشعر من ص ٣٩ - ٤٢ . (٢) مقدمة نقد الشعر : ٣٩ (٣) هذا تعبير العبادى

بالذات : ٣٩ (٢) مقدمة نقد الشعر : ٣٩ .

ثم يورد الاستاذ العبادى اربعة امثلة يبين فيها التقارب ما بين الكتابين .

فى المثال الاول يظهر لنا التقارب ولكن فى الطريقة لالى المعنى . (١)

وفى المثال الثانى : نجد الموضوع واحدا ، ولكن الحلين مختلفان : فصاحب

نقد الشعر (*) يحاول ان ينفى كل تشاؤم بين قول امرئ القيس :

فلوان ما اسعى لادنى معيشة كفاي ولم اطلب قليل من المال

ولكننا اسعى لمجد مؤل وقد يدرك المجد المؤثر امثالي

وفولسه

فتملأ بيتنا اقدلا وسما وحسبك من غنى شيع ورى

بينما نجد صاحب " نقد النثر " (٢) يرى ذلك من قبيل " وضع المعاني فى مواضعها

التي تليق بها " فالقول الاول ينشد امرؤ القيس " فى عنوان امره وجدة ملكه " والقول الثانى

ينشد " لما زال عنه ملكه وصار كواحد من رعيته " .

فكان صاحب نقد النثر يرى ان يقول : ليس هناك تشاؤم بين قولى امرئ القيس

ولكن الشاعر مر بهما لثنتين مختلفتين نوصفهما فى شعره .

وانت ترى ان هذا الاختلاف يصح ان يكون دليلا على نظرية العبادى لالها !

× وفى المثال الثالث : نرى صاحب نقد الشعر يربط الى انه يخترع اسما للفن

البديعية من عنده ، لانه اخذ فى معنى لم يسبق اليه من يضع لمعانيه وفنونه المستنبطة اسما تدل

(١) مقدمة نقد النثر : ٢٩ على اننا لانعير اهمية كبيرة لهذا التشابه فى الطريقة لان صاحب نقد

النثر لا يفرق بين مفاهيم الشعر وبين مفاهيم النثر ، وكل ما ذكره من اوصاف حد الشعر يجب استعماله

فى الخطابة والترسل ، وكل ما ذكره من معانيه يجب تجنبه بهما " ص ٨٢ من نقد النثر وعلى هذا

فنحن لانستبعد ان يكون صاحب " نقد النثر " قد استعار هذا النوع من التحديد للبلاغة من

تحديد الشعر عند صاحب نقد الشعر كذلك - " المدهم من البلاغة هنا : النثر (١) ص ٨١ من

نقد النثر (٢) نقد الشعر ص ١٦ .

عليها (١) في حين ان صاحب : نقد النثر يتكلم عن الاختراع اللفوي بصورة عامة (٢) ، وهويبين لهذه المسألة ثلاثة حلول :

١- اما ان يستعمل الناس للمعنى الجديد كلمة معروفة من اللغة

٢- واما ان تؤخذ الكلمة الاعجمية مع المعنى الجديد الذي تدل عليه

بعد ان تعرب .

٣- واما ان تخرج للمعنى الجديد كلمة جديدة .

فان هذا لا من ذاك !! .

ولنذكر الى جانب هذا ان نضية التعريب من النضايا التي لا يصح ان يغال ان الذي

انارها هو زيد او عمر ، فهي فكرة شائعة بين لغوي ذلك العصر كله ، وادنا تواردت في كتابين

مختلفين فلا يصح ان يمتهر ذلك دليلا على وحدة مؤلفيهما .

وفي المثال الرابع (٣) يظهر لنا الشارب في الموضوع ، لاني الطريقة ، ولا في

النتيجة ، فان صاحب نقد النثر حيادي في نضية المبالغة ، كما بينا ، وهو يردد بسذاجة بعض ما

جا في " نقد الشعر " ولكنه لا يتحسس لمذهب المبالغة ، ويقول ان المبالغة حسنة والاعتدال حسن

ولكل مذهب (٤) ، ونجد في الكتابين ان صاحب " نقد الشعر " لا يكتفي بان يبحث في المبالغة

ويعللها ، بل انه يدافع عنها دفاع المؤمن بها ، ويفضلها على مذهب الاعتدال ، ويتهم النقاد

العرب بمناغاة انفسهم حين يرفضونها (٥)

فهل هذا دليل تشابه ام دليل تخالف ؟

::::::::::

ولكن لنفرض ان بين الكتابين شبها من حيث بعض المواضع والاراء ، وان هذا الشبه

كما يرمي الاستاذ العبادي ، فهل من المعقول ان نحكم بان الكتابين لشخص واحد لا شيء الا

(١) نقد الشعر ص ١٦ (٢) نقد النثر ٦٣-٦٤ (٣) كتاب الهديع لابن المعتز : ٨٠

(٤) نقد النثر المقدمة : ٤١ (٥) نقد الشعر ٧٠-٧٨

لأن في الكتابين بعض الشيء من حيث المعاني والآراء ؟

لاأعلن منصبا بهيجيز ذلك ، خصوصا اذا علم بان رجال الدين الرابع كانوا يرون الاراء

الادبية مشاعا بينهم ، وباخذون منها ويتركون ما يشاؤون . فمن الممكن ان يكون صاحب نقد الثروة اخذ عن صاحب نقد الشعر . ونقد الشعر كما يقول الدكتور طه حسين قد استغله **كلا** كل مؤلف جاء بعده دون ان يقول كلمة واحدة يفرقها له بالفضل ^(١) .

انرا معنا كلام صاحب نند الشعر في حديثه عن عيوب المدين : ومن الامثلة الجهاد

في هذا الموضع ما نال عبد الملك بن مروان لعبيد الله بن فسر الرقيات حيث عتب عليه في مدح اياه فقال له : انك قلت في مصعب بن الزبير :

انما معيب شهاب من المـــــــــــــــه تجلت عن وجهه الظلماء

وقلت فيَّ :

يأتلق التاح فوق منرفه على جبين كانه الذهب

فوجه عتب عبد الملك انما هو من اجل ان هذا الناس عدل به عن بعض الفضائل

النفسية التي هي : العذل ، والعنه ، والعدل ، والشجاعة ، الى ما يليق باوصاف
الجسم في البهاء والزينة ، وقد كنا قدمنا ان ذلك غلط وعيب (٢) .

ثم تارة هذا بكلام العسكري في "الصناعتين" عن : عيوب المديح كذلك (٣) : "ومن

عيوب المديح عدول المادح عن الفضائل التي تخص بالنظم من : العتل ، والعتة ، والعدل
والشجاعة ، الى ما يليق بأوصاف الجسم من الحسن والبهاء والزينة كما قال ابن نيسر الربيات

في عبد الملك بن مروان : ياتلق التال فوق ملونه

ومعجب عبد الملك وقال : قد نلتني مصعب : انما مصعب شهاب من اللسنة تجلت من وجهه

الصلوة : فاعطيته المذبح بكشف الفم ، وجلاء الظلم ، واعطيتني من المذبح^{بالذ} نخريه : وهو

(١) مقدمة نقد النشر : ١٧ (٢) نقد الشعر : ١١٠-١١١ (٣) الصناعتين : ٧٣

اعتدال التاج فوق جبيني . . .

فهل رأيت كيف يتحدد الموضوع والفكرة والأمثلة ، وكيف يذكر العسكري الفضائل النفسية الأربعة التي يذكرها قدامة ، ويراعى نفس الترتيب في ذكرها ؟ ومع هذا فمن يقول ان كتابي الصناعتين ونقد الشعر هما لمؤلف واحد ؟

وما يربنا تساهل الأدباء في اخذ بعضهم من بعض في ذلك الزمان : رسالة

الصولي الى ابي الليث مزاحم بن فاتك انه يقول :

" وانت اعزك الله تشهد لي من بين الناس ان ابا موسى الحامر كان يثليني عندك

وتنهاء . . . فلما تولى وحملت كتبه اليك ، وجدت اكثر ما امليته . . . قد كتبه بخطه واتخذ

اصولا ينفق منه تناريق على من ينفده ويطلب فائدته . . . وكاني اعزك الله باشد الناس حاجة

الى ما هو اوله . . . قد ادعاه بعد املائي له . . . لا ينسب ذلك الي ، ولا يعترف به لي . . (١)

ومثل هذا كثير جدا في كتب الادب ، وهو يحملنا على القول : بانه اذا كان من

المعقول ان نتخذ الاختلافات بين كتابين دليلا على اختلاف مؤلفيهما ، فانه ليس من المعقول

ان نستنتج من المقاربات بينهما دليلا على انهما لنفس المؤلف .

والا ، فما معنى ان يبرهن الاستاذ العبادي في رائل من سبكة اسطرهان

ندامة هو صاحب هذه الكتب الأربعة : نقد الشعر ، نقد النثر ، كتاب الخراج ، كتاب جواهر

الالفاظ ، لاشي الا لان : تعريف ندامة للكتابة في اول المنزلة السابعة من كتاب الخراج

انما هو من قبيل تعريفه الشعر في نقد الشعر ، والبلاغة في نقد النثر ، ولان اشارة المؤلف

في نقد النثر الى التحلية التي يستعملها الكتاب في تعريف الاشخاص تشير الى كلامه على

هذا الموضوع تفضيلا في كتاب الخراج ، ولانه يجعل حسن النظام شرطا في البلاغة كما يجعل

ترتيب الالفاظ بموجب السجعات من واجب اللغويين الذين يتصدون لجمع الكلمات اللغوية (٢)

(١) كتاب اخبار ابي تمام للصولي : ص ١٠-١٢

(٢) مقدمة نقد النثر : ٤٢

لنضع الآن أمامنا الأستاذ العبادي ورددنا عليه في صيغتها المنطقية لنتبين برصومه اتجاه
الرأيين :

الاستاذ العبادي يعتقد ان نقد الشعر لندامة	اما نحن
الاستاذ العبادي يعتقد ان نقد الشعر مشابه	فنتفق معه على ان نقد الشعر لندامة ولكننا
جدا لنقد الشعر	نرى ان روح الكتاب تخالف كثيرا لروح الكتاب
الاستاذ العبادي يستنتج ان نقد الشعر ونقد	نقد الشعر كثيرا
النثر معا لندامة	نخرج : ان نقد الشعر ، ونقد النثر :
	لا يمكن ان يكونا معا لندامة

.....

يرى القارىء ما تقدم : ان حل هاتين القضيةين (١) يعترضه كثير من العثرات
وانه من التورط الذى ياباه التحقيق العلمي ان نبت فيهما حكما جارما بعد ان تبين لنا
الغموض الشديد الذى يغمرهما ويحول دون الفهم الصحيح لهاتئهما ، غير اننا نأمل ان
تكون وفقا الى عرضارائنا بصورة منطقية واضحة ، والى ان نحمل القارىء على ان يرجع معنا
الحقائق التالية :

- ١- ان الكتابين يبعد ان يرجعا الى مؤلف واحد .
- ٢- ان كتاب نقد الشعر هو من تأليف جعفر بن ندامة ، والد ندامة بن جعفر .
- ٣- ان كتاب نقد النثر هو من تأليف ندامة بن جعفر وربما كان قد تأثر فيه بكتاب ابيه

...

...

...

نزاهة النقاد

نتنقل الان الى دراسة الناحية الثانية من مناهج النقاد . ندرس نزاهة
هؤلاء الادباء في بحوثهم ونتعرف الى الدرجة التي وصلوا اليها في تأثرهم بالروح العلمية

(١) اى نسبة كل من الكتابين الى صاحبه الحقيقي .

التي تنشأ الحليفة وتحكم العقل وتبطل عن الاهواء .

ونزاهة النائد وروحه العلمية انما تظهران في شكلهما الصريح في المواضع التي تنهم فيها النفس بما تدبئرها من العارب الشخصية والمناسبات الدنيوية ، فيعرف حين ذاك جوهرها وشرفها ، ونقاد القرن الرابع كانوا في عرفة شديدة للشبكات ، لشكن النزعات الدينية في صدورهم ، وتسلب الرواسا الادباء على عنولهم ، وتباين الاتجاهات الادبية في زمانهم ، وقد راينا ان \times مدرس نزاهة هو "الافاد في امور ثلاثة : في تقدير جمال القرآن ، وفي الموازنة بين ابي تمام والبحترى ، وفي المنزلة ^{التي} التي بها المتنبى . على اننا لانصد بذلك ان نزن احكام هو "الافاد ^{ببقاد} من حيث سلامتها اوضعفها ، وصحتها او خطوها ، ولكننا نريد ان نزن هذه الاحكام باعتبار صدقها واجتنابها دواعي العصبية ، وتعبير ادق : ان الذي يهمننا هنا روح النائد وفاقته ، لاعلمه وذكاؤه .

باما الغاية الدينية فتد صرح بها كثير من ادباء ذلك العصر ، صرح بها العسكري في خطبة كتابه : الصاعتين فقال : " ان احق العلم بالتعلم واولاها بالتحفظ ، بعد المعرفة بالله جل ثناؤه ، علم البلاغة ، ومعرفة الفصاحة الذي به يعرف اعجاز كتاب الله تعالى وقد علمنا ان الانسان اذا اغفل علم البلاغة ، واخذ بمعرفة الفصاحة ، لم يفع علمه باعجاز القرآن من جهة ما خصه به الله به من حسن التاليف وبراعة التراكيب ، وما شحنه به من الايجاز البديع والاختصار اللطيف ، وضمنه من الحلاوة ، وجلله من رونق الطلاوة (١) فنبين في من هذه الجهة ان يندم انتباه هذا العلم على سائر العلوم بعد توحيد الله تعالى ومعرفة عدله ان كانت المعرفة بصحة النبوة تنقل المعرفة بالله جل اسمع (٢) على ان غاية العسكري هذه لم تؤثر كثيرا في سير بحثه "التفري" ولعلها تنصرف على التماس الشواهد القرآنية للاراء المختلفة التي يضمنها الكتاب (٣) . ولكننا نعتقد ان

(١) الصاعتين : ٢ - (٢) الصاعتين : ٣ (٣) راجع مثلا من ٢٧٨ ، ٢٩٠

هذه النزعة الدينية في التأليف كان لها اثر كبير جدا في تدعيم الفنون البديعية التي تسلطت على الكتاب والشعر، وهذا طويلا ، وارهفت كتاباتهم وحسبت افكارهم . نال العسكري مثلا ما كان ليتوسع في هذه الفنون لو لم يجد لها الشواهد في القرآن ، وقد اورد خمسة وثلاثين فصلا بديعيا ، جلها مقدم بامثلة من القرآن (١) . ومثله : ابن فارس فهو يقول في كتابه الصاحبي " ان لا تعلم العرب اصلا ونوعا ، والناس في ذلك رجلا ن : رجل شغل بالفرع فلا يعرف غيره ، واخر جمع الامرين معا ، وهذه هي المرتبة العليا ، لان بها يعلم خطاب القرآن والسنة ، وعليها يعمل اهل النظر والفيتا (٢) .

والفصول الاولى التي كتبها ابن فارس عن لغة العرب متأثرة كن التأثر بنزعة الدينية ، فهو يزعم ان البلاغة والبيان صفتان انفردت بهما العربية ، من دون سائر اللغات لان الآية القرآنية تقول : " وانه لتخزي رب العالمين ، تنزل به الروح الامين ، على قلبك لتكون من المنذرين ، بل لسان عربي مبين " وهو يدافع عن رأيه بقوله : " فان قال قائل : قد يقع البيان بغير اللسان العربي لان كل من افهم بكلامه على شروط لغته فقد بين . قيل له : ان كنت تريد ان المتكلم بغير اللغة العربية قد يعرب عن نفسه حتى يفهم السامع مراده فهذا احسن مراتب البيان ، لان الابدكم قد بدأ بأشعار وحركات له على اكثر مراده ، ثم لا يسمى متكلما فضلا عن ان يسمى بيانا او بليغا . وان اردت ان سائر اللغات تبين ابانة اللغة العربية فهذا غلط ، لانا لو احتجنا ان نعبر عن السيف واوصافه باللغة الفارسية لما امكننا ذلك الا باسم واحد ، ونحن نذكر للسيف بالعربية صفات كثيرة ، وكذلك الامد والفرس وغيرها من الاشياء المسماة بالاسماء المترادفة . فاني هذا من ذاك ، واني لسائر اللغات من السعة ما للغة العرب (٣) ؟

(١) راجع الصناعتين ما بين ٢٠٤ - ٢٤٠ . ومن الابواب التي لم يستشهد بها بالقرآن ص ٣٠١

٣١٠ - ٣١٢ وهي قليلة جدا في الكتاب (٢) كتاب الصاحبي : ص ٢ - ٣ (٥) الصاحبي ص ١٢

وهكذا نرى ابن فارس يتعصب للبيان العربي وينكر البيان على سائر اللغات
ويرى عهنة البلاغة العربية في أن للآمد والسيف وغيرها من الحيوانات والأشياء أسماء
مترادفة كثيرة ليست في غيرها من اللغات، وكل ذلك لأن الله وصف اللسان العربي
بالبيان ١١

والبائلائي، رغم أنه وفق في إثبات حقيقته عن اعجاز القرآن، فإن النزعة الدينية
كانت تسيطر على بحثه، وتحرف به عن السبيل العلمي القويم. فهو ينتج بحثه بفصل يبرر
فيه اهتمامه بمعرفة اعجاز القرآن "بان نبوة نبينا عليه السلام بنيت على هذه المعجزة وإن كان
قد أيد بعد ذلك بمعجزات كثيرة (١)".

ولذلك نرى البائلائي يبرهن على اعجاز القرآن بالقرآن نفسه :
"فأما الذي يبين ما ذكرناه من أن الله تعالى حين ابتعثه (٢) جعل معجزته
القرآن وبنى أمر نبوته عليه فسور (٣) كثيرة وآيات تذكر بعضها ونسبه بالمذكور على غيره . . .
فمن ذلك قوله تعالى : "الر . كتاب أنزلناه إليك لتخبر الناس من الظلمات إلى النور بأن
رهم إلى صراط العزيز الحميد " فإخباره أنزله ليفتح الاهتداء به ، ولا يكون كذلك إلا وهو حجة
ولا تكون حجة إن لم تكن معجزة ، ونال عز وجل : " وإن أحد من المؤمنين استجارك فاجره
حتى يسمع كلام الله " فلولا أن سماعه آياه حجة عليه لم يوف أمره على سماعه ولا يكون حجة إلا وهو
معجزة . . . (٤) " وقال : " ثم مما يدل على هذا نوله عز وجل : " وبأولوا لولا أنزل عليه آية من
ربه ، قل إنما الآيات عند الله وأنا أنذير مبين . أولم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى
عليهم " فإخبار الكتاب آية من آياته ، وعلم من أعلاه ، وإن ذلك يتكفى في الدلالة ، ويتم
منها معجزات غيره وآيات سواء من الأنبياء صلوات الله عليهم (٥) . . .
وانت تعلم أن العلم لا يرضى بأن تتخذ هذا دليلا على اعجاز القرآن

(١) اعجاز القرآن : ٤ (٢) أي ابتعث النبي (٣) أصلها : سور والاختلاف المطبعة يظهر

أنها كثيرة في الكتاب (٤) اعجاز القرآن : ٥ (٥) اعجاز القرآن ٧ ، ٨ .

فالبالائي يريد ان يثبت نبوة النبي وان القرآن كلام الله ، باثبات الاعجاز له ، فكيف يجوز ان يعكس الحال ليهيمن اعجاز القرآن بالقرآن نفسه ؟ .

على ان اظهر ما يكون تدخل العنيدة الدينية في بحث البالائي عندما يبرهن اعجاز القرآن : في خروجه عن معروف الاساليب * وذلك ان نظم القرآن على تصرف وجوهه واختلاف مذاهبه خارج عن المعهود من نظام جميع كلامهم . ومباين للمألوف من ترتيب خطا بهم ، وله اسلوب يختص به ويميز في تصرفه عن اساليب الكلام المعتاد ، وذلك ان الطرق التي يتقيد بها الكلام البديع المنظم تنقسم الى اثار شعرية على اختلاف انواعه ، ثم الى انواع الكلام الموزون غير المفتى ، ثم الى اصناف الثامن المعدل المسجع ثم الى معدل موزون غير مسجع ، ثم الى ما يرسل ارسالاً فطلبية الاصابة والافادة انهام المعاني المعارضة على وجه بديع وترتيب لطيف وان لم يكن معتدلاً في وزن ، وذلك شبيه بجملة الكلام الذي لا يتعمل ولا يتصنع له ، وقد علمنا ان القرآن خارج عن هذه الوجوه ومباين لهذه الطرق .

وينبغي علينا ان نبين انه ^(١) ليس من باب المسجع ولا به شيء . بل منه ، وكذلك ليس هو من قبيل الشعر . لان من الناس من زعم انه كلام مسجع ومنهم من يدعى ان ليسه شعراً كثيراً فهذا اذا تأمله المتأمل تبين بخروجه عن اصناف كلامهم واساليب خطابهم انه خارج عن العادة ، واء معجز ، وهذه خصوصية ترجع الى جملة القرآن وتبميزها حاصل في جميعه ^(٢) .

فالبالائي هنا منطرف اشد الطرف ، وفقدته الدينية لا يقتضيا منه ان يقرر تفوق القرآن على سائر انواع الكلام ، بل تطالبه ان يبرهن على ان كلام القرآن قبيل وكلام الناموسيين اخر ، فليس في القرآن شعر ، وليس فيه نثر ، وليس فيه سجع ، ولو استطاع -
البالائي لنفى ان يكون القرآن كلاماً عربياً لان من الناس من يتكلمون العربية .

(١) اي : القرآن (٢) اعجاز القرآن ١١-٢٠

ونحن بان نورد طرفنا من براهين المؤلف لبل ان نتمرض لمناشته في هذا

الرأى .

(١) القرآن ليس بشعر . قال الباقلائي : " ند عطفنا علما ان الله تعالى

ننى الشعر من القرآن فقال : " وما علمنا الشعر وما ينبغي له ، ان هو الا ذكر وقران

مبين " . وقال في ذم الشعر : والشعرا يتبعهم الغاؤون وقال : " وما هو بقول

شاعر " . فان زعم زاعم انه قد وجد في القرآن شعرا كثيرا فمن ذلك ما يزعمون انه بيت تام

او ابيات تامة ، ومنه ما يزعمون انه مصراع كقول القائل :

قد قلت لما حاولوا سلوتي هيهات هيهات لما تعدون *

وما يزعمون انه بيت قوله : * وجفان كالجواب وقد ورر راسيا *

. واذا واذا كان كذلك علم ان الذى اجاب به العلماء من هذا السؤال شديد ، وهو

اسم قالوا ان البيت الواحد وما كان على وزنه لا يكون شعرا وان الشعر بيتان

. ثم يقولون ان الشعر انما يطلق متى قصد المقاصد اليه لانه لو صح ان يسمى كل

من اعترض في كلامه الفاظ تنجز بوزن الشعراء تستظم انتظام بعض الاعاريض^{شاعر} فان الناس كلهم

شعراء لان كل منظم لا يفتك من ان يعرر في جملة كلامه فيقول ما لا يتن بوزن الشعر . . .

الا ترى ان العامي قد يقول لصاحبه :

" اغلق الباب ، والتفني بالطعام "

ويقول الرجل لصاحبه :

" اكرموا من لقيتم من تميم " . (١)

قال الباقلائي : " وهذا يدل على ان ما حكاه عن الكفار من قولهم انه

شاعر وان هذا شعر ، لا بد ان يكون محمولا على ما كان يطلق الفلاسفة على حكمائهم

(١) امجاز القرآن ٢٨-٣١ . ٢٠٠٠ أضفنا هامشه

واهل الفطنة منهم في وصفهم اياهم بالشعر لدقة نظرهم في وجوه الكلام ، وطرف لهم في المنطق ، وان كان ذلك الباب خارجا عما هو عند العرب شعر على الحثيفة ، فان حمل على هذا الوجه كان ما اطلقوه صحيحا وذلك ان الشاعر يظن لما لا يظن له غيره ، واذا ندر على صنعة الشعر كان على ما دونه في رأيهم اندر ، ونسبوه الى ذلك لهذا السبب (١) .

ومما يكن الباعث الديني فورا عند الباقلائي ، فلا يسعنا الا ان نعترف له بالدقة والعمق في رايه من الشعر ، وهذا الذي عنياء من الاستشهاد بكلامه ، وننبه بخاصة الى المذموم الاخير ، ونبه يعترف بان من النثر ما يمكن ان يسمى شعرا لاحتوائه على خصائص الشعر ، وهو ما نسميه اليوم : بالشعر المشور . على ان القضية تعود حينئذ الى الاعتبار ، ويكون الاساس فيها الاتفاق الذي لا يحتمل الاخذ والرد .

(٢) نفي السجع من القرآن : - ومجمل راي المؤلف هو : " ان القرآن

لو كان سجعا لكان غير خارج عن اساليب كلامهم ، ولو كان داخلا فيها لم ينع بذلك الاعجاز (٢)

ولو جاز ان يقال : هو سجع معجزه لجاز ان يقولوا : هو شعر معجز ، وكيف والسجع ما كان يالله الكهان من العرب ، ونفيه من القرآن اجدر بان يكون حجة من نفي الشعر ، لان الكهانة تاتي النبوات ، وليس كذلك الشعر . وقد روى ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال للذين جاءوه وركلوه في شان الجنين : كيف تترى من لا يشرب ولا اكل ، (٣) ولا صا فاستعمل ، اليسر منه ند بطل (٤) . فقال : اسجعا كسجاعة الجاهلية ، وفي بعضها اسجعا كسجع الكهان قال الباقلائي : والذي يقدرون انه سجع فهو وهم " لانه قد يكون الكلام على مثال السجع وان لم يكن سجعا . . . لان السجع من الكلام يتبع المعنى فيه اللفظ وليس كذلك ما اتفق ما هو في تقدير السجع من القرآن ، لان اللفظ يقع فيه تابعاً للمعنى

(١) ص ٢٨ من اعجاز القرآن مع بعض التلخيص (٢) لاحظ ان الباقلائي يفترض هنا اعجاز القرآن

وسلم به ، في حين انه يتعدى للتدليل عليه (٣) وردت : من لا اكل ولا شرب ، وتحفظها على

العكس ، ونفيه السجع تؤيد ذلك (٤) تحفظها : بطل

ومنى ارتبط المعنى بالسجع كانت انادة السجع كانه غير ، ومنى ارتبط المعنى بنفسه دون السجع كان مستجلبا لتجنيس الكلام دون تصحيح المعنى (١) .

نأما سجع القرآن ، نسميه الباتلاني بالفواصل : قال فى فصل وجوه البلاغة :
 " وأما الفواصل فهى صفوف متشاكله فى المناطع ، يقع بها انهام المعاني ونبيها بلافة
 والاسجاع عيب لان السجع يتبع المعنى ، والفواصل تابعة للمعنى (٢) " .

منافسة راي الباتلاني : - يتيين الفارى فى مطلع كلام الباتلاني اثر النزعة الدينية الشديدة فى انحراف حجة وضعف حكمه على الاسلوب القرآني .
 المؤلف : هو تكله تمييز نوعين من النثر : الاول : هو النثر العفنى الذى يتبع فيه المعنى اللفظ والثاني : السجع .
 المؤلف : هو النثر العفنى الذى يكون اللفظ والثانية نبيه تابعين للمعنى : الفواصل . ذلك تمييز وهمى صرف . وفى القرآن نفسه لانى ما يؤيد ذلك . فقد جاءت كلمتا : موسى وهارون متتابعتين فى عدة مواضع ، فكانت كلمة : موسى تتقدم مرة على كلمة هارون وتتأخر مرة عنها تبعاً لاحكام الثانية : جاء فى الآية ٧٣ من سورة طه : " قالنى السحرة سجدا قالوا انا برب هارون وموسى " والثانية هنا الف منصورة - وجاء فى الآية ١١٦ من سورة الاعراف : " قالوا انا برب العالمين . رب موسى وهارون " فندم هنا موسى . وكذلك ندم فى الآية ٤٧ من سورة الشعراء : " قالوا انا برب العالمين . رب موسى وهارون " وفى الايتين ١١٤ ، ١٢٠ من سورة الطافات : " وباركنا عليه وعلى اسحق ومن ندرتهما محسن وظالم لنفسه مبين . ولقد لا منا على موسى وهارون " وهويناهما الصراط المستقيم . وتركنا عليهما فى الآخرين . سلام على موسى وهارون (٣) .
 ندم القرآن اذا ذكر موسى فى مواضع ، وندم ذكر هارون فى موضع واقى فيه السجع ، مع ان موسى مقدم عليه بالمعنى ، وهارون وزير - لموسى فى حرف القرآن : فقد جاء فيه على لسان موسى " واجعل لي وزيرا من اهلي . هارون اخي

(١) اعجاز القرآن : ص ٣٢ (٢) ص ١٢٢ (٣) راجع لهرست القرآن لغولجل : مادة : هارون

اشدد به ازرى . واشركه فى امرى (١).

ولم يخف على البافلاى الحل المعنوى لهذه المشكلة التى اثارها ولكنه تهرب منه وزعم ان الكلام فيه خارج عن غرض كتابه :

" فان نيل نقد يتفرق فى الفزان ما يكون من الفييلين جميعا ، فيجب ان نسموا احدهما سجعاً قبل : الكلام فى تفصيل هذا خارج عن غرض كتابنا (٢) . "

وثانى ما نأخذه على البافلاى ان معنى الاسلوب : غامر فى ذهنه ، فهو يظن ان الشعر والسجع والنثر هى اساليب الكلام ، وبما ان للفزان اسلوبا خاصا ، فالفزان ليس بالشعر ولا بالنثر ولا بالسجع ، على اننا نرى من البديهي ان الشعر والنثر والسجع من انواع الكلام وليس من اساليبه ، والاسلوب لا ينف عند اختيار احد هذه الانواع ، بل يتعدى ذلك الى اختيار كل كلمة ، وإلى ترتيب كل جملة ، بل انه يتعدى الغالب اللفظي كله الى روح الشاعر على العموم : فمن روح هادئة ، الى روح ثائرة ، الى اخرى ساخرة اوراضية ، مستهشرة او متشائمة والشعر نوع من انواع الكلام ، وهو بحد ذاته يحتمل اساليب تختلف باختلاف الشعراء ، فاسلوب امرى ، الفير هو غير اسلوب زهير ، واسلوباهما يخالفان اسلوب ابى تمام وكذلك السجع على اساليب تختلف باختلاف المتكلم ، وسجع الفزان على اسلوب ، وسجع الكهان على اسلوب اخر ، وكلاهما سجع ، ولكن اين سجع الكهان من سجع الفزان ؟

غير ان نزعة البافلاى الدينية تآبى عليه الا ان يلتزم اعجاز الفزان فى خروجه من انواع الكلام المألوفة . ونسأل : ترى : الا يمكن ان يجىء الاعجاز فى تحسين احد هذه الابواب والتفوق فيها الى حيث لا تمتد قدرة البشر ؟

لم يغب هذا السؤال عن بال المؤلف ، فقد ذكرنى كتابه راي من يقول بان

القرآن مختلط من أوزان كلام العرب ، فليس من جنس خطبهم ورسائلهم وسجعهم وموزون (١)
كلامهم الذي هو غير مثلي ، ولكنه ابداع فيه ضربا من الابداع لبراعته ونصاحته (٢) .

ولكن البائلي لم ينتج بهذا الرأي ورد عليه بقوله : " ولو جازان بلال هو
سجع معجز لجاز لهم ان يقولوا شعر معجز (٣) " ١١٠ ولماذا يستحيل على الله الاعجاز في
الشعر اعجازه في غيره ؟

ومثل البائلي صاحب نقد النثر حين يفضل الاعجاز في الكلام على الاكثار منه .
لفلة المؤمنين وكثرة الكافرين (٤) ١٩٠

كانت النزعة الدينية من اهم الدوافع التي حدثت بالسلف الى الابتكار والتأليف .
ولكنهم كانوا كثيرا ما يسبقون منهم الدين ويسلكون في البحث مسالك لا يرضاها العقل السليم
وما هي من الدين في كثير ولا ليل .

.....

نزاهة النقاد في الحكم على أبي تمام والبحتري :

وهذا مجال اخر نبين فيه استقامة النقاد ونزاهتهم في الحكم ، لقد كان هذان
الشاعران في عصرهما واحصر الذي يليه شغل الادباء وموضوع جدالهم ، وقد قادهم ذلك
الى استكشاف الخصال الشعرية لكل منهما والمقارنة بين طريقتيهما والمناقشة بينهما ، واهم
ما خله لنا ادباء القرن الرابع في هذا الموضوع : كتابات : الاول كتاب اخبار ابي تمام لابي
بكر محمد بن يحيى الصولي ، والثاني : كتاب الموازنة بين ابي تمام والبحتري للامدي .
كان الادباء ليرغبين : ليربنا يتمصب لابي تمام ويندمه على غيره من الشعراء من
اجل جوده وسامحه في رده وتجاوز له من خطئه ولتسره التناول البعيد . ويربنا يتمصب

(١) يريد الكلام المتوازن وهو ما نسميه بالازدواج (٢) اعجاز القرآن : ص ٢٤ (٣) اعجاز القرآن

: ص ٣٢ (٤) نقد النثر ص : ١١١ .

عليه وبخسه عنه ، ويطرح احسانه وينعى سيئاته ويندم عليه من هو دونه ^(١) . من هؤلاء النقاد الذين انطوا نى استنكار طريفة الشاعر الكبير : ابو العباس احمد بن عبيد الله بن عامر . قال الامدى عنه : " ما علمته وضع يده من غلظه وخطئه الاعلى ابيات يسيرة ولم يتم على ذلك الحجة ، ولم يهتد لشرح العلة ولم يتجاوز فيما نفاه بعدها عليه الابيات التي تضمن بعض الاستعارة وهجين اللفظ ، وقد بينت خطأه فيما انكر من الصواب نى جزء مفرد ^(٢) " .
ومنهم ابو علي محمد بن العلاء السجستاني ، قال الامدى : " سمعته يقول انه

ليسر له معنى - اى لابي تمام - انفرد به فاختره الاثلاثة معان ، وهى قوله :

تأبى على التصريد الاناللا الايكن ما نراحا يمزق
نزرا كما استكرهت عابر نفحة من ناره المسك التي لم تفتق

وقوله

بني مالك قد نهبت خامل الثرى نبوركم مستشرقات المعالم
رواكذ نيس الكف من متناول وليها على لا تترقى بالسلام

وقوله

واذا اراد الله نشر فضيلة طويت اتاح لها لسان حسود
لولا اشتعال النار فيما جاورت ما كان يعرف طيب عرف العود
ولست ارى الامر على ~~هذه~~ ما ذكره ابو علي ، بل ارى ان له على كثرة ما خذه من اشعار الناس ومعانيهم مخترعات كثيرة وبدائع مشهورة . وانا اذكرها عند ذكر محاسنه ان شاء الله تعالى ^(٣)

على ان النقاد كانوا انرب الى النزاهة وابعد عن الغرض الشخصي نى حكمهم على ابي تمام ، ولعل مرجع ذلك الى ان الموت كانه قد اختطف الشاعر منذ امد بعيد ^(٤)

(١) الموازنة بين ابي تمام والبحتري : ص ٧٢ (٢) الموازنة ٧٣ (٣) كتاب الموازنة ص : ٧١

(٤) توفى ابو تمام : ٢٢٨ هـ او : ٢٣١ هـ من Abi Tamman
بالم
D.S. Margolichuth Ency. of Islam
 مادة

وطوت السنون ما بينه وبين خصومه من بغضا ، ولم يبق بين النقاد غير الحفيظة الادبية كما يراها الذوق وينضي فيها العذل ، وهذا هو ~~الاصح~~ الامدى ، لا يخفى ميله الى " الموازنة " الى البحترى ، ولكنه لا يغمط ابا تمام فضله " ويستعين بالله على مجاهدة النفس ، ومخالفة الهوى وترن التحامل (٢) " ، وقد سلك فى كتابه مع ابي تمام الطريق الذى سلكه مع البحترى ، فانه ذكر سرقات ابي تمام وغلطاته وساقط شعره واحالاته ، ثم ذكر مثل ذلك للبحترى ، وانرد فصلا خاصا ذكر فيه ما اخذه البحترى عن ابي تمام (٣) . ثم اشترط على نفسه حين اخذ يعدد معائب ابي تمام " ان يسقط منها كل ما يحتمل التأويل ويدخل تحت المجاز وتلوح له ادنى علة (٤) " ولم ينف انصاف الامدى عند هذا الحد ، بل تجاوز ذلك الى ان الف كتابا فى الرد على ابن عمار فيما خطا فيه ابا تمام (٥) .

وكان اكثر اصحاب البحترى على طريقة الامدى فى انصاف ابي تمام ، فانهم « لم يكونوا ليدفعوا ابا تمام : عن لطيف المعاني ودنيئتها والايداع والاغراب فيها . . . ويقولون انه وان اختلف فى بعض ما يورده فان الذى يوجد فيها من النادر المستحسن اكثر مما يوجد من السخيف المسترذل وان اهتمامه بمعانيه اكثر من اهتمامه بتفويص الفاظه على كثرة غرامه بالطباق والتجنيس والمعاشاة ، » (٦) وانه اذا لاح له اخرج به الى لفظ استوى من ضعيف او قوى (٧) .
نال الامدى يعجب على ذلك : اذا كان هذا هكذا فقد سلموا له الشيء الذى هو فالة الشعراء وطلبتهم : وهو لطيف المعاني ، وهذه الخلعة دون ما سواها فضل امرؤ النفس ، لان الذى فى شعره (٨) من دنيق المعاني وبديع الوصف ولطيف التشبيه وبديع الحكمة فوق ما استعار سائر الشعراء من الجاهلية والاسلام حتى لا تكاد تخلوله نصيدة واحدة

(١) الموازنة ٢١٤ (٢) الموازنة ١٦٣-١٨٦ (٣) الموازنة : ٢٣ (٤) راجع مقدمة : المؤلف

والمختلف للامدى : الوجه الثانى (٥) الموازنة ٢١٠ (٦) اى شعرا ابي تمام .

من ان تشمل من ذلك على نوع وانواع (١) ،

كذلك كان موقف الصولي وهو ممن يميل الى ابي تمام والف كتابه " بقصد
تبين فضله والرد على من جهل الحق فيه (٢) " : فهو ان يقدم شاعره على البحترى (٣) يقدمه
عن عنيد ، واجتهاد ، لاعتن عصبية مزدوجة في نفسه . ومثله اكثر انصار ابي تمام الذين يحكمهم
من الشعر : دقة معناه ، وطلاقة روعه حكمه ، ولطيف تشبيهه ، فهم : لا يدعون البحترى عن
حلواللفظ وجودة الوصف ، وحسن الديباجة ، وكثرة الما ، وسرونه في ذلك اسلم طريقة من ابي
تمام ، ولكنه يجي بعده شاعرية ومعنا (٤) .

من اجل هذا لا يرى بعض الحيف فيما يذهب اليه الاستاذ احمد امين من

اتهام الامدى والصولي بالعصبية في حكمهما على الشاعرين حين يقول :

" الف الامدى كتابه : الموازنة بين ابي تمام والبحترى ، يتعصب فيه للبحترى من

وراء حجاب والف الصولي هذا الكتاب - يعني كتاب اخبار ابي تمام - يتعصب فيه لابي تمام (٥) .

ونرى بعيد في نظرنا بين التفضيل الذي يكون اساسه الاجتهاد النزاهة ،

وبين التفضيل الذي يكون اساسه العصبية والاهواء ، ومجرد التفضيل لا يعني العصبية التي

يتم بها الاستاذ .

على ان من اجمل ما نراه للاصفهاني في كلامه عن ابي تمام ، قوله في العطف

على ارباب الذوق والفكر وفي وجوب الحرمة لهم والترقى في الرد عليهم :

" لا يجوز لنا ان يغمط حق الشاعر كله اذا احسن الكثير وتوسط في البعض

وفصرني اليسير ونسب الى التفسير في الجميع لنشر المنافع وطي المحاسن ، نلوشا ان يفعل

هذا كل احد بمن تقدم لوجد مساعا وانما على الانسان ان يحفظ من الشئ احسنه

(١) الموازنة ٢١٠ (٢) اخبار ابي تمام : ص ١ . (٣) راجع مثلاً ص ٧٢ من كتاب اخبار ابي تمام ،

وص ٧٦-٨٨ (٤) الموازنة ٢١١ (٥) مقدمة كتاب اخبار ابي تمام ص : ٢٢٢ هـ

ويلقي مالم يستحسنه (١) .

نزاهة النقاد في الحكم على المتنبي :

أما المتنبي نشان النقاد معه في هذا العصر يختلف عن شأنهم مع أبي تمام ، فقد كان المتنبي معاصرا لهم ، منهم من اتصل به كابي علي الحاتمي (٢) وابن خالد بن التحوي (٣) ومنهم من راسله واستزاره كالصاحب بن عباد (٤) . ولذلك نجد المتنبي عرضه لحسد هؤلاء النقاد وهذا لانتقاداتهم . وقد زادهم نفعة عليه وحسدا له انقطاعهم دونه في الشاعرية والشهرة ، والعظيم محسد في كل زمان ، ويكفي دليلا على جلالة قدره وانتشار صيته ان يحرض كائنوا الاخشيدى عليه ليناخر به الموت (٥) ، وان يطمع الوزير المهلبى الى مديحه ، وان يعمده صاحب ابن عباد بمناظرته جميع ماله اذا فسد ، ومدحه (٦) ، وان يكون شغل الادباء الشاغل في عصره حتى ذكر ابن خلكان عن احد مشايخه انه وقف له على اكثر من اربعين شرحا ما بين مطولات ومختصرات (٧) منها واحد الكبير التحويين في عصره : ابن جني ، واخر للفيلسوف الشعراء المعري . قال الشعالي " فليس اليوم مجالس الدرس اعمر بشعرا بي الطبيب من مجالس الانس ، ولا انلام كتاب الرسائل اجرى به من السن الخطباء في المحافل ولا لحن المغنين والفوالين اشغل به من كتب المؤلفين والصنفين . وقد ألقت الكتب في تفسيره وحل مشكله وعوضه ، وكثرت الدفاتر على ذكر جيده ورديته ، وتكلم الاناضل في الوساطة بينه وبين خصومه والانصاح عن ابتكار كلامه وعونه وتغنوا نرنا في مدحه والندح فيه والنضج عنه والشعيب له وعليه وذلك اول دليل دل على وفور فضله وتقدم ندمه وتغرده عن اهل زمانه بملك رقاب الفوالي ورق المعاني ، والتكامل من عدت سلطانه والسعيد من حسبته هفواته وما زالت الاملاك تهجي وتمدح (٨) ،

(١) الاغانى بولاق ١٩٠ : ١٤١ (٢) راجع ابن خلكان ١ : ٧٢٨)

(٤) يتيمة الدهر ٨٦ : ٨٧ (٥) ابن خلكان ١ : ٥١ وفي شعر المتنبي يجبو هذا الملك

جوعان ياكل من زادى ويسكني لكي يقال عظيم القدر مقصود :

العرف الطبيب ص : ٥٥٠ (٦) يتيمة الدهر ٨٦ : ٨٧ (٧) ابن خلكان ١ / ٥١ (٨) يتيمة الدهر

وكان اعتداد المتنبي بنفسه وشعوره بالتفوق على الناس الى درجة الاحتقار

اي محل ارتقى اي عظيم انى

وكل ما قد خلق الله ————— وما لم يخلق

محترقنى همتي كشمعه لى ملرني (١)

فى طبيعه الاسباب التي ألبت الشعراء والنقاد عليه نأوسعوه — سخرية وهجاء .

قال المتعالي : " ولما قدم أبو الطيب من مصر بغداد وترفع عن مدح المهلبى الوزير ذهابا لنفسه عن مدح غير الملوك شق ذلك على المهلبى فأغرى به شعراء بغداد حتى نالوا من عرضه وتباروا فى هجائه ، وبهم ابنه الحجاج وابن سكرة الهاشمي والحاتمي ، واسمعوه ما يكره وتماجنوا به وتنادروا عليه ، ولم يجيبهم ولم يفكر فيهم ، وقيل له فى ذلك ، فقال : انى فرغت من اجابتهم بنولي لمن هم ارفع طبقة منهم فى الشعراء .

ارى المتشاعرين غلوا بذي ومن ذا يحمد (٢) الداء العضالا

ومن يك ذا لم مريض يجد مرا به الماء السزلا

ونولي :

انى كل يوم تحت ضبني شومر ضعيف بناونى نصير يطاول

لساني بنطني صامت عنه عادل ونلي بعصتي ضاحك منه هازل

واتعب من ناداك من لا تجيبه واغبط من عاداك من تشاكل

وما التبه طبعي ليهم فيرانني بنخير الى الجاهل المتعائل (٣)

وكذلك كان حال صاحب معه ، نانه استزاره بكتاب يلاطفه فيه ويضمن له مشاطرته

جميع ماله ، فلما لم يجبه على كتابه وترفع عن زيارته ومدحه ، اتخذها صاحب غرضا يرشقه بسهام —

(١) العرف الطيب : ٣٤ ومثل هذا كثير مشهور فى شعر المتنبي (٢) وردت يحمل فى يتيمقالدهر

على اننا اخترنا اللفظ كما ورد فى العرف الطيب ١٤٢ (٣) يتيمة الدهر ١١ ٨٥-٨٦

الونيعة ويتنح سقذاته (١) . ومن افر ما ولا وصلنا من تنجم الادبا عليه خبر المناهلة التي كانت بينه وبين الحاتمي ، وقد ذكرها ابن خلكان كما وصفها الحاتمي وهو يزعم انه لابل ابا الطيب في داره فآزور عنه المتنبي ولم يعره اهتمامه لتحدو عليه الحاتمي تحدر السيل يلومه ويعنفه على تبهسه وعجه مع انه لا يعدوان يكون شاعرا متكسبا ، والمتنبي يعتذر ويرغب في الصبح والاغتفار ويكرر الايمان انه لم يعتمد التفسير (٢)

ليس من العريب اذا ان يكثر النقاد من الكلام عن المتنبي ، وان يتعصب عليه جماعة منهم ويتبعون سقذاته ويخفون محاسنه ، يدنعم الى ذلك البغضا وحب التشفي . ومع التسليم بان ذوق هو لا النقاد من امثال صاحب والحاتمي بخالف في " واقعته " ذوق المتنبي " ومثاليته " ، فاننا لا نخالنا الرية في ان الخصومة بينهم وبين ابي الطيب لم تنف عند اختلاف الازواق وتباين الاراء ، بل تجاوزت ذلك الى العصبية البغيضة والحقد العميق ، وللشاعرية صامت معلومة برغم تعدد المذاهب الادبية لايسع الاديب النصف نكرانها . وهذا هو صاحب بن عباد نفسه قد سئل عن المتنبي فقال : انه بعيد العرس في شعره كثير الاصابة في نظمه (٣) ، وقد جمع لفخر الدولة نخبة من امثال المتنبي وحكمه (٤) ، ولم يتراجع عن حل شعر المتنبي . وقد ذكر الثعالبي بعض ذلك في البيتية (٥) وعقب عليه بقوله : وهذا غير من فيض ما افترقه صاحب من بحر المتنبي وتمثل به من شعره ، ولو ذكرت نقائره لامتد نقر هذا الباب (٦) ، وهذا هو الحاتمي يشهد ان ابا الطيب من صدور العصرين كما ان مسلم بن الوليد من صدور المحدثين والاعشى من صدور شعراء الجاهلية (٧) .

فليس في الامر ما يحتمل ان يؤول على انه نظر خاص واجتهاد شخصي ، وانما هو التعصب المحض والغفل الدفين ، وقد / ظهر ذلك في قول الحاتمي : " ولم يكن هناك مزنة يتميز

بيتية الدهر ١ : ص ٧٧
(١) راجع كتاب المناهلة لابن خلكان (٢) ابن خلكان ١ : ٧٢٨ - ٧٣١ (٣) الكشف عن

مساوي المتنبي للمصاحب بن عباد : ص ٢ : (٤) نفس المصدر ص ١١ (٥) بيتية الدهر ١ : ٨٧ - ٩٠

(٦) نفس المصدر : ٩٠ (٧) خاص الخاص للثعالبي ٢٨ .

بها ابو المتنبى ١٠٠٠٠ الا الشعر ولعمري ان انثائه كانت منه رطبة ومجانية عذبة . فنهدت له
متتبعا عواره . ومنلما اظانته ومذيعا اسراره وناشرا مطاويه ، ومنقدا في نظمه ما تسع فيه . (١)
اما صاحب نقد الفرسات في : الكشف عن مساوي شعر المتنبى ، وعنوان
الرسالة يرينا ناحية الجور والتعامل الى تسود الكتاب ، اذ ان صاحب الكنى في نقده يذكر
زلات الشاعر ورغب عن محاسنه ومواطن الشاعرية في قصائد . ونحن لانخلي صاحب من الانتقادات
الصحيحة في كتابه ، وهو اديب كبير ، بارع النقد ، دطن الى عيوب الكلام ، حلوا تهكم ، لولا
ان ذلك كثيرا ما يشوبه التفرض واللوم ونمثل على ذلك من نقد صاحب بما يلي :
" وكانت الشعراء تصف المآزر لافاضها عما يستبشع ذكره ، x حتى تخطى هذا
الشاعر المطبوع x الى التصريح الذي لم يهتد له غيره ، فقال :

اني على شغفي بما في خمرها لاغفها في سراويلاتنا
وكثير من العهد احسن من عنائه هذا (٢) .

وقال والتعامل واللوم باد في كلامه :

" وهذه الحكمة التي ذخرها ارسطا طاليس x واعلاطن لهذا الخلف الصالح -
يعني المتنبى - وليس على حسن الاستنباط نياس (٣) .

ومن ذلك قوله :

" وهذا التحاذق كغزل المعجائز نبيحا ، ودلال الشيوخ سماجة ، ولكن بني ان يوجد

من يسمع "

وقوله :

" فان نول المتنبى : الدولات ، وتدول ، من الالفاظ التي لوزق فخل السكوت

(١) ابن خلكان ٧٢٩ : (٢) الكشف عن مساوي شعر المتنبى : ٢٦ (٣) ص ١٦ (W)

عنها لجاز (١) .

ونوله

وانا انول : ليت حواء غنمت ولم تات بمثله ، بل ليت آدم اجهنر ولم يكن من نسله (٢) .

ونوله

"ولو لم يتكلم في الشعراء الا من هواهله لما سمع مثل هذا . ولكن الكلام قد جرى فيه مجرى الكلام في سعد وبلال والخليدية (٣) .

وليت شعري اذا لم يتكلم المتنبي فمن يتكلم ؟ وهل في هذه الروح

المنافضة ما يدع الشاعر الى الانتعاض بكلام نائمه مما اصاب في نده ؟

وكذلك تجد العسكري يتحامل على المتنبي ، ولا يذكره مرة بخير ، ولكنه يمثل بشعره

على الشعر الردي ويعرض به ما سنحت له القوس (٤) .

الى جانب هؤلاء النقاد المتفرضين ، نرى سفا اخر من الادباء يحملون راية النقد

النزيه هو هؤلاء النقاد هم الذين انزلوا المتنبي في منزله ، بعد ان درسوا مختلف وجوه شاعريته

فعرفوا مواطن الضعف والقوة فيها .

من هؤلاء النقاد : ابو منصور الشعالبي صاحب كتاب البيئمة ، ويظهر من اثاره -

الشعالبي التي بين ايدينا ان الرجل كان من اشرف الادباء نفسا والطفهم روحا وارضاهم من

النسبة عند غيره من الادباء ، وقد يبلغ به ذلك حد المجاملات الفارغة ، فهو لا يبخل بالمديح

الفاخر على اكثر من يترجم له في كتبه وسره ان يقول في الشاعر الفلاني انه شاعر مفلح (٥) وفي

غيره انه مجمع العلم ومنزع الادب ، وان شعره يشرف بمصاحبه بمصاحبه واخذ من القلب بمجامعه (٦)

وفي ثالث انه : من سحره الشعر وعجائب العصر (٧) ، وفي رابع انه : بقية .. مشيخة الكتاب المختص

(١) ص ١٧ (٢) ص ١٣ (٧٣) ص ١٧ (٤) راجع كتاب الصنائع ٤٤-٤٥ ، ١١٢ ، ١١٩

(٥) البيئمة ٢ : ٢٨٨ (٦) ص ٢٨٩ (٧) ص ٢١١ .

المتقدمين في الجراحة ، العالمين لازمة البلاغة (١)

ورغم أننا لانحبذ هذه الطريقة من النقد ونستقل فائدتها فإنه لايسعنا إلا ان نعترف
لصاحبها بسلامة القلب ورحابة الصدر ، وقد نعتذر للثعالبي في ذلك بجدارة الشاعر المترجم
بالتبجيل والتفضيل ، وإن الثعالبي شديد العطف على أهل الفطنة ، حسن التقدير للصعوبة
التي يلقاها المجيد في سيره ، وإن المتقدم من الشعراء ليس ذلك الشاعر الذي كل سمائه
نجوم ساطعة .

وحسن درارى الكوكب ان ترى طوابعه في واجع واح من الليل غيب (٢)
ومهما يكن حال الثعالبي : فقد كان نزيهاً عن النزاهة في دراسته لشعر المتنبي (٣) ، وقد تناول
من هذا الشاعر ناحيتي ضعفه وبراعته ، فاشى على الثاني ، وتعلل في الاولى بقول النابغة :
ومنذا الذي ترضى سجاياها كلها كفى المرء نبلا ان تعد معايبه (٤)
وكذلك موقف البائتاني من المتنبي ، فهو في غاية النزاهة وحسن التقدير ، وهو يستشهد بشعره
على المعاني الجيدة والميزات الشعرية الحسنة (٥) .

أما موقف الجرجاني صاحب الوساطة بين أبي الطيب وخصومه فعلى غاية من النزاهة
والاتزان العلمي . وقد وصل الجرجاني مذهبه في دقة وعمق ، نجا بما يشبه ان يكون منهاجاً
علمياً " لمهمة النائد " .

مهمة النائد :

يلاحظ الجرجاني تطرف النائد في حكمهم على أبي الطيب ، ومن مطلب في تفرظه
منقطع اليه بجملة . . . يتللى مناقبه اذا ذكرت بالتعظيم ، ويشيع محاسنه اذا حكيت بالتفخيم ،
فان من على بيت مختل النظام ، اوبه على لفظ ناقص من التمام ، التزم من نصرة خطأ وتحسين
زله ، ما يزيله من موقف المعتذر ، ويتجاوز به مقام المنتصر ، ومن غائب يرمي ازالته عن رتبته ، ولم

(١) ص ١٠١ (٢) بتيمة الدهر : ١٠٥ (٣) بتيمة الدهر : ١٠٥ (٤) الباطي الخامس ص ٢٨-١٦٤

(٥) بتيمة الدهر : نفس المصدر : ١٠٥ (٥) اعجاز القرآن : ١٠٧ ، ١١٠

يسمُّ له فضله ، وهو يجتهد في اخفاء فضله ، واظهار معايبه وتتبع سقطاته واذاغة غفلاته ، وكلا
الفرينين اما ظالم له له ، او للادب فيه (١)

لم ترق الجرجاني هذه الطريقة ، فألف كتابه الوساطة ، واستهدف فيه العدالة التامة
في تقدير شاعرية المتنبي ، وذكر روائع شعره في صفحات كثيرة من الكتاب (٢) ، واعترف بان
فوائد ابي الطيب كلها لا تخلص من ابيات تختار ، ومعان تستفاد ، والمناظر تروق وتعذب وابداع
بدل على اللطنة والذكاة ، وتصرف لا يصدر الا عن غزارة وانتدار (٣) ، وبعد ان يذكر المآثر من
روائع امثال الشاعر وحكمه ويدافع تشبيهاته واوصافه ٠٠٠ ويرد عليها على من ينمى على المتنبي
كثرة زلله ، وثلة احسانه " يفرر انه قد وثى له بما اقتضاه شرط الضمانة ، وجاء على كل سيئة من سيئات
الشاعر بعشرة حسنات من حسناته (٤) وابر على ذلك وافضل (٥) . غير ان الجرجاني لم يغفل
سيئات صاحبه ، وذكر السخيف من ابياته (٥) ، والمعند (٦) ، والفاقد المعنى (٧) ، ولم ينكر ان
المتنبي ، قد جمع في بعض ابياته بين البرد والغثاء ، وبين الثقل والوخامة ، فابعد الاستعارة
وهو اللفظ ، وعند الكلام ، واساء الترتيب ، وبالح في التكلف ، وزاد على التعمق حتى خفى الى
السخف في بعض والى الاحالة في بعض (٨) ، ونكتفى هنا بمثل واحد عن انتقاد الجرجاني للمتنبي
نال في نقد البيت التالي :

وناد كما تالرح اشجاء ضاسمه بان تسعدا والدمع اشفاء ساجمه

"ومن يرى هذه الالفاظ الهائلة والتعقيد المفرط (٩) يشك ان وراءها كنزا من الحكمة
، وان في طيها الغنيمة الباردة ، حتى اذا فتشها وكشف عن سترها ، وسهر ليالي متوالية فيها ،
حصل على لن : ونا كما باعاز لي بان تسعداني اذا درس شجاي ، وكلما ازدادوا تدارسا ازودت

(١) الوساطة ، ملخص عن ص : ١١ (٢) راجع الوساطة ٨٦ من المختار من شعر ابي الطيب حتى

ص ١٣٨ (٣) الوساطة : ٥٠ (٤) الوساطة ١٣٩ (٥) الوساطة ٦١-٦٢ (٦) ٦٥ (٧) ٦٦-٦٩

(٨) الوساطة : ٧٢ (٩) وردت : ليشك .

له شجوا ، فما ان التبع اشجاء دراسته . فما هذا من المعاني التي يضيح لها حلاوة اللفظ -
وبها الصبح وروى الاستهلال ، وشرح عليها حتى يهلهل لاجلها النسيج وينسد النظم ويفصل
بين الباء ومثملتها بخبر الابتداء قبل تمامه ، ويذم ويؤخر ويعصي ويعوص (١) .

وفي ثبات البحث ، كان الجرجاني ينثر المبادئ التي يجب ان تكون اساسا
لمهمة النافذ وهي ثلاثة عند التحقيق .

(١) احترام العلماء والادباء برغم ما لهم من هفوات ، فان الجرجاني :

" ولا حرمة اولى بالعناية واحق بالحماية . . . من حرمة العلم . . . وحياطة لادب

المتص به وسببه . وما عتوق الوالد البر ، وفطيمه الاح المشفق ، با شئ ذكرا ولا انثى وسما من

هفوق من فاسمك اربع صفات - يريد العلم والادب - ومث اليك بما هو حظك من الشرف

وذريعتك الى الفخر . . . (١) وليس يطالب البشر بما ليس في طبع البشر ولا يلتص عند الادبي

الا ما كان في طبيعة ولد ادم . واذا كانت الخلقة مبنية على السهو وممزوجة بالنسيان ،

فاستسناط من عز حاله حيف ، والتعامل على من وجه اليه ظلم . وللغرض اثار ظاهرة بوللتقدم -

شواهد صادقة ، متى وجدت تلك الاثار ، وشوهدت هذه الشواهد ، نصاحبها فاضل متقدم

فان عثر له من بعد على زلّة ، ووجدت له بعنقب الانسان هفوة ، انتحل له عذر صادق ، او

رخصته سائغة ، فان اعوز قبل : زلة عالم ، وتلّ من خلا منها ، واي الرجال المذهب ، ولولا هذه

الحكومة لبطل التفصيل ، ولزال الجرح . (٣) ولم يكن لقولنا فاضل معنى يوجد اهدا (٤) .

(٢) العدالة في الحكم : على ان الجرجاني لا يعتمد من وراء ذلك ان تحرف من

الحق في رعاية الادباء والعطف عليهم " وكما ليس من شرط صلة رحمتك ان تحيف لها على الحق او

تميل لي نصرها عن النقص ، وكذلك ليس من حكم مراعاة الاداب ان تعدل لاجله عن الانصاف ،

(١) الوساطة : ٨٢ - ٨٥ (٢) الوساطة : ١٠ (٣) وردت : ولولم ، وهو خطأ كما ترى (٤) الوساطة

او تخفى في باه الى الاسراف . بل تتصرف على حكم العدل كيف جبرلك ، وتقف على رسمه كيف
ونلك ، لتتصف تارة ، وتعذر اخرى ، وتجعل الارار بالحق عليك شاهدا لك اذا انكرت ، وتقيم
الاستسلام للحجة اذا نامت محتجا (١) لك اذا خالفت ، *

بهذه النزاهة التي تفر للحق ولو على نفسها يستطيع الناقذ ان يكسب عطف القلوب
وحرمتها : " فانه لا حال اشد استعطافا للقلوب المنحرفة واكثر استمالة للنفوس المشتملة من تونلك
عند التنبهة اذا عرفت ، واسترسلك للحجة اذا فهرت ، والحكم على نفسك اذا تحللت الدمى
عليها وتنبه خصمك على مكان حيلك اذا ذهب عنها ، ومتى عرفت بذلت صار قولك برهانا مسلما
ورايك دليلا ناعما (١) .

وعلى الاديب ان يتناول الشاعر الذي يريد ان ينفذه من ناحيتي احسانه واساءته
" وليس من غرائب الفقه " ان ننهي على ابي الطيب بيتا شذ وكلمة ندرت ونصيدة لم يسعد
فيها طبعه والفتة نصرت عنها عنايته ، ونسى محاسنه وقد ملات الاسماع وروايحه وقد بهرت الالباب (٢)
ولا . العدل ان نؤخره للهمة المنردة ولا نندمه للفضائل السبعة ، وان تحله الزلة الماهرة
ولا تنفيها المثاقب الباهرة (٣) .

٣- التواضع والتحفظ العلمي : - وهذا لاهرتان تسود ان جميع اباحت

" الوساطة " فالمؤلف لا يبري نفسه من الفتنة ولا يدعي السلامة من الخطا ، ويصال مخاطبه
ان يريده الى الصواب اذا رآه يجاوز مواضع الحجة (٤) ، وهو لا يلزم نفسه تمييز شاعره وانراة
بالفصل " كما يفعل كثير من استهدف اللالسن ولم يحتز من جنابه التهجيم فقال : معنى نرد
وبيت بديع . ولم يسبق فلان الى كذا وانفرد فلان بكذا " لان الجرجاني لا يدعي الاحاطة بشعر
الاوائل الاوخر . وهو ان يجسر على مثل هذه الاحكام معترف بانه ينفاد للظن ويستقيم الى ما

(١) ملخصة عن الوساطة : ١٠ (٢) هنا كلمة سافطة على ما نظن ، وقد عوضنا عنها بكلمة الباب

(٣) الوساطة ٨٥-٨٦ (٤) الوساطة ١٣٩ .

يذهب على النفس، ولا يحيط ويستعين بالله على ادعاء اليقين المثني والعلم والاحاطة . قال الجرجاني : « ولو ادعيت لوجب ان لا تنبله مع علمك بكثرة الشعراء واختلاف الحظوظ ، وخمول اكثر ما قيل وضاع جل ما نقل ، واطنك قد سمعت . . . ان البحترى اسقط خمسمية شاعر في عصره لما يؤمنني من ونوع بعض اشعارهم الى غيري . وما يدريني ما فيها . وهل هذا المستغرب المستحسن منقول عنها ، ومقتبس منها . . . فكيف بمن يعد هذه وفده زمانه وتناست الامم بيننا وبينه (١) » . وبهذا نستطيع ان نقرر ان نراه في هذا الكتاب من اكتفاء المؤلف في الغالب على سرد الروائع الادبية دون ان يشرح وجوه الرقة فيها ، مع انه عندما يتناول اسماء الشعراء يبين مواضع الاسماء بدقة وتفصيل . ذلك لان الاسماء بمقدورنا ان نحاسب الشاعر عليها لان من واجبه ان يتجنبها ، فلو كان فيها ام مبتدعا . اما الاحسان في رأي الجرجاني فمن تمام شروطه ان يكون الشاعر فيه مبتكرا غير متبع . اما الامدى فهو يرى قضية التفضيل من اساسها خارجة عن مهمة النقاد ، ويرى ان هذه المهمة تقع عند العرض والتبهي على محاسن كل شاعر ومساوئه ، واما الحكم العام فهو يتعلق بالذوق الشخصي . ولا جدال بين الازواق كما يقول المثل الافرنسي : قال الامدى في الموازنة بين ابي تمام والبحترى : (٢)

« ولست احب ان اطلق القول بايها اشعر عندي ، لتباين الناس في العلم واختلاف مذاهبهم في الشعر ، ولا ارى لاحد ان يفعل ذلك فيستهدف لضم احد الطرفين في لان النار لم يتفوا على اي الاربعة اشعر في امر الفيس والناخبة وزهير والاعشى ، ولا في جرير والفرزدق والاخلل ، ولا في بشار ومروان ، ولا في ابي نواس وابي المعتاضه ومسلم ، لاختلاف اراء الناس في الشعر ، وتباين مذاهبهم فيه (٣) » .

(١) نفس المصدر : ١٣٠-١٣١ (٢) الموازنة : ٣ (٣) على ان الامدى خرج عن رايه هذا في

من ٢٧ حين قال : نظرت في شعراي تمام والبحترى لما من مرة الا وانا الحق في اختيار شعر البحترى ما لم اكن اخترته من قبل ، وما اعلم اني زدت في اختبار شعراي تمام ثلاثين بيتا في الصفحة (١٠٥)

وقال في مكان آخر : انا اذكر بان الله الان المعاني التي يتفق فيها الطائيان
 ناوازن بين معنى ومعنى وانزل ايها اشعرني ذلك المعنى بعينه . فلا تطلبني ان اتعدى
 هذا الى ان افصح لك بايها اشعر عندى على الاطلاق ، فاني غير للبل ناعل ذلك (١)

آلة النقاد

خطا النقد الادبي في القرن الرابع خطوة واسعة الى الامام ، وظهر من الادباء
 من كان يدعو بشدة الى العناية بهذا الفن الوليد عناية تناسب مكانته من العلوم والفنون ،
 ذلك بان الغاية الكبرى من العلوم اللغوية والنحوية والعروضية ، اما هي الوصول الى فهم
 الادب ، وتمييز جوده من رديئه ، وان هذه العلوم ثانوية بالارادة الى الفنون النقدية ، واذا
 شئت لمهي واسطة لاغاية ، والغاية هي الوصول الى اسرار الفنون الادبية وفهم ما فيها من
 الجواهر . ذلك ما يراه مؤلف " نقد الشعر " في مستهل كتابه . وهو يحيل حملة شعراء
 على علماء عصره ، لانهم الفتوا جل همتهم الى الحروع والاوزان واللغة والمعاني ، واغفلوا
 التفصيل في : علم جيد الشعر من رديئه ، وهو يغالي في هذا اللوم ، ويدعي انه لم يجد
 احدا وضع في نقد الشعر كتابا نبيله (٢) والذي يغلب على الظن ان المؤلف لم تكن قد وصلت
 اليه مؤلفات النقاد في القرن الثالث ، فابن سلام والجاحظ وابن نتيبة ، وابن المعتز وغيره
 لان هؤلاء النقاد فيما نرجع كانوا معاصرين للمؤلف اذ انهم قد سوا عنه قليلا (٣) ، وربما كانت
 هذه الكتب قد وصلت الى يد المؤلف ولكنه لا يرضيها ولا يعدها شيئا يذكر بالمقارنة مع كتابه
 وطريقته المبتكرة في النقد العربي .

وتظهر هذه العناية بالنقد الادبي خصوصا في حملات النقاد ، كالامدى والصولي

تابع صفحة ١٠٤ (x) بيتا على ما كتبت اخزنه ندبما . ولكن هذا الكلام اذا كان يفيد ان المؤلف
 يفضل البحتري فانما يفضلته من راي واجتهاد ، لامن عصبه وهناد ، كما ذكرنا (١) الموازنة ٢٠٥
 (٢) نقد البصري (٣) تذكر اننا كنا رجحنا ان مؤلف هذا الكتاب هو جعفر بن ندامة المتولي سنة
 ٣١٠ هـ لولده ندامة بن جعفر المتولي سنة ٣٣٧ هـ .

والجرجاني والصاحب بن عباد على المتفطين على ما لدتهم الادبية ممن لم يتفردوا للادب ولم يعدوا للنقد عدته : « فالشعر علم من علم العرب يشترن فيه الخبيم والرواية والذكا » ، ثم تكون الدرية مادة له ، وفوة لكل واحد من اسبابه ، فمن اجتمعت له هذه الخصال فهو المحسن الحيز ، وفقد نعيبه منها تكون مرتبة من الاحسان ^(١) ، وهو يرى ، ويرى الصاحب بن عباد معه ، ان النقد لا يكون الا عند ادباء الدناب ^(٢) ، ذلك بان علم الاخرين من لغوية وصرفية انما تفيد " في احكام الشعر واتقانه " في اختيار العبيغة اللطيفة الصحيحة ، ولكن هذا شيء " واجادة الشعر شيء آخر والشعر قد يكون متفنا محكما وثينا ، كما يقول الجرجاني ، ولا يكون حلوا متبولاً رشينا ، مثال ذلك انصورة الادمية ، فانها قد تكون نامة في الخلفة ولكن النفس تنزع عنها وتمقتها ، وقد تكون الاخرى دونها في الاوصاف وفوتها في الحاذبية والحدوة وحسن النقول ، وليس صناعة اهل يرجع اليهم في لحي خصائصها ويستعبر بمعرفتهم عند اشتباه احوالها ^(٣) ، فالنقد كالشعر : طبع ومران ودربة بل ان على السائد الا يكتفى بالمران على السند وحده ، بل ان عليه واجبا اخر في نظر المصولي عليه ان يمارس الشعر بنفسه وان يكون اندرا الناصر على شيء منه متى اراده لاما من لا يحسن ان يعمل بيتا جيدا ، ولا يكتب رقعة بليغة ، فكيف يجسر على ادعاء هذا ، وكيف يسوفه اياه من سمعه عنه ^(٤) ؟ ويخالفه ابن عبد ربه في هذا الشرط الاخير ويمثل له بالخليل بن احمد : كان الخليل بن من اروي الناصر للشعر ، ولكنه لا يقول منه شيئا ، سأل رجل ما يمنعك من قول الشعر ؟ فقال : الذي اريد ، لا اجد ، والذي اجد ، لا اريده ، ويدعم ابن عبد ربه رايه هذا بتشبيه جميل جدا لاحد الادباء وقد مثل : مالك تروى الشعر ولا تقول ، فقال : انا كالمسن اشهد ولا اقنع ^(٥) .

(١) الجرجاني في الوساطة : ١٩ (٢) الكشف عن مساوي شعر المعتبي ٤ - ٥ (٣) الوساطة ٨٥

(٤) اخبار ابي تمام ص ٣٨ (٥) العقد ٣ : ١٣٥ : ونسبه هنا الى ان كلمة الرواية يقصد منها

اكثر من معناها الاصلي ، يراد منها النقد ، بدليل تشبيه الراوي : بالمسن .

على ان الامدى هو احسن من عالج قضية الاختصاص فى النقد ، وهو اشد النقاد
تحمسا لها ومهاجما للمتطفلين عليها ، وبعد ان يبين الامدى طريقته فى الموازنة بين شاعريه
يقول :

"ثم ان العلم بالشعر ان خص بان يدهيه كل احد وان يتعاطاه من ليس من اهله
فلم لا يدهى احد هؤلاء المعرنة بالعين والورق والخيال والسراج والرقيق والبزوال الطيب وانواعه
ولعله ند لايسر من امر الخيل وركوبها ، والسراج والعلم بذلك ، والرقيق وانتائه ، والثياب -
ولبسها ، والطيب واستعماله ، اكثر مما عناه من امر الشعر وروايته ، لما باله لما
بكماله جلاء السيف وصنائه وصفا حديدته ، لم يمعن فيه اختياره على غيره من السيوف ، حتى تثار
شاور من يعرف حسنه وطبعه وجوهره وفزنده ومضاه ، وكذلك لما اعجبه من ثوب الوشى حسن طرزه
وكثرة صوره وهديع نفوشه واختلاف ألوانه ، لم يبادر الى اعطائه ثمنه حتى رجع الى اهل العلم بجوهره
وكثرة مائه ، وجودة رفعته ، وصحة نسايقته ، وسلام ابريسمه ، فكيف لم يفعل ذلك بالشعر لما رآه
حسن وزنه ونواحيه ودقيق معانيه وما يشتمل عليه من مواضع رادب وحكم وامثال ، فلم يتوقف عن
الحكم له على ما سواه حتى يرجع الى من هو اعلم منه بالناظر واستواء نظمه وصحة سبكه ووضع الكلام
منه فى مواضعه وكثرة مائه ورونته ان كان الشعر لا يحكم له بالجودة الا بان تجتمع هذه الخلال
فيه . الا ترى انه ند يكون فرسان سليمين^(١) من كن عيب ، موجودا (*) نبيهما سائر علامات العتق
والجودة والنجابة ، ويكون احدهما انفس من الاخر يفرق لا يعلمه الا اهل الخبرة والدراية
الطويلة وحكى اسحاق الموصلي قال : قال لي المعتمد : اخبرني عن معرفة النغم
وبينها لي ، فقلت ان من الاشياء اشياء تحيط بها المعرفة ولا تؤدبها الحسه . قال : وسألتني
محمد الامين عن شعرين مناريس وقال : اختر احدهما ، فاخترت ، فقال : من اين فضلت
هذا على هذا ، وهما متقاربان ؟ فقلت : لو تفاوتا لامكنني التبيين ، ولكنهما تقاربا ، وفضله هذا

(١) وردت : سليمان ، موحيد ، ونحن نرجع الاعراب بالنصب .

بشيء تشهد به الطبيعة ولا يعبر عنه اللسان

وبعد فلم لاتصد في نفسي ايها المدعي وتعرفنا من اين طرأ لك الشعر ، امن اجل ان عندك خزانة كتب تشتغل على عدة من دواوين الشعراء ولم لما خفت الغيبة في مالك اذ عنت (١) وسلحت وافررت بقلعة المعرفة ولم تخش الغيبة والوكس في عقلك لتسلم العلم بالشعر الى اهله فان الضرر في غيب العقل اعظم من الضرر في غيب النان ثم اني اتول بعد ذلك لعلم اكرم الله اغترت بان هذا شارفت شيئا من تقسيمات المنطق ، وجملا من الكلام واجدانا ، او علمت ابوابا من الحقائق والبراهين او حفظت مقدرا من المذاهب او التفت على بعض ما ليس بالعربية وانك لما اخذت بطريق نوع من هذه الانواع سعيا ومزاولة ومضغ عناية ، وتحدثت فيه وميزت ، ظننت ان كل ما لم تلاسه من العلوم ولم تتاوله يجزرك ذلك المجزى ، وانك متى تعرضت له وامرت فيحدثك عليه نفذات فيه وكشفت عن معانيه ، هيئات لقد ظننت باطلا ورمت عمرا ، لان علم اي نوع كان لا يتركه طلبه الا بالاندفاع اليه ، والاكتفاء عليه ، والجد فيه والحرص على معرفة اسرار وغوامضه . ثم قد يتأتى جنس من العلم لئلا يسهل ويشتت ويشتت عليه جنس اخر ويتعذر ، لان كل امرئ انما يتيسر له ما في طبعه قبوله وما في طائفته تعلمه . فينبغي اصلحك الله ان تفقد حيث وثق بك وتفتح ما نسف لله ولا تنحني الى ما ليس من شأنك ولا من صناعتك (٢) .

xxxxxxxxxx
xxxxxxxxxx
xxxxxx
xxx
x
هـ

(١) وردت : فاذا عنت

(٢) الموازنة بين ابي تمام والبحتري : ص ٢٠٠ - ٢٠١

الباب الرابع

الصناعة اللغوية

نتناول الصناعة اللغوية في بحوث النقاد اوصاف الالفاظ مفردة ومركبة • وعيونة
النظم والتأليف بين اجزاء القصيدة • يشار الى ذلك نظرياتهم في العاضلة بين الالفاظ والمعاني
ومكانة كل منهما في فنون الهمز • وانتقاد كثيرا ما يتناولون هذه الامور ما • لشدة علافة
الواحد منها بالآخر • قال المسكوي • وليس الشأن في ايراد المعاني ... وانما هو في جودة
اللفظ وصفاته وحسنه وبهائه ونزاهته ونفاذه وكثرة طلاوته ومائه • مع صحة السبك • والتركيب
والخلو من اورد النظم والتأليف (١) • وقال : الكلام اهدك الله بحسن بسلامته وسهولته
ونصاعته وتخير القاصد ... وجودة مطالبه • ولين مناطه • واستواء تفاسيمه • وتعادل
اعضائه • ونشبه اعجازه بهواده • وموافقة ماخير لهجاده • مع فلة ضروراته وعدمها اصلا
حتى لا يكون لها في الالفاظ اثر • فتجد المنعوم مثل المنثور • في سهولة مطلعه وجودة
مطلعه • وحسن رصده وتأليله • وكمال صوغه وتركيبه (٢)

جمال الالفاظ : جاء في " نقد الشعر " : ونمت اللفظ ان يكون سمحا سهل متارج الحروف
من مواضعها • عليه رونق الفصاحة مع الخلو من البشاعة (٣) • وقال الجرجاني : ومتى سمعتني
احتار للحدوث هذا الاحتيار وابنته على التطبيع • واحسن له التسميل • فلا نطقن اني اريد
بالسمع السهل النعيم الركيك • ولا باللطيف الرشيق الخفت العونت • بل اريد النطق الاوسط
عوا ارتفع عن السافه السوفي • وانحط عن البدوي الوحشي (٤)

واكثر النقاد على هذا الرأي • فهم يرون جمال الالفاظ في سهولتها اولا وفي فصاحتها

(١) الصناعين ٤٢ (٢) الصناعين ٣٩ - ٤٠ (٣) نقد الشعر ١٩

(٤) الوساطه ٢٦ - ٢٧

ومجانبتها للكلام العامي ثانيا ، وهاتان الصفتان هما المقصود من كلمة "الجزالة" التي يكثر
النقاد تداولها ، قال العسكري : وأما الجزل المختار من الكلام : فهو الذي تعرفه العامة
إذا سمعته ، ولا تستعمله في محاوراتها ، ومثل على ذلك ما بينات مسلم :

وردت رواق الفضل فضل بن خالد	فحفظ الثناء الجزل نائله الجزل
بكف أبي العباس يستعطر الغنى	وتستنزل النعمى ويستعرف النصل
ويستعطف الأمر الأبي بحزمه	إذا الأمر لم يعطه نقر ولا فتل

ومثل على الكلام العامي المفرط في اللين بهذه الأبيات :

يارب ند قل صبرى	وضاق بالحب صدرى
واشد شوقي ووجدى	وسدى ليس يدرى
مفنى عن عذابي	وليس يرحم ضرى
أما القدا لا تغزان	دنا فقبل نحسرى
و قال لي من قريب	يا ليت بيتك قبرى (١)

وكما يرذل العسكري الأمعان في اللين إلى درجة الاسفاف ، فهو يرذل الاسطرغال

في استعمال الغريب الجاسي ، ويرى الاجادة في السهل الممتنع قال :

"وقد غلب الجهل على نوم صاروا يستجيدون الكلام إذا لم ينفوا على معناه إلا

بك ، ويستفصحوه إذا وجدوا الناضه كره غليظه ، وجاسيه غريبة ، ويستحقرون الكلام إذا رآه

سلسا عذبا وسلسا كلوا ، ولم يعلموا ان السهل امن بانبا وانز سلبا ، وهو احسن موقعا

واعذب مستعما ، ولهذا قيل اجود الكلام : السهل الممتنع . . . وقد سئل احد البلغاء

الاستعمل الغريب في شعرك ؟ فقال : داء عي في زمانى وتكلف منى لوفته ، وقد رزقت طبعها

وانساعا في الكلام ، وأنا انزل ما يعرفه الصخير والخبير ، ولا يحتاج الى تفسير . قال العسكري :

فهذا كلام هائل يفع الشيء موضعه ويستعمله في ابائسه ، ليس كمن قال وهو في زماننا - بعرض بالتهني :

جفخت وهم لا يجفخون بها بهم (١)

وانتقد الامدي على ابي تمام قوله

اهل السرايمس لنا الى هم تعرف الغيس في اذ بها اللها

ناستكره قوله : اهل السرايمس ، وانتقد بينا اخر لابي تمام :

وان بجرية ثابت جارت لها الى ذرى جلدى لاستوهل الجلد

لقوله : بجرية وجارت ، كما اخذ عليه قوله : هن البجاري يا جبير ، وقوله :

هناك موسى كل جرح يحتلى راب الاساة بدر ديس نظر

ناستحسن كتمتي : ورد بيسر القنطار ، وهما من اسماء الدواهي (٢) وما اخذه

العسكري على المنفس الضبي : « انه كان يختار من الشعر ما ينقل تداول الرواة له ويكثر الغريب

فيه ، وهذا خطأ من الاختيار لان الغريب لم يكثر في كلام الا انمده ، وفيه دلالة الاستكراه

والتكلف (٣) . »

ففي ما تقدم ان انتقد كانوا كثيرا ما ينفرون من الالفاظ الغريبة لغرابتها فضلا عن

غلاظة بعضها ونفثها على السمع . وقد يتون الورير ابو الفضل بن العميد من ادق الادباء

في التنبيه الى جرير الكلام وخلاصه ، قال عنه المااسب بن هياك : « ما انا منذ عشرين سنة

اجالس الشعراء واكثر الادباء . . . وشعرين اخرى اخذ عن رواية محمد بن يزيد المبرد ،

واكتب عن اصحاب احمد بن يحيى ثعلب ، فما رايت من يعرف الشعر حتى معرفته ، وينقده

نقد جهابذته غير الاستاذ الرئيس ابي الفضل بن العميد فانه يتجاوز نقد الابيات

الى نقد الحروف والكلمات ولا يرضى بتهديب المعنى حتى يطالب بتخير النايه والوزن (٤) .

(٢) الصناعتين ٤٤ (٢) الموازنة ١٥١ - ١٥٢ (٣) الصناعتين ٤ (٤) الكشف عن مساوي شعر

اشد الحاحا يوما بحضرته لصدقة ابي تمام التي اولها :

شهدت لقد انوت مغانيكم بعدى ومحت كما تحو وشائج من برد

حتى انتهى الى قوله :

كلا كريم متى امدحه امدحه والورى معي واذا مالته لمته وحدى

فقال ابن العميد : هل تعرف فى هذا البيت عيبا ، فقال الصاحب : ناهل

المدح باللم فلم يوف التطبيق حقه ، فقال ابن العميد ، غير هذا اردت : ان احدا ما يحتاج

اليه فى الشعر سلامة حروف اللفظ من الثقل ، وهذا التثنية فى امدحه مع الجمع بين

الحاآت والهاء مرتين ، وهما من حروف الحلق خارج من حد الاعتدال ، فالركل النار (١) .

غير ان العسكرى وابنا فلاني يتابعان الجاحظ ويقران ان جمال اللفظ قد لا يكون فى

نفسه بل فى موافقته لمقتضى الحال ، يسخر العسكرى من بعض علماء العربية الذين يخاطبون

السوي والملوك والاسجمي بالفاطاعل نجد ، لان مدار الكلام على الانعام ، فالواجب تسليم

طبقات الكلام على طبقات النامر ، فيخاطب السوي بكلام السوء والهدوى بكلام الهدوء ولا

يتجاوز به عما يحرمه الى ما لا يعرفه ، وتذهب رائدة النعم ، وتعدم منفعة الخطاب (٢) . وقال

البافلاني : والكلام الغريب والنفطه الشديد ، المبينة لمسح الكلام قد نحمد اذا ونعت مولع

الحاجة فى وصف ما يلائمها ، كقوله عز وجل فى وصف يوم القيامة : " يوما عبوسا مظطربا " لاما اذا

ونعت فى غير هذا الموضع نهى مكروهة مذمومة (٣) .

وحكى ابن شهيد عن بعض تلامذته انه رآه يستعمل وحتى الكلام فى موضعه

ولم يشعر بحسن الموضع ، واستعمل شيئا منه وعرضه عليه ، فقال له ابن شهيد : استره !

فعرضه على آخر فنهأ عنه ، وقال له ان ابن شهيد يستعمله ، فقال : يضعه فى موضعه وهو

ادرب منك (٤)

(١) الكشف عن مساوى شعر المتنبى : ٦-٧ (٢) الصناعتين ١١-٢٠ (٣) اعجاز القرآن ٨٣

(٤) الدخيرة لابن عسكرم ١١٨-١١٩ من كتاب النشر الفنى لزكى المباركج ٢٢٢

صحة العبارة :

قال العسكري : « ينبغي ان ترتب الالفاظ ترتيبها صحيحا فتقدم ما يحسن تقديمه

وتؤخر منها ما يحسن تأخيرہ فيما اتسدت ترتيب الفاظه قول بعضهم :

يضحك منها كل عضولها من بهجة العيش وحسن القوام

توفل في الدار لها ورة كوفرة السط الخليع الفسالم

كان ينبغي ان ينون : كوفرة الفلام السط الخليع ونوله : بهجة العيش وحسن القوام

سنا فر غير منبول^(١) ومثل قدامة بن جعفر على الكلام الحسن اشلام بنون الشاعر :

متاركة اللثيم بلا جواب اشد على اللثيم من الجواب

ونوله :

يا ايها المتحلي غير شيمته ان التخلق ياتي دون الخلق

وعلى الكلام البادى الاضطراب : يقول الشاعر :

ام سلام اثبي عاشلا يعلم الله يقينا ربه

انتم في عينه من عيشة ناملية يله يا سليم حسبه^(٢)

نسوة التركيب : في تقديم ما ينسني تأخيرہ وصرفه عن وجوهه وتغيير صيغته ومخالفة الاستعمال

في نظمه ، ومن ذلك ما يدعونه بالمعاظلة ، وقد مدح عمر بن الخطاب زهيراً لمجانبتها ، فقال كان

لا يماض بين الكلام ، قال العسكري : واهل هذه الكلمة من قولهم : تماظلت الجرادتان

اذا ركبنا احدهما الاخرى ، واستشهد على ذلك بنون الفرزدق :

تعال فان عاهدتني لا تخونني تكن مثل من ياذلب يصطحبان

ونوله :

هو السيف الذي نصر ابن اروي به عثمان مروان المصاها

(١) الصناعتيت ١١٦ (٥) نقد النثر : ٢٤

(٢) الصناعتيت : ١٢٠ - ١٢١

وقوله للوليد بن عبد الملك

الى ملك ما امه من محارب ابوه ولا نانت كليباً تهاجره

وقوله بمدح هشام بن اسماعيل

وما مثله في الناس الا ملكاً ابوامه حبي ابوه ينارسه (١)

اما قول صاحب نقد الشعر : المعاطلة فاحسن الاستعارة ، فلا يوافقه عليه الحسري

لان المعاطلة في اصل الكلام انما هي ركوب الشيء ، بمعنى بعضه ، وسى الكلام به اذا لم

يضمه ضمناً ، وركب بعض العاطفة رقاب بعض وتداحت اجزأه ، تشبيهاً بتعاضل الكلاب

والجراد ، اما تسمية القدم بالحافر فليست بمدخله كلام ، وانما هي : بعد في الاستعارة (٢)

وعيب السناد على اشاعر ان ينثر الكلمة في المكان الواحد لغيره بلاغية ، كنقول

اوس بن حجر :

ولست نجابى اهدا طعاماً هذارمى لكل غد طعام (٣)

وكقول المتنبي :

فولفت بالنم الذي قلل الحصى فلاقل عيش كل من قلاقل

قال صاحب بن عباد : وما زال الناس يستبشعون قول مسلم :

سلت وسلت ثم سل سليلها فاتي سليل سليلها مسلولا

حتى جاء هذا المبدع - يريد المتنبي - وقال :

وانجع من نفدنا من وجدنا فبيل اللند مفنود المثال

(١) المناهتين : ١٢٠ - ١٢١

(٢) المناهتين ١٢٢

(٣) المناهتين : ٤١

واظن المصيبة في الراي اعظم منها في المرفي (١)

واخذ الثعالبي على ابي الطيب اساءة التكرار في قوله :

ونهب نفوس اهل النهب اولى

ومن عيوب المعنى لى نظر صاحب ر "نقد الشعر" : الاخلال : وهو ان يترك

من اللفظ ما به يتم المعنى ، مثل قول عبيد الله بن عبد الله بن مسعود ط

(٣) اعاد ان عاجل مالي احيــــــــــــــــــــب الي من الاكثر الرأث

لأننا اراد ان يقول : عاجل مالي مع الله احب الي من الاكثر البعس . "لترك"

“ مع الفللة ” ومع يتم المعنى ، ومثله قول عمرو بن اللورد :

عجبت لهم إذ ينتلون نفوسهم ومثلهم عند الوقي كان اعذرا

وانما اراد ان يقول : عجت لهم ان يقتلون نفوسهم في السلم ، ومثلهم عند الوفي اذره .

فترك : في السلم ، ومن هذا الجنس قول : الحارث بن حلزة :

والعيش خبر لي ظلا
ل النوك من عاش كدا

قال المؤلف : فإراد ان يقول : العيش خير لي ظلل النوك ، من العيش لي ظلل العتل .

على انه لو قال ذلك لكان في هذا الشرخل اخرو هو : ان الذي يهراراده : هو ان

يقول : ان العبد الناعم لي ظلال النوك خير من العيسر الشاق في ظلال العنق ، داخل

(۱) بنی: کتب

ويخالفه في ذلك صاحب "نقد النثر" في باب دعاء باب الحذف . للحذف مزنة

الايجاز والاختصار والاكتفاء بيسر النول اذا كان المخاطب عالما بالمراد ، ومن ذلك قول الشاعر

اجدن لوشي، اتانا رسوله
سوان، ولكن لم نجد لك مدلعا

اراد : لدفعناه ، نحذف اكتفاء بحكم المخاطب بما اراد ، ومثله نولسه :

(١) بنية الدهر : ١١٦ (٢) بنية الدهر : ١٥ (٣) الرائب : البطي* (٤) نقد الشعر ١٢٧

لما اجزنا ساحة الحي وانتحي بنا بطن حاتف ذي ثفاف عتقل

ونظير ذلك قوله عز وجل : " واذا قيل لهم اتفوا ما بين ايديكم وما خلفكم لعلكم ترحمون " وسكت
عن تمام الكلام ، فكان تقدير الكلام واذا قيل لهم اتفوا . . . استكبروا وتعادوا وهتوا . وكذلك قوله :
" ولولا فضل الله عليكم ورحمته وان الله تواب حكيم " حذف ما بعده فكان تقديره : لعذبكم
بما فعلتم (١)

ومعيون الى جانب ذلك ان يكون في الجملة بعض الالفاظ النائمة الحروف

لفسرة شعيرة ، وقد انتقد ابن جني قول هملسة :

كان ابراهيم ظبي على شرف مقدم بسبا الكتاب ملثم

اراد بسباب . ونول السبيد :

درس العنا بمناح لايان اراد : المنازل ، ونول ابن داود :

يذرين جندل حائر لجنوها لكانا تذكى سناكها الحبا

اراد : الحباحب (٢)

وقد بحث مؤلف " نقد الشعر " ذلك في موضوع : الخلاف اللفظ والوزن : " وهو ان

تكون الاسماء والانفعال في الشعر تامة مستقيمة كما بنيت ، لم يضطر الامر في الوزن الى تلخيصها
عن البيت بالزيادة عليها والنقصان منها ، وان تكون اوضاع الاسماء والانفعال والمؤلفة منها وهي ،
الانوال ، على ترتيب ونظام لم يضطر الوزن الى تاخير ما يجب تقديمه ، ولا الى تقديم ما يجب
تاخيره منها ، ولا اضطر ايضا الى اضافة للفظ اخرى يلتبس المعنى بها ، بل يكون الموصوف

مقدم والصلة متولة عليها ، وغير ذلك مما لو ذهبن الى شرحه لاحتجنا الى اثبات كثير من
صناعتي المنطق والنحو ومن هذا الباب ايضا ان لا يكون الوزن قد اضطر الى ادخال معنى

(١) نقد النشر ٥١ - ٦٠

(٢) الخصائص ١ : ٨٢ - ٨٣

ليس الغرض من الشعر محتاجا اليه واسقاط معنى لا يتم الغرض المقصود الا به ، حتى اذا قلده ^(١) اثر في الشعر تأثيرا بان موعده وكل شعر سليم مثال لذلك ^(٢)

حسن التأليف وهو يتعلق بكمان اللطعة الادبية على العموم ، من حيث تلائم معانيها وتساوي نظمها في البلاغة . وهذا المناس من اهم المقاييس التي كان النقاد يعتمدونها في تقدير الآثار الادبية من شعرية ونثرية . وقد عد اصحاب البحري لوله في الموازنة بينه وبين استاذه ابي تمام : جيدة خیر من جيدة ورد يفي خیر من رديئة حجة لهم على اصحاب ابي تمام ، لان لوله هذا يدل على ان شعر ابي تمام شديد الاختلاف ، وشعره ^(٣) شديد الاستواء ، والمستوى الشعر في رأيهم اولى بالتقدمة من المختلف الشعر ، لايوت تمام يعلو علوا حسنا وينحط انحطاطا نبيحا ، والبحري يعلو بتوسط ولا يسقط ، ومن لا يسقط ولا يسف الفضل من يسقط وسف ^(٤) وكذلك البالائي ، فانه ياخذ على امرئ البير وغيره من الشعراء ان لعائدهم تفاوت في ابياتها تفاوتنا بينا : في الجودة والرداءة ، والسلاسة والانعطاد والسلامة والانحلال والتكن والتسهل والاسترسال والتوحيش والاستكراه ^(٥) ، ويرى ان من دلائل الاعجاز في القرآن : « استواء نظمه وتساويه في البلاغة ، نكلام البشر لا يخلو من فصاحة وبراعة وحسن تصرف ، وفيه من الحکم والفوائد شيء كثير . فيران الشاعر لما جاء بالفصيدة من اولها الى اخرها محكمة النسخ ، صحيحة المعنى رائعة الخيال ، وكذلك ^{نحو} ما جاءت آثار ابي نائركان متساوية في البراعة والاتقان ، بل يلع الاختلاف ، ويظهر التعمل والتكلف من حين الى حين ، اما القرآن فعلى كثرته وطوله متناسب في الفصاحة على ما وصله الله تعالى : " الله انزل احسن الحديث كتابا متشابها متاني تشعير منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم ولولهم الى ذكر الله ، ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا " ^(٦) . وللبالائي في مكان اخر : « تأجل الراي في سورة سورة

(١) نلد الشعر ١٨-١٩ (٢) اي شعر البحري (٣) كتاب الموازنة للامدى ص ٥ ، وقد اعتمدنا

هنا طبعة الجوائب الاولى بالاستانة ١٢٨٧ ، لكثرة الاغلاط في الطبعة الثانية التي بين ايدينا

(٤) اعجاز القرآن ^(٥) ملخص من اعجاز القرآن ص ٢١

وآية آية وناصلة ، وتدهر الخواتم والذوات والبوادي ، والمناطق ومواضع الفصل والوصل ومواضع التنقل والتحول ، ثم انعم ما انت ناضرا^(١)

والفرآن لا يتفاوت نظمه ، سواء كان الكلام : نصة او عظة او احتجاجا او حكما او اعدارا او وعدا او وعيدا . . . وهو هو ، معجز برغم ما فيه من تكرار في بعض التعابير واعادة لبعض الاحاديث ، بل ان تكراره مع محابسته على جمال النظم والاستواء اية من ايات اعجازه وانقطاعه من سائر الكلام^(٢) .

ومن حسن التاليف اوصاف اربعة يكثر النفاذ تردادها ، وهي : براعة الاستهلال وجودة التخلص ، واستقلال البيت ، وحسن الانتهاء :

فاما براعة الاستهلال : " فاهمية ذلك يعود الى ان الملمح اول ما يفرغ الاذن ويصاح الذهن فاذا كانت حالة غير العذوبة في اللفظ والمعنى نبت عنه النفس وجرى امره على ما تقول العامة : اول الدن دردي^(٣) . يعلى الشاعر ، كما يقول العسكري : ان يحترز في اشعاره ويفتح انواله ما يتطير منه ويستجنى من الكلام ، والبكاء موصف انتثار الديار وتشتيت الآلات ونعي الشباب ودم الزمان ، لاسيما في الفصائد التي تتضمن المديح والتهاني ، ويستعمل ذلك في المراثي ووصف الخطوب والحادثه ، فان الكلام اذا كان على هذا المثال تطير من سامعه ، وان كان يحلم ان الشاعر انما يخاطب نفسه دون المدح . . . وقد انكر الفضل ابن يحيى البرمكي على ابي نواس ابتداءه :

اربع البلى ان الخشوع لبادي عليك واني لم اخنك ودادي

فلما انتهى الى ثوله

سلام على الدنيا اذا ما تقدمت بني برمك من رالحين ونادي

(١) اعجاز الفران ١٠ (٢) اعجاز الفران ٢١ (٣) بتيمة الدهر ١ : ١٠٥

استحكم تطيره (١)

ويستجيد العسكى من ابتدآت الجاهلية قول النابغة :

كليني لهم يا اميمة ناصب وليل اناسيه بطنى الكواكب (٢)

وقول اوس بن حجر :

ايتها النفس اجمعي جزعا ان الذى تحذرين قد ونعا

وكانوا يرون ان احسن مرثية اسلامية ابتداءً قول ابي تمام

اصم بك الناهي وان كان اسما واصبح معنى الجود بعدن بلفعا

ويستزحل العسكى لبعمر المتأخرين - يعنى المتنبى (*) - ابتداءً ، ومنها قوله :

كنى "اراني وبك لومك الرما هم اقام على نوآد انجما

وقوله : ايا عبد الاله معاذ اني خفى عنك فى الهيجا مقامى

وقوله : هذى برزت لنا نهجت رسيما ثم انصرفت وما شفت نسبما

وقوله : احاد ام مداس فى احساد ليبلتنا المنوطة باللتاوى (٣)

اجادة التخلس ووحدة النصيدة : يعنون باجادة التخلس : ان لا يخرج الشاعر من الفاتحة

التقليدية الى الاغرضه الا بمناسبة . قال العسكى : « كانت العرب فى اكثر شعرها تبتدىء بذكر

الديار والبكا عليها والوجد بفراق ساكنيها ، ثم اذا ارادت الخرى الى معنى آخر قالت

: فدع ذا ، وسل الهم عنك بكذا

(١) الصناعتين ٣٤٤ (٢) ننبه الى ان العسكى لم يعم فى تحذير الشاعر من الابتدآت

الحنينه ، وريط ذلك بالموصوف (٣) الصناعيتين ٣٤٤-٣٤٦ (x) كان العسكى كثيرا ما يعرض

بالمتنبى ويسخر من شعره : والذى يظهر لنا ان السبب فى رداة المطلع فى بعض نضائد

المتنبى يرجع الى تكلله الغزل فيها جريا على الطريقة التقليدية ، ولم يكن ذلك صادف ارتياحاً منه

اذا كان شعرنا لنسب المندم اكل نصيح نال شعرا متيم ا

كما قال :

ندع ذا وصل الهم منك بهجرة ذمول اذا صام النهار وهجرا
 وربما تركوا المعنى الاول واخذوا في الثاني من غير ان يستعملوا ما ذكرناه ، قال النابغة
 تفاهس حتى قلت ليس بمنفس وليس الذي يرضى النجوم بأيب
 علي لعمرو نعمة بعد نعمة لوالده ليست بذات عقارب
 والبحترى يملك هذه الطريقة في اكثر شعره (١) ، غير ان مذهب المحدثين في زمن
 العسكري كان مذهب التخلص والتباعد عن الافتصاب ، وقد يبلغ مثل المؤلف على ذلك باشعار
 كثيرة من جملتها قول عبد الصمد بن المعدل :
 ولاح صباح لشبهته علي بن عيسى على العنبر

وقول البحترى :

كانها حين لجت في تدفقها يد الخليفة لما سال وادبها (٢)
 على ان اجادة التخلص لا تنفذ الشاعر تماما من الخروج عن وحدة الموضوع ، وهذه
 المناسبة المصطنعة لربط الفواتح التقليدية بالموضوع لا تبرر الانتقال من شيء الى اخر ، وليس
 يكفي ان تكون النانة ركابة الى المدح حتى يسهب في وصفها وتطيل ، وليس يجوز للشاعر
 ان يصف البركة واليباء لشيء الا لان تدفق اليباء يشبه كم الخليفة !
 وكان النقاد كثيرا ما ينكرون على الشعراء اقتضابهم الى الموضوع ، وابلغ ما وصلنا
 من حسن التخلص قول الحائمي :

مثل الفصيدة مثل الانسان في اتصال بعض اعضائه ببعض ، تمتى انفصل واحد
 عن الاخر وبانسه في صحة التركيب ، غادر الجسم ذا عاهة تتخون محاسنه وتعلمي معالسه .
 وقد وجدت حذاق المتقدمين وارباب الصناعة من المحدثين ، يحترسون في مثل هذا الحال
 احتراما يجنبهم شوائب الانفصال حتى يبلغ الاتصال ويؤمن الانفصال ، وتأتي الفصيدة في

تناسب صدورها واعجازها وانتظام نسبها بمدحها ، كالرسالة البليغة والخطبة الموجزة لا ينفصل جزء منها عن جزء . وهذا مذهب اختص به المحدثون بتوند حواظهم ولطف افكارهم نأما النحوي الاوائل ومن تلاهم من المخضرمين والاسلاميين فنغاري كل احد منهم وصف تافته بالعق والنجاة والنجاه ، وانه امتاها ناوّر عليها جلباب الليل ، وربما اتفق لاحد هم معنى لطيف يتخلص به الى غرور لم يعتمد ، الا ان طبعه السليم نفس تياره واوند بالهتاع تاره (١)

وند بحث ابو هلال في وحدة المعنى ولمح الى وحدة الموضوع في قوله :
وينبغي ان تجعل كلامك مشتبها اوله باخره ، ومظاهرها دميعة لعجزه ، ولا تتخالف اطرافه ، ولا تتنافر اطرافه ، وتكون الكلمة منه موضوعة مع اختها ، ومفرونة بلفظها (٢)
اما الباقلائي فكثيرا ما كان يطالب الشعراء ان يصلوا بين معانيهم ، والاشبوا من معنى الى اخر الا اذا كان بسبب منه ، وان يتلفظوا في ربط الكلام والتعاضد المناسبة له ، وند انتقد على ابي تمام قوله :

واغرني الزمن البهيم محجل ند رحت منه على اقر محجل
كالهيكل المبنى الا انسه في الحسن جاء كصورة في هيكل
لان البيت الاول لم يتفق فيه خرون حسن ، بل هو منقطع عما سلف من الكلام (٣) وند اتخذ الباقلائي الوحدة وحسن الارتباط في اجزاء القرآن دليلا على اعجازه ، فقال :
" انضر الى ما اجرى له الكلام من علو امر هذا النداء وعظم شأن هذا التناء ، وكيف انتظم مع الكلام الاول ، وكيف اتصل بتلك المقدمة وكيف وصل بها ما بعدها من الاخبار من الربوية ، وما دل به عليها من نصة الى نصة ومن باب الى باب ، من غير خلل يمنع في نظم الفصل الى الفصل ، وحتى يصور لك الفصل وصلا بهديع التأليف وبيع التزليل فمتى تنها لبليغ

ان يتصرف في قدرأية في اشياء مختلفة يجعلها مؤلفة من غير ان يبين على كلامه اعياء
الخرى والتفنن او يظهر على خطابه اثار التكلف والتعمل ؟ حتى تهيا لادمي ان يقول في وصف
كتاب سليمان عليه السلام بعد ذكر العنوان والتسمية هذه الكلمة الشريفة العالمية : **الأتعلا**
علي واتوني مسلمين * والخلوص من ذلك الى تعلم ^(١) براعته بنسبه وعجبه * معناه وموضع
اتفانه في هذا الكلام وملا منه لما قبله ^(٢)

ومن كلامه الذي يثارت به الفرائد بالشعر : **« الا ترى ان كثيرا من الشعراء قد وصف**
بالنقد عند التنقل من معنى الى غيره والخرى من باب الى سواء » حتى ان اهل الصنعة قد
اتفقوا على تفصير البحري مع جودة نظمه وحسن وصفه ، في الخرى من النسيب الى المديح ،
واظنوا على انه لا يحسنه ولا يأتي فيه بشي * ، وانما اتفق له في مواضع معدودة خرون يرتضى
وتنقل يستحسن ونحن نبين ان الفران على اختلاف ما يتصرف فيه من الوجود والكثرة
والطرق المختلفة يجعل المختلف كالمؤلف والاختلاف المتباين كالمتناسب وهذا امر عجيب
تبيين في الفصاحة وتظهر به البلاغة ^(٣)

ويدخل في ذلك تلاوهم المعاني ، وقد عاب العسكري على الاعشى قوله :

وان امرا اسرى اليك ودونه سهوب وموماة ويبدأ سملق

لحنونة ان تستجيب لصوته وان تعلمي ان المعان موق

لان الشطر الاخير لا يشاكل ما قبله ، ونول عنقرة :

حرق الجناح كأن لحبي رأسه جلعان بالاخبار هشمولع

لان قوله : بالاخبار هشمولع ، ليس من صفة جناحه ولحييه في شي * ، ونول السموال :

فنحن كما المن ما في نصابنا كهام ^(٤) ولائنا يعد بهخيل

اذ ليس نولسه : ما في نصابنا كهام ، من نوله : فنحن كما المن . ولو قال :

ونحن ليوث الحرب ، ما في نصابنا كهام لكان مستويا ، ومن المتعارف

(١) اعجاز الفران ١٠٦ * جواب مني (٢) اعجاز الفران ٨٦ :

(٣) ٣١ (٤) ضعيف جبران

الصدر والاعجاز قول أبي تمام :

محمد ان الحاسدين حشود وان مصاب العز حيث تريد (١)

استدل البيت او تجنب التضمن : يعني النقاد بكلمة " تضمين " معنيين مختلفين : يصدون

بها استعارة بيت من الشعر ، او فقرة من الحكمة ، او آية

ترائية ، او حديث شريف ، او قول مأثور ، وتصينه في اثنا الفصيحة ، كقول الشاعر :

اذا دله عن علي الحزم لم يقل " فداً غداها ان لم تعنها العوائق (٢)
وان في الثاني لهذه القطعة ان كبر ، التي كجاجة الى يرد عليهم معناه كقول الشاعر :
لأن القلب لينة نبل يندى بلبلى العامرة او يراج

نظاة فرها شرك نبات تجاذبه ولد علق الجناح

وند استنبح العسكري من هذين البيتين ان الاول لم يتم معناه حتى اتمه البيت الثاني (٣) ، وند

أما النقاد هذه الفصية اهتماما كبيرا ، وعدوا الخرج عليها من العيوب الكبيرة في الشعر وند

مدح الجرجاني بعد الفوائد بقوله : " ترى كن بيت مستقلا بنفسه ، تباهي معانيه بالناظرة

الغر (٤) "

وند أعجب المرزباني بابيات امرئ القيس في وصف الليل ، ولكنه عاب عليه

زلة واحدة لا يعرفها الا امراء الكلم والحدائق بنقد الشعر وتمييزه " وهي قوله :

نقلت له لما تعطي بهلبه واردف اعجازا ونا بكلكل

الا ايها الليل الطويل الا انجلي بصبي وما الاصل منك بامثل

فلم ينس ما قال الا في البيت الثاني بمصارفانا اليه متعلقا به ، وهذا عيب عدهم ، لان

خير الشعر ما لم يحتج بيت منه الى بيت آخر ، وخير الابيات ما استغنى بعد اجزائه بهجر (٥)

ويقال المرزباني في مكان آخر من " الموشح " في استهجان الشعر المضمن ، ويعد من

(١) الصناعتين ص : ١٠٨ ، ١٠٩ (٢) الصناعتين ٢٦ (٣) الصناعتين : ٢٦ (٤) يتيمة الدهر

١٣ : ٢٥٤ (٥) الموشح : ٣٣ .

المعيب الشديد ، ولا تند الاجابة في رايه عند استقلال البيت ، من تتعدى ذلك الى استقلال
مقاطعة ، ومثل على رايه يقول النابغة :

ولست بمستبق اخا لائله . . . على شعث ، اى الرجال المهذب

لان الانسان لو تمس ببعض هذا البيت لكناه : ان قال : اى الرجال المهذب ، كناه ، وان
قال : ولست بمستبق اخا لائله على شعث ، كناه ايضا ^(١) ، ويتابعه على ذلك نداه من
بعضه فبعد ان يستنكر التضمين يقول : واعلم ان الشاعر اذا اتى بالمعنى الذى يريد
او المعنيين في بيت واحد كان في ذلك اشعر منه اذا اتى بذلك في بيتين ؟ وكذلك
اذا اتى شاعران بذلك ، فالذى يجمع المعنيين في بيت اشعر من الذى يجمعهما في بيتين ^(٢) .
اما صاحب " نقد الشعر " فيسمى ذلك " بالمبتور " : وهو ان يطول المعنى من
ان يحتمل العروص تمامه في بيت واحد ، فيقطعها بالثانيه وينته في البيت الثاني ، مثال ذلك
قول عروة بن الورد :

فلو كاليوم كان عليّ امرى . . . ومن لك بالتدبر في الامور

فهذا البيت ليس يقوم بنفسه في المعنى حتى يكمله قوله :

اذا لملك عصمة ام وهب . . . على ما كان من حسك الصدور ^(٣)

.....

على اننا ننبه الى ان استقلال البيت لا يخالف الوحدة في النصيدة ، ولا يرمي
البناد من ورائه الى تفكيك اجزاء الموضوع . غاية ما يستهدفون به ان يقوم المعنى في بيت
واحد ، وهذا ان يقوم في جملة ابيات ، ليسهل حفظه ، وتطمئن النفس الى الاستشهاد به .

(١) الموضح ٢٦١-٢٦٢ (٢) نقد الشعر : ٢٨-٢٩ (٣) نقد الشعر : ١٣٠ ، وحسب الصدور

كناية عن شدة الغيظ الكامن في نفسه .

حتى ان الباقلائي يجمع بين الرأيين : وحدة الموضوع واستقلال الابيات ، في قسم واحد ز
نار عن هذين البيتين :

ماذا عليك من انتظار متيم بل ما يخرّك وقفه في منزل
ان سيل مّي عن الجواب فلم يطق رجعا ، فكيف يكون ان لم يسال
" لست انكر حسن البيتين وخرجهما . . . الا ان البيت الاول منقطع عن الكلام
المتقدم (١) ضرا من الاخطا الانقطاع . لانه لم يجر لمضامدة العادل ذكر وانما جرى ذكر
العادل على وجه لا يتصل هذا البيت به ولا يلائم "

نرى الباقلائي ينبه الى ضرورة اتصال المعنى بما قبله ، ثم يتابع كزمه فيقول :
" واما البيت الثاني فانه معلق بالاول لا يستقل الا به ، وهم يعيبون ونوف البيت
على غيره ويرون ان البيت التام هو المحمود . والمصراع التام بنفسه بحيث لا ينفك على
المصراع الاخر ، افضل وانم واحسن (٢) .

.....

حسن الانتهاء : اذا كانت الاجادة المطالع مبهمة للسامع ووسيلة لآثارة استحسانه ، فان
من دلائل الشاعرية كذلك ان يعرف الشاعر اين ينتف وكيف ينتهي من
نصيدته ، لان اخر النصيدة هو اخر ما يبنى من الازهان ، قال العسكري : ينبغي ان
يكون اخر بيت في نصيدته اجود بيت فيها وادخل في المعنى الذي تحدث له في نظمها
كما فعل ابن الزمعي في اخر نصيدة يعتذر فيها الى النبي صلى الله عليه وسلم ويستعطفه ،
تخذ اللطيفة من ذنوب قد خلت وابل تضرع مستضيف تائب
فجعل نفسه مستضيفا ، ومن حق المستضيف ان يضاف ، واذا اضيف لمن حنسه

(١) اي منقطع عن البيت الذي قبله ، ولم يذكره الباقلائي (٢) اعجاز النثران : ١٠٥

ان يحان ، وذكر تضربه وتوبته ما سلف ، وجعل العفو عنه مع هذه الاحوال فضيلة ، فجمع
في هذا البيت جميع ما يحتل اليه في طلب العفو ومثله نون بشرين حازم في
آخر قصيدته :

ولا ينجي من الغمرات الا بزانا القتال او اللار

نظمها على مثل سائر ، والامثال احب النفوس لحاجتها اليها عند المحاصرة او المجالسة (١)

.....

المناظرة بين الالفاظ والمعاني : من ادق المشاكل التي عالجها النقاد في هذا العصر

مشكلة المناظرة بين اللفظ والمعنى ، وصعب على الباحث اليوم ان يصل الى الراى الصريح

ليعبره هؤلاء النقاد ، لشدة ما يحرم حوله من الغموض والتباين :

بالامدى مثلا يفضل المعنى على اللفظ ، لان المعنى هو ضالة الشعراء وطلبتهم ،

وبالمعنى دون ما سواه فضل امرؤ النير لان الذى في شعره من دقيس المعاني وديع الوصف

ولطيف التشبيه وديع الحكمة فوق ما استعار سائر الشعراء ولولا لطيف المعاني واجتهاد

امرؤ النير لبا تقدم على غيره ولئان كسائر الشعراء (٢) وآية ذلك اننا اذا ترجمت

بمعنى معاني ابي تمام الى لغة اخرى ، سيجنى اشراقها لروعة معانيها : فلو نظم ابو تمام

بالفارسية او الهندية نولسه :

واذا اراد الله نشر فضيلة طويت اتاح لها لسان حمود

لولا اشتعال النار ليطا جاورت ما كان يعرف فضل حرف العود

او نولسه : هي البدر يغنيها تودد وجهها الى كل من لانت وان لم تودد

او ما اشبه هذا من بدائعهم ، ونسره لنا مفسر بكلام عربي مشهور ، لبني في نظر الامدى شاعرا

(١) الصانقتين : ٣٥٤ (٢) الموازنة ٢١٠

محسنا باعتبار شعراء زمانه من اهل اللغة العربية على طلب شعره وتفسيره واستعارة معانيه (١) ولن الامدى لا يثبت ان ينافر نفسه في بداية الفصل الثاني ، فيزعم : ان دنيق المعاني موجود في كل لغة ، وان الشعر عند اهل العلم به ما هو الا حسن الثاني واختيار الكلام وضع الالفاظ في مواضعها ، بان اتفق مع هذا معنى لطيف او حكمة غريبة او ادب حسن ، فذلك زائد في بها الكلام ، وان لم يتفق فقد قام الكلام بنفسه واستغنى عما سواه ، واذا كانت طريقة الشاعر غير هذه الطريقة ، وكانت عبارته منصرة عنها ولسانه غير مدبر لما يعتمد من دنيق المعاني : ولسف يونان او حكمه الهند او ادب الفرس فقد جاء بالحكمة والبلد ، واستحق لقب حكيم او فيلسوف ، ولكنه لا يستحق لقب شاعر ، اذ ان سوء التاليد وردى اللفظ يذهب بطلاة المعنى الدنيق وينسده ويعمييه (٢)

فاليها يؤثر الامدى : الملقب بالمعنى ؟ فقد تفون ان راي الامدى الى جانب اللفظ ظاهر في تفضيله طريقة الباحثى على طريقة ابي تمام ، ولكننا نرد على ذلك ان كلام المؤلف الاول في تفضيل المعاني ظاهر كذلك ، ثم انه لم ياخذ على ابي تمام كما سنرى الاقصوصه واسنانه واحالته ، اما دقة المعاني وطرافتها فهو ضالة الشعراء اذا جاءتهم منطقية صحيحة .

ومثله العسرى ، فهو تارة ينحاز الى جانب الالفاظ ، ولا يهتم من المعاني الا ان تكون على صواب ، لان المعاني يعربها المعجمي والنروى والبدوى ، ولان الخطب الرائعة والاشعار الرائعة ما عملت لانها المعاني فقط ، بان الردى من الالفاظ يلزم مقام الجيد منها في الانها ، وانما الشأن في جودة اللفظ وصفائه ، وحسنه وبهاية (٣) والكلام اذا كان لفظه غشا ، ومعرضه رثا كان مردولا ولو احتوى على اجل معنى وانبله وارنعه والفضله

(١) الموازنة : ٢٢١ (٢) الموازنة ٢١١-٢١٢ (٣) الغناعتين : ٤١-٤٢

كقول الشاعر :

لما اطعناكم فى سخط خالفنا لاشك من علينا سيف نفته

وقول الآخر :

ارى رجلا يبادى الدين قد ننعوا وما اراهم رضوا فى العيش بالدين
فاستغنى بالدين عن دينه الملون كما تغنى الملون بدنياهم عن الدين
فهذا لا يدخل فى جملة المختار ، ومعناه كما ترى فاضل جميل^(١)

ولكنه يعود نيساوى اللفظ بالمعنى ، اذ ان حاجة البليغ الى اصابة المعنى
كحاجته الى تحسين اللفظ وفى الكلام نفسه نرى العسكى ينفذ مؤثرا ثالثا فيقرر
ان المدار على اصابة المعنى ، لان المعاني تحل من الكلام محل الابدان ، والالفاظ تجري
معها مجرى الكسوة^(٢) .

واذا كان لما ان نستنتج شيئا من هذا التنازع ، فانما نستنتج ان هؤلاء
النقاد كانوا يحرصون على جمال الالفاظ حرصهم على روعة المعاني ، ولا يحرصون ايها
يفضلون ، وقد مر بنا ان العسكى والباقلاني وابن شهيد كانوا يرون ان جمال الالفاظ
لا يتوقف على حلاوتها وجرسها فحسب ، بل على ملائمتها لمقتضى الحال لان مدار الكلام على
الاهتمام كما يقول العسكى وعلى موع الحاجة كما يقول الباقلاني ، وهى خطوة حسنة فى ربط
اللفظ بالمعنى يظهر اثرها فى القرن التالي عند عبد الفاهر الجرجاني فى ما يدعوه " بالنظم
المعنى^(٣) " . والواقع ان اختلاف هؤلاء الادباء فى قضية اللفظ والمعنى يتكاد يكون شكليا
لا يتعدى الظاهر ، والذى يتعجب الامثلة التي كانوا يستشهدون بها على الكلام الجيد ينذر
ان يقع على ابيات جيدة اللفظ رديئة المعنى ، او جيدة المعنى رديئة اللفظ . وفى الحقيقة

(١) الصناعتين ١ : ٢١ (٢) الصناعتين ٥١ (٣) راجع كتاب : دلائل الاعجاز : ٢٣ مطبعة

بان على هذين الطرفين معا تعتمد الفنون البديعية ، فاما الفصاحة فكانت تحم حول
الالفاظ والقوالب ، واما البلاغة فكانت تدور على الصور والمعاني ، فان العسكري : فعلى
هذا تكون الفصاحة والبلاغة مختلفتين ، وذلك ان الفصاحة تمام آلة البيان • فهي منصورة
على اللفظ لان الالة تتعلق باللفظ دون المعنى ، والبلاغة اما هي اسماء المعنى الى القلب
فكانها منصورة على المعنى ^(١) ، ولعل راي النحوي الكبير ابن جني هو خير ما قاله هو :
الادباء في نضبة المعنى واللفظ :

يرى ابن جني ان العناية بالالفاظ امر لا ينفص عن العناية بالمعاني ، بل هو من اهم
الوسائل للعناية بها ، لان الالفاظ عنوان المعاني وطريق الى اقتدار الاغراض ، وعلى الادباء
ان يصلحوا الفاظهم ويرتبوها وبالفوا في تحبيرها وتحسينها ليكون ذلك اوقع لها في السمع
واذهب بها من الدلالة على النقد ، فالمثل المسجوع يلد سامعه يحفزه وينتفع بمعناه
واذا راينا العرب قد اصلحوا الفاظهم وحسنوها وصحوا حواشيها وهذبوها وشدوا غريبها «
وارهفوها ، فالعناية ان ذاك لخدمة المعاني ، وما زالت المعاني انوى عندهم واكرم عليهم
وانهم ندرا في نفوسهم • ونظير ذلك : اصلاح النوا وتحصينه من اجل الاحتياط للمؤمن
عليه والوفاء له ^(٢)

نعم ان الالفاظ خدم للمعاني ، والمخدم لانش اشرف من الخادم ، ولكن العرب
انما تحلى الفاظها وتدهبها وتزهونها ، عناية بالمعاني التي وراءها وتوصلا بها الى ادراك
مطالبها ^(٣) ، ياخذ ابن جني هذين البيتين المشهورين :

ولما نضينا من منى كل حاجة ومسح بالاركان من هوامح
اخذنا باطراف الاحاديث بيننا وسالت باعناق المطي الاباطح

نرى ان العناية بالفاظهما انرا كبيرا جدا في جمال معانيهما : فالذين يظنون ان جمال —

(١) الصناعتين : ٧ (٢) الخصائص ١ : ٢٢٣ — ٢٢٥ (٣) الخصائص ٢٨٨

الانسان فيما لهد من موسيته ونعم فحسب يظنون ان كل ما كسبه هذان البيتان من العناية
بالتاسمها انما هو حلاوة ونعيم على السمع واستشراق اللسان الى ترديدهما ، اما معناهما
يهو : لما مرغنا من الحق ركبنا الطريق راجعين وتحدثنا على ظهور الابل . ذلك هو ظن -
العسكري ومؤلف : نقد الشعر (١)

اما ابن جني ، فيرى ان العناية بهذه الالتفات قد قلبت المعنى راسا على عقب
، والذي يظن ان غاية الشاعر الى هذا الحد من القرب بهو جاني الطبع فصير النثر ،
ذلك ان قوله : كل حاجة ، يفيد منه اهل النسيب والرقعة ما لا يفيد ، غيرهم ، الا ترى من بحر حوائج
منى اشياء كثيرة : منها التلافي ، ومنها التشاكي ، ومنها التخلي ، الى غير ذلك مما هو قال
له ومعنود الكون به ، وكأنه موه (٢) من هذا الموضع الذي اوما اليه ، وعند غرضه عليه ، لفظ
لقوله : وصح بالارتان من هو ماسح واما البيت الثاني : اخذنا باطراف الاحاديث
بيننا ، فان فيه من المعنى ما يعجب الانسان منه ، فالحدث بين الالبيين شائع عندهم واسع
في محاوراتهم :

وان حديثنا منك لو تبدل بسنه جنى النحل في البان عود مطالل

يكيد به اذا فیده بنوله : باطراف الاحاديث ، فان في ذلك : وحيا خيبا ورمزا حلوا افانه
يريد باطرافها ما يتعاطاه السجون : من التعرير والتلويح والايما دون التصريح ، وذلك
احلى وادمث واغزل وانسب من ان يكون مشاندة وكشفا ومصارحة وجهرا وفي قوله
وسالت باعناق المصطي الا باطح (٣)

من النصيحة ما لا يخاف به ، والامر ليه اسير واشهر (٣) ١٢ "

فهذه الاديبة اذن لا تنكتفي بالغوص على المعاني وتدقيقها ، بل ان الى جانبها
مهمة اخرى : هي اختيار اللباس الاجمل لهذه المعاني ، وان يشارن الفيلسوف والعالم الاديبي

(١) نقد الشعر : ١١ ، ٢٢ والصناعتين : ٤٢ (٢) هذا تعبيرنا ، ونقابل كلمة : "صانع" في

كلام ابن جني والكلمتان لهما معنى واحد كما يدل سياق الحديث (٣) الخصائص ٢٢٠-٢٢٩

في لطيف العدم ودقة التفكير ، يصبح امتياز الفن الادبي عن العلم والفلسفة ، باثقان الطالب الذي تبرز به المعاني وتجميله ، فالمعنى هو المادة الهامة التي يتصرف بها الاديب ، ولكن منزلة الاديب تعود نذلت الى السهولة وان الفن اللذين يستطيع بهما ان يكيف هذه المادة على اجمل صورة واقربها الى النفوس ، ومن هذه النجدة يرى ان الاديب مكرع علي ننان ، يرى ما يراه المفكرون ، ولكنه هو الذي يستطيع من دونهم ان يذيع آراءه بين الناس ويؤدى اليهم رسالة الفكر السامي بما سجد الله من بن وموهبه . ومن الحق ان نعتزف للاديب بنى خاص من المعاني لا يشاركه فيها غيره من الناس ، ويمتاز بها امتيازه بروعة القوالب وساطتها : تلك هي الصور والمعاني الشعرية :

ما كل ما يتمنى المرء يدركه تجرى الرياح بها لا تشتهي السفن

كل انسان يستطيع ان يقول : ان الحشوط لا تجيب جميع الرغبات ، ولكن الشاعر السليم موالئذ بمقدوره ان يفرن الى هذه الحقيقة صورة صريحة تمثلها : صورة السفينة تكاثرها الرياح : فاذا كان من السهل علينا ان نقول :

ما كل ما يتمنى المرء يدركه

نان من الصعب على غير المتنبى واساله ان يقولوا :

تجرى الرياح بها لا تشتهي السفن

وحتم هذا البحث بكلمة للمسكرى بن العناية بالمعاني والالفاظ ^{الذ} معا ~~انها~~ يقول : وينبغي ان يثلب الاصابة في جميع ذلك ، ويتوخى فيه الصورة المنبولة والعبارة المستحسنة ، ولا يتكل فيما ابتكره على فضيلة ابتكاره اياه ، ولا يفره ابتداعه له فيساهل نفسه في تحجيم صورته ، فيذهب حسه ويظمر نوره ويكون فيه اقرب الى الذم منه الى الحمد ^(١)

آه

الباب الخامس

الصناعة المعنوية

أصابة المعاني : لاجادة المعاني شروط كثيرة : أهمها : ان يكون المعنى صحيحا ، وند

أخذ الأمدى على أبي تمام نوله

لو كان نى عاجل من أجل بدل لكان نى وعد من رند بدل

قال الأمدى : ولم لا يكون نى عاجل من أجل بدل ؟ الناس كلهم على اختيار العاجل وإيمانه

وتدبمه على الاجل . الا ترى نون القائل الذى صار مثلا : والنفس مولعة بحب العاجل ،

والعاجل ابدا هو المطلوب المرفوب فيه ، حتى ان نيله يؤخر على كثير الاجل ، كما قال الآخر :

اعاذل : عاجل ما انتهى احب من الاكثر التراث

تانه يريد : عاجل ما انتهى مع الفلة احب الي من الاكثر المبطى (١)

والعسكرى يرى الحال الذى لا وجه له نى نول الشاعر :

وانى اذا ما الموت حل بنفسها يمزال بنفسي قبل ذاك فائبر

بهذا الله شبه بنون نائل لو قال : اذا دخل زيد الدار ، دخل عمرو قبله . وهذا عين

الحال المستع (٢) واخذ على امرى النيس نوله :

الم تسأل الريح النديم بعسما : كأنى انادى إذا كُلم اخرسا

فشبه الريح بالآخرس ، والخرس احد صفات الريح ، قال العسكرى : هذا التشبيه ناسد لاجل انه

لا يقال : كلمت حجرا فلم يجب فكانه كان حجرا ، والجيد منه نول كثير نى امرأة :

فللت لها يا فز كل مصيبة اذا وطئت يوما لها النفس ذلت

كأنى انادى صخرة حين اعرضت من الصم لو تمنى بها العمم زلت (٣)

(١) الموازنة ١٠١ (٢) الصناعتين : ٢٢ (٣) الصناعتين ٥٢

واخذ على الراعي قوله :

يكسو المارق واللبات ذا ارج من نصب معتلف الكانور درّاج

لانه اراد المست يجعله من نصب الظبي ، والنصب : المعنى ، وجعل الظبي يعتلف الكانور

بميتولد منه المست ، قال العسكري : وهذا من طرائف الغلط ، وقريب منه نور زهير :

بمزجن من شربات ماؤها طيل ^١ على الجذون يحفن الغم والفرنا

ظن ان الضفادع يخرجن من الماء مخافة الفرق (١) :

وفي العقد : عيب على ابي ذؤيب قوله في وصف الدرة :

نجاها بها ما شئت من لطيفة يدوم الفرات فونها ويمس

لان الدرة لا تكون في الماء الفرات ، انما تكون في الماء المالح (٢)

ويلى ذلك : الوضوح : وقد كان اشد ما ذم به شعراي تمام والمنتبي : غموض المعاني ،

قال الجرجاني : " اجتلب ابو تمام المعاني الغامضة وفصد الافراد الخفية ، فاحتمل فيهما

كل غث ثفل ، وارصد لها الافكار بكل سبيل ، فصار هذا الجنس من شعراء اذا فتح السمع لم

يصر الى الغلب الا بعد اتعاب الفكر وكثرة الخاطر والحمل على الفريضة (٣) . . . فمن ذلك

قوله

جهمية الاوصاف الا انهم ند لنبوها جوهر الاشياء

وتولسه

يوم انامر جوى اغاضر نعزبا خاض الهوى بحري حجاب المزد (٤)

على ان الجرجاني لا يغالي كثيرا في اهمية الموضوع ويعترب بان الشاعر الفحل هو الذي تحدد

الخنون بمعانيه وتذهب بالخيال كل مذهب ، هو الذي تعلو تنظف معانيه على انكار الناري

(١) الصناعتين : ٥٢-٥٤ (٢) العقد ٣ : ١٦١ (٣) الوساطة ٢٢ (٤) الوساطة ٢٣-٢٤

وتحملة على بذل شيء من الجهد للوصول اليها :

يظل اجتهداى بينهن مفصرا وتمسى ظنوني دون غايتها حسرى

إذا رمت ان ادنوا ليها تمنعت ٢٥٥ : ٣ ينه الدهر

ويستحسن الشعالي ان يتناول الشاعر معانيه بالرمز والاشارة الدنيئة كنول ابي الطيب ١٥٨ : ١

الى الذى تهب الدولت راحته ولايمن على آثار موهوب

وكفولاه : فراق ومن نارت غير مذم

وند استحسن صاحب " نند الشعر " الاشارة : وهى ان يكول اللفظ مشتتلا على معان كثيرة

بايما اليها اولحة تدل عليها . . . واستشهد بنول امرى الفير :

فان تهلك شئوه او تبدل فسوى ان فى غسان خالا !

لعزم عززت وان يذلوا نذلهم انالك ما انا لا

" نبيئة هذا الشعر على ان الناس مع نصرها ند اشيرها الى معان طوال : من ذلك نوله :

تهلك او تبدل ، ومنه نوله : ان فى غسان خالا اومنه ما تحته معان كثيرة وشئ ، وهو نوله

انالك ما انا لا . . . ونول الاخر :

هاج ذا اللب من تذكر جمل ما يهيج المقيم المحزونا

" نند اشار هذا الشاعر بنوله : ما يهيج المقيم المحزونا ، الى معان كثيرة " من نند الشعر

١٠- ١١ ولي ذلك : وضع الامور فى مواضعها : فلا ينبغى للشاعر ان يمدح الكاتب بالشجاعة

ولا الفنيه بالكتابة . . . ولا يخاطب النساء بغير مخاطبتهن ، ولكن يمدح كل احد بصناعته

وبما فيه لا من فضيلته ، وبهجه برذيلته ومذموم خليفته . . . فان فى مقارنة هذه السبيل وضاً

للاشياء فى غير مواضعها ^(١) . وتتوقف اصا به المعنى : على مراعاة مقتضى الحال ، فلا

يجوز الامدى للبحرئ ان يقول فى مدح المعتز بالله

لا العذل بروه ولا الت
حنيف من كرم يحده

" بهذا من اهجى ما يمدح به خليفة ، ومن ذا يعنف الخليفة او يصد ؟ ان هذا بالهجاء اولي
منه بالمدح (١) .

ولا يجوز العسكى للاخطل ان يقول فى عبد الملك

وقد جعل الله الخلافة منهم لا يلع لا عارى الخوان ولا جذب

" لان مثل هذا الا يمدح به الملوك (٢) .

ومن لطيف ما ذكره الىه سيف الدولة استنكاره كلمة المنكح فى بيت مادحه :

نقدنا لنا من جودت الماكول والـ مشروب والمنكح والمليوس

" فان الملوك لا تخاطب بمثل هذا (٣) .

ويذمون المعاني " المتفجرة " ومن ذلك قول ابي تمام :

ما حمد نصرأ ما حبيت واننى لا علم ان قد جل نصر عن الحمد

" فانه رفع المدي من الحمد الذى تدب الله عباد ، اليه بان يذكره بلى به وينسبه اليه . . .

. . . وللعرب فى ذكر الحمد ما هو كثير فى كلامها واشعارها . ما يهيم من رفع احدا عن ان

يحمد ولا من استقل الحمد للمدى ، قال زهير بن ابي سلمى :

متصرف للمجد معترف للرزق نهام الى الذكر

اى حيث ما راي خلة تكسبه الحمد التمسها وقال الاعشى :

ولكن على الحمد انائه وقد يشتره باغلى ثمن (٤) .

على اننا لانرى راي الامدى فى بيت ابي تمام ، لان من كرم الاخلاق ان يزهد المحسن فى الثناء

ويترك الحمد لله جل جلاله ، وفى القرآن الكريم نفسه ما يخالف راي الامدى . قال تعالى على

(١) الموازنة ١٨٨ (٢) الصناعتين ٥٥ (٣) ينمية الدهر ١٣-١٤ (٤) الموازنة ١٠٧-١٠٨

لسان المتقين : " ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما واسيرا . انما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا " (١) وابوتام وان اخطا حس التعبير في قوله : جل عن الحمد بانه اصاب المعنى . وقرئ كبير بين ان يعمل الانسان الخير للخير ، وان يعمله حبا في المجد والثناء .

ويدخل في ذلك صيغة المناجاة : « وهي ان يصنع الشاعر معاني يريد التوفيق بين بعضها وبعض ، او المخالفة بينهما ، باتي في الموافق بها يوافق ، وفي المخالف بها يخالف على وجه صحيح . او بشرط شروطا ويحدد احوالا في احد المعنيين ، فيجب ان ياتي بما يوافقه بمثل الذي شرطه وعنده ، وبما يخالف بخصه ذلك ، كما قال الشاعر :

واذا حديث ساءني لم اكتب واذا حديث سرني لم اشر

لجمع باراء سرني ساءني ، وباراء الاكتاب : الاشر ، وهذه المعاني غاية في التناهل (٢) وقد يدعون ذلك : بالطباق ، والنقاد مولعون كثيرا بهذا الباب : كان الخوارزمي يقول : امير شعراء العصر ابو الطيب وامير شعره نصيدته التي اولها :

من الجآذر في زى الامارب حمرا الحلى والمطايا والجلابيب

وامير هذه النصيدة قوله :

ازورهم وسواد الليل يشفع لي وانثنى وبياض الصبح يغرى بي

لانه جمع فيه اربعة من الطباق ، وهى : الزبارة والانشاء ، والسواد والبياض ، والليل والصبح ، والشفاعة والامراء (٣) ،

وعاب صاحب " نقد الشعر " على ابي علي الفرسي نساد المطابقة في قوله :

يا ابن خيرا الاخيار من عهد شمس انت زين الدنيا وفيها الجنود

" فليس قوله : في الجنود موافقا لقوله زين الدنيا ولا مضادا له ، وذلك عيب " (٤)

(١) سورة الدهر (٢) نقد الشعر لتدانة ٧٦ - ٨٠ (٣) خاص الخاص : ١١٧ (٤) نقد الشعر

والإبراط طاهر في هذا الحكم ، إذ يفيد المؤلف المعنى بالمخالفة أو الموانفة ، في حين يريد الشاعر مجرد العطف .

وبلي ذلك صحة التفسير : "وهو ان تفسم الكلام نسبة مستوية تحتون على جميع انواعه ولا يخفى منها جنس من اجناسه ، كقوله تعالى : "وهو الذي يريكم البرزخونا وطعنا" قال العسكري : وهذا احسن تفسير ، لان الناس عند رؤية البرزخ بين خائف وطمع ليس فيهم ثالث (١) " ويستحسن صاحب نقد الشعر من ذلك قول النصيب :

فقال فريق القوم لا ، وفريقهم نعم ، وفريق قال ويحك لا ادري

فليس في انسام الاجابة من مطلوب اذا مثل منه غير هذه الانسام (٢)

وعاب النقاد على جرير قوله في بني حنيفة :

صارت حنيفة اثلاثا فنلتهم من العبيد وثك من موالها

"لانه غفل عن ذكر الثلث الثالث وهو مالا يجب تركه (٣) .

وعلى الشاعر ان يحيط بالمعنى الذي يشرع به ويستوفى وجوهه الممكنة " كنول زهير :

هنالك ان يستخولوا المال يخولوا وان يسألوا يعطوا وان ييسروا يغفلوا

وفيهم مقامات حسان وجوهها واندية ينتا بها القول والفعل

لما استتم وصفهم بحسن المال ، وتصديق القول بالفعل ، وصفهم بحسن الوجوه ثم قال :

على اكثرهم حق من يحترهم وعند العقليين الساحة والبذل

فلم يخل كثيرا ولا مثلا منهم من يروض ، ثم قال :

فان جنتهم الغيت حور بيوتهم مجالس تد يشفى باحلامها الجهل

فوصفهم بالحلم . ثم قال :

وان قام منهم قائم قال ناعد رشدت فلا عنم عليك ولاخذل

(١) الصناعتين : ٢٦٢ (٢) نقد الشعر ٧٨ (٣) نقد الشعر ١١٨ .

يوصفهم أيضا بالشاعر والتعاون ، ولما آتاهم هذه الصفات النفيسة ، ذكر فضل آبائهم فقال :

وما بك من خير اتوه نائما توارثه آباء آبائهم نبل

وهل ينبت الخطي' الا ونسبجه ونغرس الا في منابتها النخل (١) .

قال ابو هلال : " ينبغي ان تعرف ان اجود الوصف ما يستوعب اكثر معاني الموصوف حتى يانه بمصور الموصوف لك فتراه نصب عينيك (٢) " ويضيف مؤلف " نقد الشعر " شرطا اخر للوصف الجيد : " فليكتفي من الشاعر بان يجي " باكثر معاني الموصوف " من عليه ان يقدم في الاختيار : اسرها فيه واولاها (راجع ص ٧٠ - ٧١ من نقد الشعر) وقد اعجب الاستاذ نسيب نقاش : " غير ان ندامة بن جعفر حدد الوصف تحديدا قال فيه جميع النقاد العرب اولا واخرا ، ناصب بثائب فكره مرمى بعيدا لان زملاءه ناطبة : ذلك انه اهتدى الى " الاختيار " الذي ينبغي للثان ان يعرض عليه في وصف الاشياء وتمثيلها : نقد الشعر للاستاذ عازار - ١٥٦ "

ومن اصابة المعاني : صحة التفسير : وهي ان يصح الشاعر معاني يريد ان

يذكر احوالها ليذكر ذلك فيما بعدها من الابيات ، كقول الشاعر :

نواحسرتي حتى متى القلب موجه لمعد حبيب او تعذر انغال

نفسر ذلك فقال :

فراق خليل مثله يورث الاسى وخلة حر لا يلوم بها مالي (٣)

ومن ناسد التفسير :

نيا ايها الحيران في ظلم الدجى ومن خاف ان يلفاء بغى من العدى

تعال اليه تلقى من نور وجهه ضياء ومن كفيه بحر من الندى

قال صاحب : نقد الشعر : وجه العيب بيهما ان هذا الشاعر لما ندم في البيت الاول

الحيرة في العلم ومعنى العدى كان الجيد ان يفسر هذين المعنيين في البيت الثاني بما يليق بهما ، فاني بالظلم بالضياع وذلك صواب ، وكان الواجب ان ياتي باراء العدى بالنصرة او بالعصمة او بالوزر او بما جاور ذلك مما يحتمى به الانسان من اعدائه فلم يات بذلك وجعل مكانه ذكر الندى (١)

ويحذر العسكري من : التنافس ، وقد ذكر بيتي مروءة بن ادينة :

نزلوا ثلاث مئى بمنزل غبطة وهم على غرض لعمرك ما هم

متجاورين بغير دار انافة لو قد اجدر حيلهم لم يندموا

معاب عليه قوله : لو رحلوا لم يندموا ، بعد ان قال : نزلوا في دار غبطة (٢)

واورد بيت المرفر الاصغر :

صحي ثلثه عنها ، على ان ذكره اذا خطرت دارت به الارض قائما

يقال : وكيف صحي عنها من اذا ذكرت له دارت به الارض (٣)

وخطا الامدى نول ابي تمام :

وارى الامور المشكلات تمزنت ظلماتها من رايت المتوند

فبسطت ازهرها بوجه ازهر وثبقت اريدھا بوجه اريد

لانه قال الامور المشكلات وجعل لها ظلمات ، ثم عاد فقال : بسطت ازهرها ، والزهري

النبرات والمشكلات لا يكون شي منها نهرا (٤)

على ان هناك نوعا من المناقضة لاغنى عنها لاديب بصور النفس كما هي ، وفي النفس

شي كبير من التنافس ، غفل العسكري عن هذه الحقيقة فعاب على عمر بن ابي ربيعة قوله :

نالت لها اختها نعاتها لانفسدن الطواف في عمر

نومي تصدى له ليصيرنا ثم اغزيه يا اخت في خفر

(١) نقد الشعر ١١٩ (٣) الصناعتين : ٨٤ (٣) الصناعتين ٥٤ (٤) الموازنة ١٢٣

(٥) : صفة اوردت . وادرج للنظم

لانه " ناض في حكايته عن صاحبها ، وذكر نهجها اياها عن انساق الطوائف به ثم انها قالت لها : فومي انظري (١) .

والتأمل يرى في هذين البيتين وصفاً دقيقاً " لتردد " الفتاة " وتلطفاً " في التنبيه الى عمرو بن تلمس السبيل للحديث عنه . وقد فطن ابن عبد ربه الى ان من المناقضة ما يساير حال النفس وتقلباتها ، قال : " وقد يختلف معنى اشاعر ايضاً في شعر واحد بقوله : الا ترى ان امرا النيسر قال :

وان كنت قد ساكتك مني خبيثه نسلي ثيابي من ثيابك تتسل
يوصف نفسه بالصبر والجلد والقوة على التهاون ، ثم ادركته الرقة والاشتياق فقال البيت الذي بعده :

اغرك مني ان حبك لاثلي وانك مهما تامرني القلب يفعل
مستدركا قوله في البيت الاول : نسلي ثيابي من ثيابك تتسل (٢) .
ويرى مؤلف " نقد الشعر " ان مناقضة الشاعر نفسه بان يصف شيئاً وصفاً حسناً ثم يذمه بعد ذلك دماً بينا غير منكر عليه ولا معيب من فعله ، اذا احسن الشعر والذم ، بل هو حمده : دليل على قوة الشاعر في صناعته واملاكه لناحية منه (٣) . قال ندامة :

" وانما ندمت هذين المعنيين لما وجدت نوما يعيبون الشاعر اذا سلك هذا

المسلك ، فيعيبون على امرئ النيسر قوله في موضع :
فلوان ما اسعى لادنى معيشة كفاني ولم اطلب قليل من المال
ولكنما اسعى لمجد مؤثـل وقد يدرك المجد المؤثـل اثـمالي
وقوله في موضع آخر :

فتلأ بهتنا الطـا وسـمنا وحسبك من غنى شـبع وري

فان من عابه زعم انه من قبيل المناقضة ، حيث وصف نفسه في موضع بـ *سما الهمة*
 ونفذ الرضى بدنى المعيشة ، واطرى في موضع آخر *الفتاة* ، واخبره عن اكتفاء الانسان
 بشيء بشبعه وركبه

بأنون . . . ان المعنيان متقنان ، الا انه زاد في احدهما زيادة لا تلغى ما في
 الآخر . . . وذلك انه قال في احد المعنيين .

فلوان ما اسعى لادنى معيشة كناني ولم اطلب قليل من المال

وهذا موافق لقوله : وحسبت من غنى شبع وري . ولكن في المعنى الاول زيادة ليست بـ
 منافعة لشيء ، وهو قوله : لكني لست اسعى لما يكفيني ولكن لسجد اولئله ،

ومع ذلك فلوان الشاعر دلت وذهب اليه لم يكن عندى مطلقا ، من اجل انه لم
 يكن في شرط شرطه يحتاج ان لا ^{ينقص} يوصف بعضه بعضا ، ولا في معنى سلكه في كلمة واحدة ايضا
 لم يجرم مجر العيب . لان الشاعر ليس يوصف بان يكون صادقا ، بل انما يراكم منه اذا اخذ
 في معنى من المعاني كاللنا ما كان ان يجيده في وقته الحاضر ، لان ينسج * اى ينفك -
 ما ناله في وقت آخر (١) .

وفق المؤلف في اباحة المناقضة ، كما وفق في اشتراط استعمالها بافتدائرونة
 تصرف واحسان «اذا احسن المتن والزم» - ان ليست كن منافعة منبولة ، وانما تحسن في
 بعد الادب الموضوعي ، حينما يتكلم الاديب بلسان شخصياته على اختلاف آرائهم وطباعهم
 وسروهم ، كما تحسن في الشعر الوجداني على ان لا تخالف الطبيعة البشرية ولا يتعدى
 الامر وصف النفس الانسانية في احوالها المتقلبة . غير انه لم يصب كبد السواب عندما حول
 المسألة الى نضية الصدق والكذب ، بتبدل ميول النفس ونظراتها لا يعني تحولها من الصدق الى
 الكذب . وكذلك اخطأ المؤلف لدى محاولته نفي التقلب من كلام الشاعر الضليل . ولو

(١) نفذ الشعر ١٤-١٦ مع شئ من التلخيص

انه احتج للشاعر بأنه يصف نفسه في ظرف جديد لاصاب تمام التوفيق . ذلك ما يراه ندامة في " نقد النثر " . يرى ندامة ان هذا الاختلاف بين المعنيين من قبيل " وضع الامور في مواضعها " يوضح الشاعر طلب الرفعة وسمو المنزلة موضعها اذ كان ملكا . لان ذلك يليق بالملوك ، ثم وضع المناعة موضعها لما زال عنه ملكه وصار كواحد من رعيته ، لان ذلك اولى بمن هذه منزلته (١) .

ومن الابحاث الهامة التي خاض فيها النقاد / قضية المبالغات الشعرية : -
كان النقاد يستحسنون المبالغة في الشعر ، ومنهم من عدها من جملة الخشون البديعية التي يزدان بها الكلام ، كالباذلاني (٢) والعسكري (٣) . وبرز من تكلموا فيها واجادوا الدفاع عنها : مؤلف نقد الشعر ، وفي كلامه ما يشير الى تاثير المؤلف برأي (د)سفة اليونان (٤) ، ولعله يشير الى نظرية الفلولا سطو (٥) :

يلاحظ المؤلف في مستهل كلامه عن المبالغة ان هناك مذهبيين : الاول يرى الفلوم حسنات المعنى ، والاخر يفضل الانتصار على الحد الاوسط في ما ينال منه . ولكن ما هو الاساس المنطقي الذي يبنى عليه حكمه كل من المذبيين ؟ لم يكن هناك اساس معقول يعولون عليه ويدفعون به حجة من يخالفهم . بل ان منهم من يحكم في كثير من الاحيان برأي خصومه ويناقض نفسه بنفسه : فبعضهم يقول ان بيت مهمل بن ربيعة :

فلولا الريح ، اسمع من بحجر صليل البعير تنزع بالذكور

خطا ، لشدة ما فيه من المبالغة لانه كان بين موضع الرقة وبين حجر مسافة بعيدة جدا وكذلك كانوا يذمون الفلوم في بيت ابي نواس :

واخذت اهل الشرك حتى انه لتخافك النطف التي لم تخلق

(١) نقد النثر ٨١ (٢) امجاز الفران ٤٥ (٣) الصناعتين ٢٨٠ ، ٢٨٧ (٤) نقد الشعر ٣٧

(٥) مقدمة نقد النثر لطلح حسين : ١١

وهؤلاء المنتقدون باعينهم كانوا يستحسنون ما يرون من طعن النابغة على حسان بن ثابت في قوله :

لنا الجفاني الفريلمع بالضحى واسيانا يقطن من نجده دما

لانه قال : القروم يقطن البير ، وقال : يلعب بالضحى ولم يقل يلعب بالدجى ، وقال : اسيانا يقطن من نجده دما ولم يقل : يجرس ، والبير اكثر من اللعان ، واللعان في الدجى اقوى من اللعان في الضحى وجرى الدما اغزر من تناثرها .

يتناثر هؤلاء النار انفسهم اذا ، ثم اسهم يخطئون في نكدهم بيت حسان ولا

يفهمون معناه ، يبين المؤلف مواضع الخطأ في تحليل دقيق ، لا بأس من استعراضه :

ذلك ان حسان لم يرد بقوله : الفرء ان يجعل الجفان بيضا ، ولكنه اراد بذلك

المشهورات كما يقال : يوم اغرء وبدعزء ، يراد بذلك الشهرة والنباهة ، واما قول النابغة

يلعب بالدجى اول على اشراق الجفان ولعانها فغير صواب . اذا كثر الاشياء ماله ادنى

نور وايسر بصير يلعب في الليل كاللكواكب والمصابيح وهيون السباح ناما في ضحوة النهار فلا يلعب

من الاشياء الا ما كان ساطع النور شديد الضياء ، واما ان تجرى السيوف بالدماء بدل ان تقطر

فتلك مبالغة ، ولكنها مبالغة غير جيدة ، والشاعر مصيب في مجانبتهما .

اما رأى المؤلف الخاص ، فيحبذ المبالغة ومهددا اجود المذهبيين ، ويتابع في

ذلك فلاسفة اليونان وهو يرى فيها اداة حسنة لتجسيم المعاني في المذهب وارسالها -

امثالا شعيرة نهاية في الحسن ، قال : " انما يراد بالمبالغة المثل وبلوغ النهاية في

التمت . . . وكل غال مفرد في الغلو اذا اتى بما يخفى عن الوجود فانما يذهب فيه الى

تصويره مثلا (١) . وعلى هذا الراى اكثر النقاد . نعم لقد رند العسكرى المبالغة في

ايات المتنبي :

توهمتها في كاسها فكاننا توهمت شيئا ليس يدرك بالعقل
وصغراء ابني الدهر مكنون روحها وقد مات من مخبئها جوهر الكل
نما يرتقى التكيف منها الى مدى تحف تحد به الا ومن قبله نسل
وسه لم يعجب المبالغة من حيث هي مبالغة ولكنه عاب تكلف الشاعر لها ، وما يشوبها من سوء
الاستعارة ونبيي العبارة ... وجعلها لا تدرك بالعقل ، وجعلها لا اول لها ... وقال
انها جوهر الكل وذكر كلمة : التكيف وذلك في غاية التكلف (١) .

وكذلك الثعالب حين يستنكر " بشاعة المبالغة " في قول المتنبي
ونالوا ما شاتوا بالحزم هونا وصاد الوحر نملهم كدبيبا

ونوله :

واعجب منك كيف لدت تشا وقد اعطيت في المهد اكمالا
وانم لو صلحت يمين شي لما صلح العباد له شمالا (٢)
وهب انت توريد مذهب المبالغة فهل يضع ذلك ان تشارك صاحب بن عباد في قوله
عن هذا البيت :

لو استطعت ركبت الناس كلهم الى سعيد بن عبد الله بهرانا
ناب صاحب : " ومن الناس امه ، نهل ينشط لركوبها ؟ والمدون ايضا لعل له عصبه لا يحب
ان يركبوا اليه ، نهل في الارر انحر من هذا السحب وارض من هذا النسيط ؟ " نالنفاد
اذا كانوا يندرون جمال المبالغة ونائدتها ، ولكنهم كانوا يحذرون من المبالغات السخيفة التي
تفتر منها الاذواق .

(١) الصنائع ٢٨٦-٢٨٧ ملخص

(٢) يتيمة الدهر ١١٨ - ١١٩

مراعاة المعايير التقليدية : من عجيب ما يراه الباحث في الكتب القديمة في القرن الرابع

ولم يعض النقاد في تحديد خطرات الشعراء والكتاب بطريقة

مربومة لا يجيزون لهم الحيات منها . فقد خطا الامدى قول ابي تمام :

ظعنوا فكان ^{نظري} حولا بعدهم ثم اروعيت وذاك حكم ليبد

اجدر بهجرة لومة ، اطاؤها بالدمع ان تزداد طول وفود

لار من شان الدمع ان يطفى العليل ويبرد حرارة الحزن ويزيى سدة الوجد ويعقب

الراحة واستدل المؤلف على رايه بقول امرئ القيس :

وان شئني عبدة مهراة نهيل عند رسم دارمر من معول

وقول ندى الرمة :

لعل انحدار الدمع يعقب راحة من الوجد او شفى نجى الهلايل

وقول الفرزدق :

نقلت لها ان البكاء لراحة به يشفى من ظن ان لا تلتافيا

واستشهد بقول ابي تمام نفسه :

نشرت مزيد مدايح لم تنظم والدمع يحمل بعسر ثقل المعظم

وقوله :

واقفاً بالخداود والبرد منه (١) وانه بالقلوب والاكباد

وقوله :

فلعل عينك ان تجود يماثها والدمع منه خاذل مواسي

وقوله :

فلعل عبدة ساعة اذريتها تشيخ من ارباب وجد محول

(١) لعل الضمير يعود الى الدمع .

فالامدى يرى ان ابا تمام لو كان اقتصر على هذا المعنى الذى جرت به العادة فى وصف
الدمع « صاب المذهب المستقيم » ولكنه احب الاقرب فخرج الى ما لا يعرف فى كلام العرب
ولا مذاهب سائر الامم (١)

فالامدى يقدّر ان الدمع يخذ الشوق ، والشاعر يحصرانه فى هذا الموقف يزيد
ويلهيه ، والامدى مخطئ ، ولاننى فى تعميم رايه فى الدمع ، والشاعر هنا يوافق نظرية
الفيلسوف الاميرى : وليم جيمس *William James* من ان الظواهر الانفعالية تزيد فى
اضطراب الحالة النفسية فى بعض الاحيان :

وبى اكثر ابواب الشعر والنثر نجد طرنا تقليدية برسمها النقاد « لادباء »
فى الشعر الغرامى نجد الشعراء اكثر صدقا واقرب الى الطبيعة الانسانية من
النقاد . كان الشاعر يعبر عن عواطفه تعبيراً صادقا ، ويصور موقفه على نحو ما يرى له .
وان النقاد يلومون الشعراء على وصفهم هذا ويفترضون عليهم ان ينشدوا فى المرأة خيالا
ساميا ، وان يجردوا من انفسهم شخصية ضارعة هائلة متألمة . فنرى العسكرى يعيب قول
طرفه :

وانا تسلطني السنها اننى لست بموهون نقر

” لان العاشق بلاطف من يحبه ولا يحاجه ، ولا يئنه ولا يلاجه “ ويستشهد بقول الشاعر :

بنى الحب على الجور فلو انصف العاشق لبه لسمع

ليس يستحسن فى وصف الهوى عاشق يعرف تاليف الحجج (٢)

فعلى الشاعر ان يقبل الجور ، وليس له ان يسأل الانصاف ، وليست تعرف شريعة الهوى
شاعرا يحال ويدافع عن نفسه . بل ان النقد لا يتعرف على شاعر ينف من المرأة موقفا مخالفا
لهذا الموقف ١٤ وقد حير النقاد مذهب عمر بن ابي ربيعة - وكان عمر شاعرا وانحيا من

الحرار الاول - ورث ان ابن ابي عتيق كان من اول المعجبين بها ، فانه لم يتماثل عندما
انشده قوله :

بينما ينعتسني ابصر لثني دون ثيد الجول يحدوي الاغر

نالت الكبرى اتعرفن الفتى نالت الوسطى نعم هذا عمر

نالت الصغرى وقد تيمتها قد هرفناه وهل يخفى المر

ان قال له : انت لم تنسب بها واسما نسبت بنفسك . كان ينبغي ان تقول : نلت لها

فناالت لي ، وضعت خدي فوطئت عليه ^(١) . وقال العسكري : انه نسب بنفسه ووصفها

بذلك بالفحة ^(٢) :

على حين نرى ان اكابر الشعراء في عصر عمر كجرير والفرزدق والنصيب وجميل

كانوا من اشد المعجبين بعمر والمضين على طريقته . وجميل بن معمر العذري ينشد ابن

ابي ربيعة تعيدته :

لقد نني الواشون ان صرمت حيلي بثنية او ابدت لنا جانب البخل

فبنشد ، عمر تعيدته :

جري ناصح بالود بيني وبينها ففرتني يوم الحصاب الى ثلثي

فلما وصل الى قوله :

فلن وقد افهمنا ذا اللب انما اتين الذي ياتين من ذاك اجلي

فقال جميل : هيهات يا ابا الخطاب الا انور والله من هذا سجير الليالي ^(٣) ، والله ما

يخاطب النساء مخاطبتك احد ا

وسمعه الفرزدق ينشد هذه القصيدة ، فلما بلغ البيت المذكور ، قال : هذا

والله الذي ارادته الشعراء لاخطاته وبكت على الديار ^(٤) :

(١) الاغاني : ١ : ١١٩ (٢) الصناعتين ٨٧ (٣) اى : اهداه (٤) الاغاني ١ : ١١٣ - ١١٦

على ان صاحب نقد الشعر كان انتبه الى ان في الشعر الغزالي مذهباً اخر غير مذهب اللوعة والصبابة والتمهات ، وان لصاحب ذلك المذهب ان يعبر عن عواطفه الخاصة وان يصف مودته من المرأة اسوة بالشعراء العاشقين ، له ان يعبر عن عبته واستهتاره ونصايه ، كما يعبر المذنبون عن وجداء ونوط حزنه وتحصيامه . فاشار الى وجود هذين المذهبين في الشعر ، وفرق بينهما في التسمية سمي المذهب التقليدي منهما : بالنسيب وسمي المذهب الاخر : بالغزل . ولعله في هذا هو الوحيد الذي انتبه الى افتراق هذين النوعين من الشعر ، والى ان من الخيف ان نجري على احدكما قواعد الاخر . فان في بحث النسيب : انون ان كثيراً من الناس يستل الى ان يعلم اولاً ما النسيب ؟ ونحن بعده نعلم ان النسيب ذكر خلق النساء واختلافهن ونصرف احوال الهوى به معهن ، وقد يذهب على ثم ايضاً موضع الفرق بين النسيب والغزل ، والفرق بينهما ان الغزل هو المعنى الذي اذا اعتنقه الانسان في الصبوة الى النساء نسب بهن من اجله والغزل انما هو التقاضي ، والاستهتار بمودات النساء ، ويقال في الانسان انه غزل اذا كان متشكلاً بالصورة التي تليق بالنساء وتجاسر موافقاتهن لحاجته بالوجه الذي يجده بهن الى ان يملن اليه والذي يعبطن اليه هو الشمايم الحلو والمعاطف اللينة والحركات اللطيفة والكلام المستعذب والغزل المستعرب ، ويقال لمن يتعاطى هذا المذهب من الرجال والنساء : منشا . وانما هو متناع من الشجى ، اى متنبه بنى نجاه الحب . وان قد بان ان الذي نشاء على ما نشاء ، يجب ان يكون النسيب الذي يتم به الغرور هو ما كثر فيه الادلة على التمهات في الصبابة وتظاهرت فيه الشواهد على ابراء الوجد واللوعة ، ومما كان فيه من النصايي والرفة اكثر مما يكون من الخشن والجذدة ، ومن الخشن والذلة اكثر مما يكون فيه من الاباء والعز ، وان يكون جماع الامريه ما ضاد التعاطف والعزيمة ووافق الانحلال والرخاوة ، فاذا كان النسيب كذلك فهو المصاب ~~بوجه~~ الغرور وقد يدخل في النسيب

التشويق والتذكر لمعاهد الاحبة بالرياح الهابئة والبروق اللامعة والحمام الميائنة والخيالات
الغائقة وانار الديار العاتية واشخاص الاطلال الدائرة ، وجميع ذلك اذا ذكر احتج ان
تكون فيه ادلة على عظيم الحسرة (١)

اما الطريقة التقليدية في المديح فتعتمد على الشاعر ان يفتد الى الفضائل
الانسانية : من العفة والعفة والعدل والشجاعة ، وان يتجنب الاوصاف الجسدية من
الحسن والبهاء والزمه (٢) . ذكر العسكري ان ابن قيس الرقيات مدح عبد الملك بن
مروان بقولسه

باتلق الناع فوق مقره على جبين كانه الذهب

مضب عبد الملك ، ولم يبين هذه الصورة الشعرية الجميلة ، وقال : قد نلت في مضرب

انما مضرب شهاب من اللد به تجلت عن وجهه الظلماء

لعمريه المدح بكشف الغم وجزاء السلم ، واعطيتني من المدح ما لا يحريه (٣) . قال

العسكري وليس ايسار ما يمدح به مدحا حثيفا ، الا ترى كيف يفوق اشجع السلي :

يريد الملوك مدى جعلهم ويمنعون كما يمنع

وليس باوسعهم في الغنى ولكن معرويه اوسع (٤)

والهجا لا يتن مختاراً اذا لم يسلب الصفات المستحسنة التي تختصها النفس

ونبت الصفات المستهجنة . فعلى الشاعر ان ينسب المهج الى اللؤم والبخل والشره ،

وليس له ان ينسب الى نبح الوجه وصغر الجسم (٥) وضول الجسم . يستجيد العسكري

من الهجا : نول الشاعر :

ان يقدروا او يجهنوا او يخلوا لا يخلوا

(١) نقد الشعر ٧٢ - ٧٤ (نقد الشعر ١١٠ - ١١١) (٣) الصناعتين ٧٢ : (٤) الصناعتين

٧٤ (٥) الصناعتين : ٧٨

يغدوا عليك مرجله
ن كأنهم لم يفعلوا (١)

وقول البحترى :

وردت العتاب عليك حتى سئمت واخر الود العتاب

وهان عليك سخطي حين تغدوا بهرور ليس تاكله الكلاب (٢)

وللمجازاة الشعرية : طريقة مرسومة من اهم اوصائها : ان يسير الشاعر من غير المحسوس الى المحسوس وما لم تجربه العادة الى ما جرت به العادة ، وما لا يعرف بالبدئية الى ما يعرف بالبدئية . لغاية تأكيد المعنى وتوضيحه وتقريبه ، وقد مثل العسكري على ذلك بالاية : "والذين كثر افعالهم كسراب بقيقه يحسبه الضمان ماء" (٣) . واخذاد هذه الصفات معيبة . وقد عاب العسكري على الشاعر قوله :

ابنى لها التعداد من عنداتها (٤) ومتونها كخيوطه الكتان

واورده مثالا على تشبيه الظاهر بغير الظاهر والمكشوف بالمستور والكبير بالصغير (٥) . قال العسكري : " وقد جاء في اشعار المحدثين تشبيه ماير العيال بما ينال بالفكر وهو ردي " وان كان يعبر الناس يستحسنه لما فيه من اللطافة والدقة ، وهو مثل قول الشاعر :

وندمان سفت الراح صرنا وانق الليل مرتفع السجوف

صفت وصفت زجاجتها عليها كعنى دق فى ذهن لطيف

ناخن ما ينع عليه الحاسة الى ما لا ينع عليه ، وما يعرف بالعيان الى ما يعرف بالالفكر (٦) . ولا اذكر اهن مرت ينفذ هذا البيت الجميل من نظم بشار :

ودعجا الحاجر من معد كان حديثها ثمر الجنان

لتشبيه الحديث ، وهو ما يعرف بحاسة السمع ، بثمر الجنة ، وهو ما لا يعرف ولا يوصل اليه . وقد اعزم العسكري بتحديد المعاني التقليدية ، وبلغ فى حرصه على تحديد خطرات

(١) الصناعتين ٧٩ (٢) الصناعتين ٨٠ (٣) الصناعتين ١٨٠ - ١٨٣ (٤) اى : نوائها

(٥) الصناعتين : ١١٦ (٦) الصناعتين ١٨٢

الادباء ان اخذ يبحث في شتى المواضيع التي يمكن ان تعرف للكتاب ، ويعين المعاني التي
يجب ان يتناولوها ، والاسباب التي يجب ان يجروا عليها ، من انه ليعين يبين لهم مواضع
الاعمال والاطساب ومواضع الايجاز والانتصاب : «المعاني التي تشاء التنب بها من الامر
واللهي سبيلها ان تؤكد غاية التوكيد واما ما يكتبه العمال الى الامراء ومن فونهم فان
يبين ما كان رافعا منها في انها الاخبار وتقرير صورها يلونه من الاعمال وسرى على ايديهم
من صنوف الاموال ، ان يعد النون به حتى يبلغ غاية الشفاء والانتاج وربما تعرف الحاجة
في انها الخبر الى استعمال الكثايف والتورية عن الشيء دون الاعمال ، لما في التصريح من
نقص الشتر (١) وسبيل ما ينبغي في باب الشكر ان لا يقع فيه اسباب ، فان اسباب التاجع
في الشكر اذا رجع الى خصوصية : نوع من الابرام والتشبيح ، ولا يحسن منه ان يستعمل الاكثار
من الشاء والدعاء ايضا فان ذلك يعد الاباحه الذين لا م نخدم لهم وسائل من الخدمة
ومندما من الحرمة ، او تكن صاعتهم التكسب بتفريغ الطرق والاراء السلاطين
وسبيل ما ينبغي به التاجع الى المتبع في معنى الاستعطاف ان لا يكثر من شكاة الحال
وربما وهذا عند الرؤساء مكره جدا ، من يجب ان يجعل الشكاية مزودة بالشكر والاعترا
بشؤون النعمه وسبيل ما يكتب في الاعتذار من شيء ان يتجنب به الاسباب والاسباب
الى ايراد التلك التي يتوهم انها منعمة في ازالة الموجبة ، ولا يمتنع في تبرئة ساحته في
الاساءة والتقصير فان ذلك مما تكرهه الرؤساء (٢)

وسبيل الخصا به ان تفتي بالدعبد والتمجيد وتوش بالفران وبالساثر من الامثال
فان ذلك مما يزين الخطيب عند مستمعيها وتعتم به الفائدة فيها ، ولذا كانوا يسمون كل خطبة
لا يذكر الله في اولها : البترا ، وكل خطبة لا توش بالفران والامثال : الشوها (٣) .
على ان بعضهم لا يرون هذا الخور بل يهاكس والمبالغة .

عنى اما نجد شيئا من التصرُّع عند ابن عبد ربه . لا يرى هذا الاديب الا انه لم يحدد المعنى
معقولا ، ويسمى للشاعر ان يتناول المعنى من وجهة نظره هو لا من وجهة نظر القارئ او
الشعراء السابقين ، قال : (وقد تاملت الشعراء فى المعنى الواحد ، وكل واحد منهم
محسن فى مذهبه ، جارمى توجيهه ، وان كان بعضه احسن من بعض) وقد نالت
الشعراء لم تنل حسن الهيئة وغيب الرائحة واسبال الثوب : قال الحرزق :
بنو دادم نومي ترى حجزاتهم فتاقا حواشيها رقانا نعالها
يجرون اهداب اليماني كأنهم سيوف جلا الاطباع عنها صقالها
..... وخالفهم فيه صريح الغواني فقال :

لا يعبق الطيب خديه ومفرقه ولا يمس عينيه من الكحل

وقال لعبيد بن ربيعة يرثي اخاه ويصفه بتشجير الثوب :

كميرا الازارخان نصف سانه بعيد من السواك طلاع انجد

وقال اعشى بكر لعمر بن معد يكرب :

واذا تجى كتيبة مكروهة ملومة بخشى العدو وزالها

كنت المقدم ، غير لابس جبة بالسيف تخرب مقدا ابطالها

وقال مسلم بن الوليد فى يزيد بن مزيد خلاف هذا كله ، وهو :

تراء فى الامن لى درع مضاعفة لا يامن الدهران يدعى على عجل

ولما اسد ، يزيد بن مزيد ، قال له : الانك كما قال الاعشى ، وانشد البيتين ، فقال نولي

احسن من نوله انه وصفه بالخرق ووصفه بالحزم ^(١) قال ابن عبد ربه : وهذه المذاهب

كلها خارجة ^(٢) فى معناها ، جائزة فى لا مجراها ^(٣)

وكذلك يخالف الامدى صاحب نقد الشعر والعسرى فى رأييهما ان المديح لا يكون

الا يتميد الصفات النفسية وان الهجاء يجب ان يكون ينفي هذه الصفات وعدم التعرير
الى الصفات الجسدية ، قال : ان ندامة خالف في مذهبه هذا مذاهب الامم كلها عريتها
واعجميتها ، لان الوجه الجميل يزيد في الهيبة ويتمن به ، ويدرس على الحصان المحمود (١)
وند ذكر ابن جني بعد المعاني التقليدية ، كتشبيه الاوراق بكهار الرمل ، قال

الشاعر :

يلى نضيب تحته كتيب وفي الفلا كرشاً ريب

ونول الاخر :

تري خلدها نصنا ثناء نومة ونصنا نفا يرتج او يتمرم

ومثله ما جرد عليه الشعراء من تشبيه الوجوه الحسنة بطلعة البدر ، وتشبيه النار بالجن ...
ولكنه اباي للشاعر ، على سبيل المبالغة ، ان يتصرف في مثل هذه المعاني ، كقول ذي الرمة
يشبه الرمل باوراق العذارى :

ورمل كاوراق العذارى نطعته اذا البسته المظلمات الحنادس

قال ابن جني : " وهذا كانه يخسر مخي المبالغة ، اي قد ثبت هذا المعنى لاعجاز النص
نصار كانه الاصل فيه حتى نسبه به كيان الالقاء
ومثله قول الطائي الصغير :

في طلعة البدر شئ من ملاحظتها وللنضيب نصيب من تشبهها

وكقول المتنبي :

نحن ركب ملجن في زى ناس فوق طير لها شخوم الجمال

نجمع كونهم جنا اصلا ، وجعل كونهم ناسا فرما ، وجعل كون مطايا طيرا اصلا ، وكونها

(١) راجع كتاب : تاريخ النقد الادبي عند العرب ، للمرحوم احمد ابراهيم : ١٥٠-١٥١

فلا عن بعض الكتب التي تنقل بدورها عن كتاب " تبين غلط ندامة بن جعفر في كتابه " نقد
الشعر " ولم يذكر الاستاذ اسم الكتب التي اخذ عنها .

جمالاً برعاً ، شبه الحنيئة بالمجاز في المعنى الذي منه اناد المجازو من الحنيئة ما اناد (١) ؛

.....

اخذ المعاني : روى ابن منظور المصري في كتابه : اخبار ابي نواس (٢) ، ان هذا الشاعر كان يقول : ما قلت الشعر حتى رويت لستين امرأة من العرب ، منهن الخمسة ، وليلى ، فما ظنت بالرجال ، واني لا روى سبعة مائة ارجوزة ما تعرف . وفي وبيات الايمان ان ابا تمام كان شفوفاً بجمع الشعر واختياره ، نل كتاب : " الحماسة " التي دلت على غزارة فضله واثنان معرفته بحسن اختياره . وله مجموع اخر سماه : " نحل الشعراء " جمع فيه بين طائفة كبيرة من شعراء الجاهلية المخضرمين والاسلاميين ، وله كتاب ثالث سماه : " الاختيارات " من شعر الشعراء وكان له من المحفوظات ما لا يلحظه فيه غيره : قيل انه كان يحفظ اربعة عشر الف ارجوزة للعرب ، غير النصائد والمناطيع (٣) وبه : ان ابا الطيب المتنبى ان لا يسأل عن شيء الا واستشهد فيه بكلام العرب من النظم والنثر (٤) .

وذكر ابن خلكان في ترجمته لابي بكر الخوارزمي : انه تصد حضرة صاحب بن عباد وهو بارجان . فلما وصل الى بابه ، قال لاحد حبابه : قل للصاحب : على الباب احد الادباء ، وهو يستاذن في الدخول . فدخل الحاجب واعلمه . فقال صاحب : قل له : قد اذنت نفسي ان لا يدخل علي من الادباء الا من يحفظ عشوين الف بيت من شعر العرب . فخر اليه الحاجب واعلمه بذلك . فقال له ابو بكر : ارجع اليه وقل له : هذا الف درهم من شعر الرجال ام من شعر النساء ؟ فدخل الحاجب فاعاد عليه ما قال ، فقال صاحب : هذا

(١) الخصائص ١ : ٣٠٨ - ٣٠٩ مع بعض التلخيص (٢) اخبار ابي نواس : السرد الاول : مصر

١١٢٤ ص : ٥٤ (٣) وبيات الايمان ١ : ٨ ص ١٦٦ - ١٧٠ (٤) وبيات الايمان ١ : ص ٥٠

يكون لها بكر الخوارزمي (١) .

كان من نتائج هذا الانبعاث على الشعر بالمدرسة والاختيار والحفظ ان رشح في اذهان الشعراء كثير من معاني الاسلاف وصورهم وتعاييرهم ، وتسلسل فيما ينظمون ، ناصدين مرة وغافلين اخرى . وكان القدماء قد استنفذوا اكثر المعاني الوجدانية وسبقوا المحدثين اليها ومما يكن من تطور الحياة الادبية في العصر العباسي ، فان كثيرا من الخواطر والمشاعر لم تتبدل ولا يمكن ان تتبدل مادام الانسان هو هو يحب ويبغض ويتالم ويعتب ويفخر ويطمع ويخاف ويقدم . . . فكان لابد لهؤلاء الشعراء المحدثين من ان يكرروا بعض المعاني التي سبقوا اليها ، لانهم كانوا يحسون بما احسوا به من نبلهم وشعورهم بحاجة داخلية ملحة للتعبير عنه . ولا يؤخذ هنا برأى المعري من ان باب الاختراع لا يزال مفتوحا امام الشعراء (٢) فان المعري انما يشير الى طريفته في الخروج بالشعر الى مشاكل الحياة بما فيها من فلسفة وسياسة واجتماع ، وهذا لا يعني ان المواضيع الاخرى قد انقضت ، بل ان الابواب الشعرية القديمة : كالنسب والمديح والهجاء والفخر والرثاء كان لا يزال لها مكانها الانوي بين شعراء القرن الثالث كابي تمام والبحتري ودعبل الخزاعي وابن الرومي ، وعند كبير الشعراء في القرن الرابع ابي الطيب المتنبى . قال الجرجاني في الوساطة : " ومتى انقضت علمت ان اهل عصرنا ثم العصر الذي بعدنا انرب فيه الى المعذرة وابعد من الذمة ، لان من تقدمنا قد استغرق المعاني وسبق اليها واتى على معظمها . وانما يحصل على بقايا اما ان تكون تركت رغبة عنها واستهانة بها ، او لبعد مطلبها واعتباس مرامها وتعذر الوصول اليها ومتى اجهد احدنا نفسه . . . في تحصيل معنى يظنه عنه غريبا مبتدئا . . . ثم تصلح عنه - الدواوين لم يخط ان يجده بعينه ، او يجد له مثالا يفخر من حسنه (٣) "

(١) وفيات الاعيان جزء ١ ص : ٧٤٧ (٢) رسالة الغفران : ١١١ (١) الوساطة ١٦٧

ولم يكن النقاد اقل من هؤلاء الشعراء مداولة للشعر وحفظا له ، وكانت لهم براعة نادرة في رد معاني الشعر بعضها الى بعض ومعرفة دقائق الاختلاف في التعبير عنها . وقد شملت مسألة السرقات الشعرية اذهان النقاد ، وملأت مصنفاتهم ، وكانت من اهم مقاييسهم في تقدير شاعرية الشاعر وبراعته . حتى ان منهم من الف الكتب وخصها بالسرقات كابن المعتز^(١) والحاتي^(٢) والامدى^(٣) وشربين نعيم^(٤) . كان بعض هؤلاء النقاد ضيق الصدر مسرنا في اتهام الشعراء والتجني عليهم ، كابي عبيد الله محمد بن عمران العزباني صاحب الموشع وشربين نعيم . فقد ذهب الاول في سوء الظن بابي تمام الى ان زعم ان الشاعر قد غرر اكثر محاسن الشعراء في كتابه الحماسة ، وذلك لانه سرق بعضها فكتبه ، وجعل بعضها عدة يرجع اليها في وقت حاجة^(٥) . كأن الشعر لا يعرفه غير ابي تمام ، فاذا هو اخفاء خفي واذا هو نشره ذاع او ينصح الثاني للنقاد ان لا يحمنوا الظن بالشعراء ، وان يعملوا الفكر فيما خفي عليهم ، لان السرق في الشعر ما نقل معناه دون لفظه وابعداً آخذه في اخذه ، وليس ينبغي لهم ان ينصروا السرقة على مثل قول امرئ القيس ~~في~~ وطرفة حين لم يختلنا الا في القافية ، فقال احدهما :

ونونا بها صبحي علي مطيهم يقولون لا تهلك اسي وتحمل

ونال الاخر :

ونونا بها صبحي علي مطيهم يقولون لا تهلك اسي وتجلد^(٥)

على ان من النقاد من كان اعلم نظرا واغرب الى الانصاف من هذين الادبيين ، كالجرجاني والامدى وابن عبد ربه والعسكري^(٦) . هؤلاء هم الذين " فلسفوا " السرقة ، اى انهم بحثوا بها

(١) راجع الموازنة ص : ١٥٣ (٢) صاحب الرسالة الحاتمية فيما وافق المتنبي في شعره كلام ارسطو

في الحكمة (خ) له كتاب : الخاص والعشرك في السرقات : ذكره الاستاذ طه احمد ابراهيم ١٧٥ (٣) الموازنة ١٧٤ (٤) الموشع ٣١٢ (٥) الموازنة : ١٧٤ (٦) في كثير من صفحات الوساطة مثلا بين ١٤٣ - ١٥٨ والامدى في الموازنة ١٧٤ وابن عبد ربه ص ٣ من المندرجة ٤٢ من طبعة محمود شاكر المكتبي من الاستاذة سارة ص ١١ والعسكري في الصناعتين الباب السادس ١١٦ - ١٢١

بحثنا فلسفيا معنولا واعتجب واشبعوها درسا . واذا امعنا النظر في كلامهم رأينا على نسيين

١- اصحيح ونم الاخذ ؟

٢- اذا ونم الاخذ فهل يجوز ؟ او بتعبير آخر : هل غاية الاديب الكبرى

الاجادة ام الابتكار

.....

١- اصحيح ونم الاخذ ؟

نبل ان يحكم النائد هو نوع السرقة ، عليه ان يلاحظ الفرق بين " المعنى المشترك

الذى لا يجوز ادعاء السرقة فيه ، وبين المعنى المختص الذى حازه المبتدىء فملكه واحياه

السابق فانقطع " قال الجرجاني : " لمتى نظرت فرايت ان تشبيه الحسن بالشمس والبدر

والجواد بالغيث والبحر ، والبليد البطي ، بالحجر والحمار ، والشجاع الماضي بالسيف والنار

... امور متفرقة في النفوس ، متصورة للمعقول ، يشترك فيها الناطق والابكم ، والفصح والاهجم

والشاعر والفهم ، حكمت بان السرقة هيها منتفية ، والاخذ بالاتباع مستحيل ممتنع (١) .

وقال الامدى : " وجدت ابن ابي طاهر خي سرقات ابي تمام فاصابني

بعضها واحطاء في البعير ، لانه خلط الخاص من المعاني بالمشتركة بين الناصر مما لا يكون

مثله مسروقا (٢) ومنه ما نسب الى السرقة ~~والصحيح~~ والمعنيان مختلفان ، فمن ذلك

قول ابي تمام :

الم تمت شاكيتك يا شقيق الجود مذرمين فقال لي لم يمت من لم يمت كرمه

وقال اخذه من المعتابي :

فكانه من نشرها منشور

ردت صنائعها اليه حياته

(١) كلام الجرجاني في هذا البحث مأخوذ عن : الوساطة : ١٤٣ - ١٥٨ (٢) الموازنة ٦٠

ومثل هذا لا يقال له مسروق لانه قد جرى في عادات الناس اذا مات الرجل من اهل الخير والفضل واثنى عليه بالجميل ان يقولوا : ما مات من خلف مثل هذا الشئ ولا من ذكر بهذا الذكر ، وذلك شائع في كل امة وفي كل لسان (١) وثان في قوله :

همة تنطح النجوم وجد
آلف للمحفير فهو حفيظ

من قول امرأبي :

همته قد علت وقدرته
في اللحد بين الثرى مع الكفن

وهذا ايضا من المعاني المشتركة الجارية في العادة : ان يقولوا : همته في علاه وجدته في سنان ، وهمته ناطقة وجدته اخرى ، وهمته ذات حراك وجدته ساكن ، وهمته ترفعه وجدته يخفضه وما اشبه هذا (٢) ومن ذلك قول ابي تمام :

ببمرنهن اذا رمئن سوانرا
صوروهن اذا رمئن صوارا

وقول البحتري

اني لحظت نانت جوه ذر رمة
واذا صردت نانت ظبي كناس

وهذا تشبيه امين النساء باعين البئر وتمثيلهن بالصوار وبالظباء وجل كلام العرب عليه بجرى فلا يكون الشعراء فيه الا متثلين (٣)

وعليه ان يفرق بين المعنى المختص المستفيع ، وبين المعنى المختص غير المتداول فان الاول وان كان الاصل فيه لمن انفرد به ، واوله للذي سيق اليه ، فانه اصبح متفيرا في نفوس الآخرين ، واصبح هذا المعنى من جملة المعاني التي يحسن الشاعر بضرورتها واهاحة التصريح بها وذلك مثل تشبيه الظلل المحيل بالخط الدارس وبانبرد النهج والوشم في المعصم ، والنظمن المتحملة بالنخل ، وعلاقتها باعذاق البسر ، وسؤال المنزل عن اهله ، واستعطاف العتل واستبطاء الصبر (٤) .

(١) الموازنة ٦٥-٦٦ (٢) الموازنة ٦٧ (٣) الموازنة ١٧٨ (٤) الوساطة

وعلى فرض ان المعنى لم يكن مشتركاً ولا متداولاً ، البرهانك تارد في الخواطر ؟
بلى يفون العسكري : وهذا امر غرته من نفسي ، فليست امترى فيه ، وذلك اني علمت شيئاً
في صفة النساء .

" سفرن بدورا وانتفن اهلته "

وظننت اني سبقت الى بجة جمع هذين التشبيهين في نصف بيت ، الى ان وجدته
بعينه لبعير البغداديين ، فكثرت عجبتي وهزمت على ان لا احكم على المتأخر بالسرق من المتقدم
حكماً حتماً (١)

واما صاحب العند : واكثر ما يجتليه الشعراء او ينصرف فيه البلغاء انما يجري فيه
الامر على سنن الاول . وائل ما ياتي لهم المعنى الذي لم يسبق اليه احد اما في منظم والـ
واما في منشور ، لان الكلام بعضه من بحر . ولذلك قالوا في الامثال : ماترت الاول للاخر شيئاً (٢)
وقال الجرجاني : ومما نك اخذ عضوها ، وسبق المحدث (٣) الى جيد ط
فانكاره تنبث في كل وجه ، وخواطره تستفتح كل باب . فان وافق بحر ما قيل او اجتاز منه بابعد
طرف ، نيس : سرق بيت فلان ، واغار على قول فلان ، ولعل ذلك البيت لم يترع لط سمعه
ولا مر بخله ، كان التوارد عندهم مستع ، واتفاق الهواجر غير ممكن (٤)

ومن المستحسن في هذا المجال ان نبيّن بين المعاني النفسية التي يكثر التوارد
عليها والمشاركة فيها ، وبين الصور والخيالات الشعرية التي نلنا توارد عليها الشعراء . نك
ينظر الانسان الى ايامه الماضية يشبهها بالاحلام ، وينظر اخرا الى ماضي ايامه فلا يرى لها
شبيهاً في سرعة زوالها وانقطاع مسراتها الا بالاحلام . قال ابو تمام :
ثم انقضت تلك السنون واهلها نكانها وكانهم احلام

(١) الصانعين ١٤٦ (٢) العند ٣ : ٤٢٠ من الاستاذ عازار ١١٥ (٣) اضناها ليم المعنى

(٤) الوصافة ٤٨ - ٤٩

وقال البحتري :

وإيما نيت اللواتي تصرمت مع الوصل أضغاث وأحلام تائم^(١)

وأما أن يشترت الشاعران في تشبيه العلال بعلامه الظفر ، وقوله : «الفناء السوداء» بنينية الحبر ،

فهذا من اندر ما يكون . قال الامدي : «أنا السرق يكون في البديع الذي ليس للناس فيه

اشتران^(٢)» . وله في مناسبة أخرى : «أن السرق أنا هو في البديع المخترع الذي يختص به

الشاعر لأن المعاني المشتركة بين الناس هي جارية في عاداتهم ومستعملة في أمثالهم

ومحاوراتهم^(٣)» كذلك على الناقد أن ينتبه إلى الفروق الدقيقة بين المعاني ، ولا يحق له أن

ينسب السرقة إلى معنى إذا كان مقاربا لمعنى آخر غير موافق له . قال الامدي : «وَمَا نَسَبَهُ

إليه ابن طاهر إلى السرق — يتكلم من شعراي تمام — والمعنيان مختلفان^(٤)» : قول

أبي تمام :

لو يعلم العانون كم لك في الندى من لذة وفريجه لم تحمد

قال أنه أخذه من بشار :

ليس يعطيك للرجاء ولا الخوف ولكن يلد طعم العطاء

وما أخاله احتذى في هذا البيت على قول بشار لأن بشارا قال : ليس يعطيت رغبة في جزاء

يرجوه ولا خوفا من مكروه ، ولكن لا لتذاه العطيه . وأراد أبو تمام أن الطالبين لو علموا التذاه

التي لم يحمده ، والمعنيان أنا اتفقا في طريق التذاه الممدون بعطائه فقط ، وهذا ليس من

بديع المعاني التي يختص بها شاعر ، فيقال أن واحدا أخذه من الآخر^(٥) وقال في

نولسه :

تنبل الركن ركن البيت نائلة وظهر كركم معمول من الليل

(١) الموازنة ١٧٥ (٢) الموازنة : ٢٢ (٣) الموازنة ٢٤ (٤) الموازنة ٦٥ (٥) الموازنة ٦٦

من نول هبه الله بن طاهر

اعلنت له ذكره مكانة بان تواني في ظهورها القبل

وليس بين المعنيين اتفاق الا بذكر نيل الكف ، وهذا ليس من المعاني المبتدعة ، لان الناس

ابدا يقولون : ما خلق وجهه الا للتحية وكفه الا للقبل ، كما قال دعبيل :

نباطنها للندي وظاهرها للقبل (١)

..... وقال في نوله

ملو كانت الارزاق تجري على الحصى هلكن اذاً من جهلهم البهائم

من نول ابي العتاهية :

انما الناس كالبهائم فع في الرزق ، سواء جهولهم والحليم

وبين المعنيين خلاف ، لان ابا العتاهية اراد ان رزق كل نفس ياتيها جاهلة كانت او عالمة

كما ياتي البهائم . وهذا قائم في الفطرة والعقول فتتفق الخواطر في مثله . واهو نظام قال

ان الرزق لو جرى على ندر المفل لميلت البهائم ، وهذه زيادة في المعنى حسنة ، وان كان

الى مذهب ابي العتاهية هو (٢)

ربما يحسن على الثاني والتحفظ في الحكم ، حيث يعثر النافدين وتحاملهم ، ويخبرنا

المعري خبراً غريباً مآله ان الكيد والمناسة بين الاديباء في عصره كانا كثيراً ما يحملان احدهم

ان يدمي لمناسة ابياتاً ليست له ، وانما هي لشاعر نديم ، حتى يقال ان هذا الشاعر المحدث

قد سرقها من دواوين الندما . او انه كان ينسب بعض شعر صاحبه الى شاعر غابر ليكاد بذلك

ويتفرد به . قال المعري : وحكى بعض الكتاب انه راي كتاباً نديماً قد كتب على شجرة

انشدنا احمد بن يحيى ثعلب :

من الجأذري زى الاحارب

ودكر خمسة ابيات من اول هذه القصيدة - هي لابي الطيب المعتنبي - وهذا كذب تبجح وافتراء
بين ، وانما عمله مطرط الحسد قليل الخبرة بظن الصواب . غرضه ان يلبس على الجهال . . .
وند نسبوا الابيات التي لابي الطيب في صفة الذئب الى عبد الله بن انيس صاحب النبي صلى
الله عليه وسلم . . . ولا رب ان ذلك باطل (١)

وروى الصولي في اخبار ابي تمام من محمد بن موسى : " سمعت علي بن الجهم
ذكر دعبلا تكفره ولعنه وطعن على شيا " من شعره ، وقال : كان يكذب على ابي تمام وضع عليه
الاخبار . والله ما كان اليه ولا مقاربا له (٢) " وقال الصولي " وند رايت بعض هؤلاء الجهلة
يصحف ايضا على ابي تمام ، ثم يعيب ما لم يقله ابو تمام قط (٣) .

فلا عجب بعد هذا كله ان نرى الجرجاني يقول : ولهذا احظر على نفسي ولا ارى
لغيري بت الحكم على شاعر بالسرفه . . . الا اني اذا وجدت في شعره معاني كثيرة اجدها
لغيره حكمت بان فيها ما خودا لا اثبت بعينه وقد مسرونا لا يتميز لي من غيره . وانما اتول :
نال فلان كذا وند سبفه اليه فلان (٤)

٥) وقال العسكري : عزمت على ان لا احكم على المتأخر بالسرق من المتقدم حكماحتما

.....

١- هل يباح الاخذ اذا ونع ؟ هل غاية الشاعر الكبرى في الابتكارام في الاجادة ؟

نال العسكري : ليس لاحد من اصناف القائلين غني عن تناول المعاني من
تقدمهم والصب على نواب من سبهم ، ونس عليهم اذا اخذوها ان يكسوها الفاظا من عندهم
وهزوها في معارس من تالينهم ويوردوها في غير حليتها الاولى ويزيدوها في حسن تالينها

(١) كتاب : حيث الوليد ٦٣-٦٤ (٢) اختبار ابي تمام : ٦١ (٣) اخبار ابي تمام ٥٦

(٤) الوساطة ١٦٢ (٥) الصناعتين ١٤٦

وجودة تركيبها وكان حليتها ومعرضها ، فانذا فعلوا ذلك فهم احق بها من سبق اليها : ولولا ان القائل يهودى ما سمع لما كان لى طائفة ان يقول

وقال : وسمعت ما قيل : ان من اخذ معنى بلفظه كان له سارنا ، ومن اخذه بغير لفظه كان له سالخا ، ومن اخذه فكساء لفظا من عنده اجود من لفظه كان هو اولى به من تقدمه

وقال : على ان ابتكار المعنى والسبق اليه ليس هو فضيلة يرجع الى المعنى وانما هو فضيلة ترجع الى الذى ابتكره وسبق اليه . فالمعنى الجيد جيد وان كان مسبوقا اليه . والوسط وسط . والردى ردى وان لم يكونا مسبوقا اليهما وقد اطلق المتقدمون والمتأخرون على تداول المعاني بينهم ، فليس على احد به عيب الا اذا اخذه بلفظه كله . او اخذه ناقصه ، ونصر فيه عن تقدمه (١)

وقال الشعالي : * واخذ المتنبي نول ابن المعتز ، وهو من فلائده : - فلائد ابي الطيب - ولعله امير شعره :

ازورهم وسواد الليل يشفع لي وانثنى وبيادر الصبح يخفى بي
قال ابي جني : ثم اني عثرت بالموضع الذى اخذه منه ، اذ وجدت لابن المعتز مصراها بلفظ
لين صغير جدا به معنى بيت المتنبي كله ، على جلالة لفظه وحسن تنسيقه ، وهو قوله :
فالشمس نطامة والليل نواد

ولن يخلو المتنبي من احدى ثلاث :

اما ان يكون الم بهذا المصراع لحسنه وزينه وصار اولى به
واما ان يكون قد عثر بالموضع الذى عثر به ابن المعتز ناري عليه لى جودنا لاخذ

وأما ان يكون قد اخترع المعنى وابتدعه وتفرّد به ، فله دره ، وناهيت بشرف
لغته ، وبراعة نسجه ، وما احسن ما جمع فيه اربع مطابقات في بيت واحد ، وما اراء سبق
الى مثلها (X) . بتيمة الدهر ١ : ٩٩

وند اطرى الصولي ابا تمام بانه كان متى اخذ معنى زاد عليه ووشعه ببديعه وتم
معناه ، فكان احق به ، و اضاف الى ذلك قوله : وكذلك الحكم في الاخذ عند العلماء بالشعر^(١)
ومن جميل الكلام عن المعنى ياخذ الشاعر فيزيد فيه ويصير ما لك ما ناله الثعالي
عن المتنبي : " ولما انخرط في سلك سيف الدولة ، ودرت له اخلاف الدنيا على يده ، كان
من قوله فيه لا :

تركت السرى خلفي لمن نل ماله وانعلت افراسي بنعماء مسجدا
وليدت نفسي في هواك محبة ومن وجد الاحسان ليذا تفيدا
وهذا البيت من ثلاثه ، وانما الم فيه بقول ابي تمام :

همني معلنة عليك رثاها مغلولة ، ان الونا اسار

ولكنه اخذ عبارة وردها ديباجا وارسلها مثلا سائرا (٢) .

اما الحاتمي فانه ان يثار بين حكم المتنبي وانوال ارسطو لا ينظر الى المتنبي كسارق
ويشهد له بالفصل والتقدمة ، قال : ووجدنا ابا الطيب المتنبي قد اتى في شعره باغراض
فلسفية ومعان منطقية فان كان ذلك منه عن فحص ونظر وبحث ، فقد اغرق في دروس العلم
وان يك ذلك منه على سبيل الاتفاق فقد زاد على الفلاسفة بالاجاز والبلاغة والالفاظ الغريبة .
وهو في الحالتين على غاية من الفضل وسبيل نهاية من النبيل (٣)

وكذلك الشعراء . كانوا يرون المعاني ملك الجميع ، ولا يتخرجون في افتخار انتباسها
ولا يهرون في ذلك فضاذه على انهم . جاء في زهر الاداب ان ابا تمام مر بهجارية تغني

(١) اخبار ابي تمام ٣٥ (٢) بتيمة الدهر ١ : ٨٢-٨٣ (٣) الرسالة الحاتمية : ٢٣

بالفارسية ، فشانه شجي الصوت فقال :

وسمعة تروق السمع حسنا ولم تصمه لا يصم صداها
لوت اوتارها فشجت وشافت فلو يستطيع حاسدها نداها
ولم انهم معانيها ولكن ورك كبدى فلم اجهل نداها
نكتت لاني اعنى معنى يحب الغانيات ولا يراها

فقال له رجل : اخذت هذا المعنى من احد ؟ قال نعم : اخذته من نون بشار بن برد :

يا قوم اذني لبحر الحي عاشقة والاذن تعشق نيل العين احبانا
قالوا بمن لا ترى تهذى فقلت لهم الاذن كالعين توفى القلب ما كانا (١)

وفى الموشح ان الفرزدق كان كثيرا ما يغير على معاني الشعراء وضمنها شعره ، وله في ذلك نوادر تستضحك : مر يوما بالشمر دل اليربوعي ، وهو ينشد نصيدة حتى بلغ الى قوله :

وما بين من لم يحط سمعا وطاعة وبين تيم غير حز الحلام

فقال : والله لتترك هذا البيت اولتترك عرضك ، فقال : خذه على كره مني . لا بارك
الله لك فيه : فجعله الفرزدق في نصيدته التي اولها :

نحن بزوراء المدينة نالتي حين عجل تبتغي البوراء (٢)

.....

والخلاصة : ان اكابر النقاد في ذلك العصر كانوا يردون ثم الانار الادبية الى الاجادة في الابتكار ، ويرون في انتباس المعاني وتجميلها والزيادة عليها سبيل براعة وابتداع ، لا سبيل سرقة واتباع . قال العسكري : فالحاذق يخفي ديبه الى المعنى وباخذه في ستره فيحكم له بالسبق اليه اكثر من يعربه الا انه لا يكفل لهذا الا " البرز والكامل المقدم " (٣)

xxxxxx

xxx

هـ *

الباب السادس

موقف النقاد من حركة التجديد

انصار النديم وانصار الجديد : نستطيع ان نقول ان الخصومة التي كانت تشغل بال النقاد

في القدماء والمحدثين في العصر الثالث الهجري لم يعد لها

كبير شأن في هذا العصر ، وانتهى الحال كما كان يريد ابن نتيبة : فلم يعد في كبار النقاد من

يرفع الشاعر لتقدمه او يسدده لتأخره ، وتلاشى مذهب المتعصبين للقدماء بانقراض ابن الاعرابي

والاصمعي والرياسي واسحاق الموصلي .^(١) واصبح النقاد يؤمنون بكفاءة الادباء في عصرهم *

ونظلمهم ، ايمانهم بشاعرية القدماء وبراعتهم . قال ابن عبد ربه " اعلم بانك متى ما نظرت بعين

الانصار وطمعت بحجة العقل ، علمت ان لكل ذي فضل فضله ، ولا يمنع المتقدم تقدمه ولا يضر

التأخر تأخره^(٢) " وللتنوخي في نشوار الحاضرة : " فند خرج في اعمارنا وما ناربها من السنين

من مكنون اسرار العلم وظهر من دنيق الخواطر والنهم ، ما لعله كان معتصما على الماضي

وممتنعا على كثير من المتقدمين^(٣) .

وكان الشعالي من اكثر الادباء اهتماما بآثار رجال عصره ، وقد ضمن كتبه اشعارهم

ورسائلهم وطرائفهم ونواديرهم وهو يرى ان اشعار الاسلاميين ارق من اشعار الجاهليين ، وان

اشعار المعصرين اجمع لنوادير الحاسن ولطائف البدائع من اشعار جميع المتقدمين وانها تكاد

تخرج من باب الاعجاب الى الاعجاز ، فالناظم ابداع ومعانيهم اروع وصناعتهم اجمل من كل جهة

سبيلهم من الشعراء^(٤) . ويرى الصولي ان الجاهليين والاسلاميين قد اکتروا في ذكر الشيب

(١) راجع طرفا من انتقاداتهم في : الاغانى ١ : ٢٥٢ - ٥ : ٣١٧ - ٣١٨ - ثم الوساطة : ٤٧

(٢) العند ٣ : ١٧١ (٣) نشوار الحاضرة ٨ (٤) بنية الدهر ١ : ٢ - ٣

ولكن الحذاق بعلم الشعر قد اجمعوا على انه لم يقل فيه احسن من قول منصور النمرى ، وماضره
 تاخره وقد وقع له الاجود (١) واذا كان للاوائل شهرة الابتداء والاختراع للمحدثين شهرة
 التجويد والابداع (٢) . ولم يتاخر الباقى ، مع كل ما قيل فى تفوق الندما ان يتناول معلقة
 زعيمهم امرى ، ليس بالنقد اللاذع جزءا جزءا من يدائهما ^(٣) الى الخاتمة . ويحمل ابن فارس على النظرية
 الفائلة : ما ترك الاول للاخر شيئا ، لان الدنيا ازمان ولكل زمان منها رجال ومن
 نصر الاداب على زمان معلوم ؟ ولم لا ينظر الاخر مثل ما نظر الاول حتى يؤلف مثل تاليفه ، ويجمع
 مثل جمعه ؟ والفنهاء فى زمانه اذا احدث لهم حادث لم يبت فيه من قبلهم لا يرون غريبا ان
 يتلعوا فيه حكمهم ، واهل النحوى مصناتهم ، والنظار فى ~~موضوعاتهم~~ موضوعاتهم ، وارباب -
 الصناعات فى جميع صناعاتهم ، كل اولئك لا يتفقدون بتدريج ولا حديث ، ولم تفقد خطرات الادباء
 وقد جعل الله لكل منهم فكرا مستقلا ونتاجا خاصا (٤)

للمحدثين اخطاء كثيرة يعترف بها النقاد ، فهم يخطئون فى نظمهم ولغتهم
 وترتيبهم وتقسيمهم ومعانيهم واعرابهم . ولكن اليس للجاهليين كذلك اخطاءهم التى اقامت
 السحوبين ورجال اللغة وانعدت لهم ؟ بلى . وهذه الاحطاء تشمل لفظ الجاهلي ونظمه ومعناه
 واعرابه ، سواء بسواء (٥) " ولولا ان اهل الجاهلية قد جدوا بالتقدم ، واعتقد الناصر انهم الندوة
 والاعلام والحجة ، لوجدت كثيرا من اشعارهم معيبة مستزلة ، ومردودة منفية . لكن هذا الظن
 الجميل والاعتقاد الحسن ستر عليهم ، ونفى الظن عنهم ، فذهبت الخواطر فى الذب عنهم كل
 مذهب ونامت فى الاحتجاج لهم كز مقام (٦) .

لقد كان زمان تؤخذ فيه اللغة من اشعار هؤلاء الاول ، وكانت نعاقد الندما
 تدرس على انها مستودع اللغة الصافية فكان من الطبيعي ، كما يقول تكلسون ، ان يحدو ذلك

(١) اخبار ابي تمام ٢٧ (٢) اخبار ابي تمام ١٦ (٣) راجع كتاب امجاز القرآن ٢٥-٨٥

(٤) يتيمة الدهر ٣ : ٢١٤-٢١٥ (٥) الوساطة ١٦ (٦) الوساطة ١٢

بعض المتطرفين الى اجلال الندما* والحكم لهم بالسبق (١) . ولكن هذه الدهشة الاولى قد
انحسرت ، ووجد النقاد * ان المتقدم يضرب في الخطا* بسهم المتأخر ، والجاهلي ياخذ منه
ما ياخذ الاسلامي (٢) *الم يخطئ* امرؤ الفير حين قال :

يا راكبا بلغ اخواننا من كان من كدة اوائل

فنصب : بلغ ، ونولسه

نا ليم أشرب غير مستحب اثما من الله ولا واغسل

نسكن اشرب ، ونولسه :

لها متنتان خطاتا كما اكب على ساعديه النمر

نا سبط النون من خطاتان (٣) ، ونولسه :

كان نبيرا في عرائن يله كبير اناس في بجاد مزمل

نخضر مزملا ، وهو وصف كبير ، وليد في نولسه

تراك امكسة اذا لم ارضها او يرتبط بعض النفوس حمامها

نسكن يرتبط ، ولا عمل فيها للم ، وطرفة في نولسه

قد رنع الفخ نماذا تحذرى

نحذف النون ، والفردق في نوله :

وعرض زمان يا ابن مروان لم يدع من المال الا مسحنا او مجلف

نضم مجلفا (٤) وعلى الجملة فليس في شعراء الجاهلية شاعر مسلم من الغلط والعيب ،

لا يستثنى من ذلك فحول الشعراء (٥) .

ولكن متقدمي النحويين واهل اللغة كانوا يبرؤون الندما* من الخطا* بما تكلفوه

(١) *Lit. Hist. of the Arab.* ٢٨٥ (٢) الوساطة ١٩ (٣) الوساطة ١٢ (٤) الوساطة ١٣

(٥) الموازنة ١٨

لهم من الاحتجاج اذا امكن ، تارة بطلب التخفيف عند توالي الحركات ومرة بالاتباع والمجاورة
وما شاكل ذلك من المعاذير المتحيلة ، وتغيير الرواية اذا ضانت الحجة ، وتثبيت ما راموه في
ذلك من المرامي البعيدة ، وارتكبوا لاجله من المراكب الصعبة التي يشهد القلب ان المحرك
لها والباعث عليها شدة اعظام المتقدم والكلف بنصرة ما سبق اليه الاعتقاد والنته النفس (١) ..
وليس في الالفاظ والحركات فحسب ، بل ان اغاليظ الندما في المعاني كثيرة
فهذا امرؤ القيس يقول :

واركب في الروح خيفانة كسى وجهها شعر منتشر

وهذا عيب في الخيل ، وهذا زهير يقول :

يخرجن من شربات ماؤها طحل على الجدوع يخفن الغم والفرقا

والضنادع لاتخاف شيئا من ذلك ، وقال ابو ذؤيب يصف الفرس :

نصر الصبح فلنصر لحميل بالني نهى تنوخ ليها الاصبع

نار الاصمعي : حمار الفصا خير من هذا . وانما يوصف الفرس بمصلاية اللحم . ولا يذؤيب
في الدرة :

نجا بها ما نشئت من لطيفة يدور الفرات حولها ويموج

نالفرات هو العذب والدرا يسوجد الا في الملح ، وقال غيره :

برية لم تاكل العرفقا ولم تذوق من البقول الفستقا

نجعل الفستق بفلا (٢)

بل ان الخطاء من الندما اقرب واكثر لانه لم يكن عندهم من صنوف العلم

ما يدعون به ، وان هي الا الفطرة والعريضة . واذا كان نعمة عذر للندما في جهلهم هذا ،

فليس للمحدثين من عذر ، وليس لهم ان يقولوا لند لا سبق القدماء الى مثل ما نحن فيه
 " فاسمهم لا يقدر ان يفسد منها لاجتماع الناس اليوم على مجانية امثالها واستجادة ما يصح من
 الكلام الكلام ويستبين واسترزال ما يشكل ويستبهم (١) .

وهي البيئة : - وعلى المحدثين ان يتنكبوا ذكر البوادي والرياح والانواء ، لان ذلك
 ليس في بياتهم ولا يتصل باساليب معيشتهم " وليس من الحق لاحدهم (٢) ان يعدل عن
 وصف الصبي والندامي والفيان والبنفسج والفرجس وناحراً لفرش وممتاز الآلات ورقة الخدم
 الى ذكر البيد والمهائم والضبي والسليم والناقة والجمل والديار والفنار والمنازل الخالية
 المسجورة ولا عليه ان يعدل عن الكلام السبط الرقيق الذي يدهمه كل من غر الى الكلام
 الجعد الوحشي (٣) .

فالنقاد لم يقلوا الجديد بحسب بل ندهوا اليه وراوا في مخالفته خروجاً عن النهج
 الطبيعي . لقد تعبرت احياء عما كانت عليه في الماضي ، والادب تصوير للحياة وشعور
 بالوانع ، والمحدث اذا تجاوز في شعره ما رآته عينه الى ما لم تره من ذكر الصحارى والسهل
 والبحس والابن والاخبية ، لابد ان تنزع به القدم ويجي " دون القدماء " كما ان القدماء فيما لم
 يروه اهدا دون المحدثين وما هو الحافظ لغيره بالشعر من طريق الابتداع الى طريق
 الاتباع ؟ اليس شعر المحدثين اشبه بالزمان وانرب الى الانهزام واحب الى الانواق ؟ هذا
 ما يقوله الصولي حين يدافع عن ابي تمام ، وهو كما ترى متأثر بهدريات ابي نواس ، وقد
 استشهد بابيات لهذا الشاعر ، كقوله

صفة الطلول بلافة القدم ناجعل صفاتك لاهنته الكرم

ويقوله :

(١) الصناعتين ٧٢ (٢) هذه الكلمة مضافة من عندنا (٣) الاغانى ١٩ ١٤٠

تصف الطلوع على السماع بها اندوا العيان كانت في النهم

واذا وصلت الشئ مجعسا لم تخل من زلل ومن وهم (١)

ويريد على ذلك بقوله : " وقد وجدنا في شعره هولا معاني لم يتكلم القدماء بها ، ومعاني
اوأوا اليها ، فاني بها هولا واحسنوا ليها . وشعرهم مع ذلك اشبه بالزمان والناس له اكثر
استعمالا في مجالسهم وكتبهم وتعلمهم ومطالبهم (٢) .

بل ان الجرجاني ليرد نسبا كبيرا من عيوب المجددين الى خروجهم طبيعة بيئتهم
في بعض الاحيان ، واحتذائهم حذو القدماء من لاتصلهم بطباعهم وطرق معيشتهم صلة (٣) .
وهو يحتم على الشاعر الذي يريد الابداع في شعره الا يخرج عن طبيعته وبيئته ، فان
" فان رام احد من اهل الحضرة الاغراب والانتداء مضي من القدماء لم يتمكن من .

بعض ما يروم الا باشد تكلف واتم تصنع ، ومع التكلف المقت ، وللنفس عن التصنع نفرة ، وهي
منازلة الطبع لثة الحلاوة وذهاب الرونق واخلاق الديباجة ، وربما كان ذلك سببا لطمس المحاسن
كالذي مجده في شعراي تمام ، فانه حاول من بين المحدثين الانتداء بالاولئ في كثير من
الفاظه ، بحصل منه على توير اللفظ ، وتبجح في غير موضع من شعره فقال :

نكانا هي في السماع جنادل وكانا هي في القلوب كواكب

بتعسف ما امكن وتغلغل في التعصب كيف ندر (٤) " وهو يرى ان هذا التعسف والتكلف ند
يخرج بالشاعر الى التقليد من حيث هو يطلب التجديد ، لان الافراب في اللفظ من شان
الهداوة ، والنبي يقول : " من بدا جفا " (٥) .

.....

نستطيع ان نقول اذا ان الميزان الصحيح للتند في القرن الرابع لم يعد يعمل

(١) اخبار ابي تمام ١٦-١٧ (٢) اخبار ابي تمام ١٧ (٣) الوساطة ٣١٦ (٤) الوساطة ٢٢

(٥) الوساطة ٢١ + (X) هكذا وردت ، ولعلها : نصيب

على الحدائق والقدم ، وتحول الى ميزان انهم واجدران يضع الامور في محلها اللائق ، ذلك هو ميزان الاجادة ، من اى الشعراء جاءت ، وفي اى الازمان ظهرت ، وسنرى ان النقاد ، على وجه عام ، لم يفتوا في طريق التجديد ، بل كانت ابحاثهم في علمها واصابتها خير مرشد للمجددين ، يقوم عوهم ويرسم لهم السبيل السوى الذى يجب ان يمشوا فيه .

تناول النقد اهم ما جاءت به المدرستان المثالية والوانعية ، فنبل الجيد منه ونبه على الرئوى ، ووفق الى الحكم الفصل بخاصته في ظواهر التجديد التالية :

- ١- في تحديد الحلة بين الادب وبين العلم والفلسفة "المدرسة المثالية"
- ٢- في قيمة الصناعة البديعية .
- ٣- في اباحية الادباء وقاية الادب "المدرسة الوانعية"

(١) صلة الادب بالعلم والفلسفة :

قال ابن عبد ربه : " فان كان لابد من طلب ادوات الكتابة فتصنع من رسائل المتقدمين ما يعتمد عليه . ومن رسائل المتأخرين ما يرجع اليه ، ومن نوادر الكلام ما تستعين به ومن الاشعار والاسبار واسير والاسماء ما يتسبح به منطقت ويطول به فلك . وانظر في كتب المقامات والخطب ومجاوبة العرب في حروبهم ومعالي العجم وحدود المنطق وامثال الفرر ورسائلهم وعهودهم وسيرهم وروائعهم ومكايدهم في حروبهم ، بعد ان تكون متوسطا علم النحو والغريب والنوائى والسور وكتب السجلات وادامات ، لتكون ماهرا ، تنتزع اى القرآن في مواضعها واختلاف الامثال في اماكنها ، وتفرغ الشعر وعلم العروض . . . (١) .

والكتابة الجيدة في نظر العسكري : " تحتل الى ادوات جمة وآلات كثيرة من معرفة العربية لتصحيح الالفاظ واصابة المعاني والى الحساب وعلم المساحة والمعرفة بالازمنة والشهور والاهلة . . . والشاهد ما روى عن المبرد انه قال : لا احتل الى وصف

نسي لعلم الناس بي انه ليس احد في الخافئين يختلج في نفسه مسألة مشكلة الا ليني بها
واعدني لها ، نانا عالم ومتعلم ، وحافظ ودارس لا يخفى علي مشتبه من الشعر والنحو والكلام
الفتور والخطب والرسائل ... (١)

ونال فدامة ، ويحتاج الشاعر الى تعلم العروس ليكون معيارا على قوله وميزانا على
ضنه ، والنحو ليصلح به من لسانه ونعيم به اعرابه ، والنسب وايام العرب والناس ليستعين بذلك
على معرفة المنائب والمثالب ... وان يروى الشعر ليعرف مسالك الشعراء ومذاهبهم و
وتعرفهم فيحتذى مناهجهم ويسلك سبيلهم . فاذا لم يجتمع له هذا فليس ينبغي ان يتعرض
لقول الشعر (٢)

وفي الاجمال ، فقد كان هؤلاء الثقات الثلاثة يطالبون الشاعر والكاتب ان يجمع
في صدره جميع معارف عصره ، ولا يرون في ذلك خطرا على شاعريته وقوته ، بل يرونه عنصرا نوبا
ومادة غزيرة لهما . وكذلك كان رأى الذين يفضلون ابا تمام على البحتري ، لان ابا تمام
كان عالما راوية ، والشاعر العالم انفس في ميزاتهم من الشاعر غير العالم (٣) ، وذكر الصولي
بسنده عن البردقولي : ما سمعت الحسن بن رجا ذكر قط ابا تمام الا قال : ذاك ابو
التمام ، وما رابت اعلم بكن شي منه ، وشهد البحتري لابي تمام بانه كان اكمل الناس مقلا
وادبا ، وكان ال شى ليه شعره (٤) .

وعلى النقيض من ذلك رأى اصحاب البحتري ، فهم يرون ان شعر العلماء هودون
شعر الشعراء ، كان الخليل بن احمد عالما شاعرا وكان الاصمعي والكسائي وخلف الاحمر
شعراء ، وما بلغ بهم العلم طبقة من كان في زمانهم من الشعراء . فالتجويد في الشعر ليست
هلهة العلم ، ولو كانت علته العلم لكان من يتعاطاه من العلماء اشهر من ليس به عالم ... (٥)

(١) السباعين : ١١٥ (٢) نند النشر ٧٢ (٣) الموازنة ١٣ (٤) اخبار ابي تمام : ١٧١ -

وند انكراهن نارس ان يكون للفلسفة شعر مستقيم الوزن ، كثير العا ، والحلاوة ، اما
نائدة الفلسفة وعلومها فلا تزيد عن ان ترق الدين ، وتنشج كل ما يعاذ بالله منه (١) ،
وعاب الشعالي على ابي الطيب خروجه في معانيه عن طريق الشعر الى طريق
الفلسفة ، كنوله

ولجدت حتى كدت تبخل حائلا للمنتهى ومن السرور بك

ونوله :

والاسى قبل ليرة الروح هجر والاسى لا يكون قبل الفراق

ونوله :

الف هذا الهوا اوقع في الالف فسر ان لا الحمام مر الطاق

ونوله :

تخالف الناصر حتى لا اتفاق لهم الا على شجب والخلف في الشجب
نفيل تخلص نفس المرء سالمة ونيل تشرك جسم المرء في العطب (٢)
والحق ان الشعالي يغالي احيانا في استنكار المعاني الفلسفية ، ولا عجب فهو
" وانعي المذهب " واتجاهه يخالف الاتجاه " المثالي " الذي كان عليه ابو الطيب . وقد ذكرنا
في بدايت هذه الرسالة ان المدرسة الواقعية قليلة العناية بالمواضيع الوجدانية والتأملات
الفلسفية ، وان اهتمامها موجه في الغالب الى الموضوعات الوسيطة والاشياء الاعتيادية .
على انه من الحق ان نعتزف مع الشعالي ان الفلسفة الخالصة تخالف الشعر
الخالص ، وان المعارف والادراك التي يحصلها الشاعر لا تزيد في شاعريته الا بقدر ما تنقل
بنفسه وتجارية ، وتؤثر فيها تأثيرا بشعرها بالحاجة الى التعبير عنه . اما ان يلقن الفكر
معلومات ومشاكل واسماء والغازا ، ثم ينظم الانسان ذلك ، فليس من الشعر في شيء . بل يجب

يُنِيدُ الشعر من العلم والفلسفة كل ما يتصل منهما بقلب الشاعر وإحساسه ، وكل ما يوسع خياله ويشير حب استطلاع ، فالشعر من هذه الناحية له صبغة عقلية ، بمعنى أنه يتحرى غذاءه من القلب الناظر بالحياة . ومن الطبيعة الفنية بالمشاكل ، ومعنى أنه ينزل إلى الناس ويعبر عن رغباتهم ومخاوفهم ومطالبهم ، بلسان يفهمونه ويفيدون منه ، والبلاغة ، كما ذكر العسكري : هي التقرب من المعنى البعيد . . . وتقريب ما بعد من الحكمة باليسر خطاب^(١) ، ولا نخال الشعالي ينكر الجمال على هذا النوع من الفلسفة ، وقد ذكرني حسنة أبي الطيب : أنه كان يرسل المثل في انصاف أبياته ، كنولته :

مصاب ، ثم عند ثم فوائد / ومن نصد البحر استقل السوايا
وربما صحت الاجسام بالعلل / وفي الماضي لمن يني اعتبار
ويأبى الطباع على الناقل / وما خير الحياة بلا سرور^(٢)

وأنه كان يرسل المثليين في مصراعي البيت الواحد ، كنولته :

وكل امرئ يولي الجميل محبب / وكل مكان ينبت العز طيب
ونولته :

في سعة الخافئين مضطرب / وفي بلاد من اختها بدل
ونولته :

ذل من يغبط الذليل بغيث / رب عيش اخف منه الحمام
من يهن بسهل الهوان عليه / ما لجرح يبيت اسلام^(٣)

وأنه كان يرسل المثل والموعظة وشكوى الدهر والدنيا والناس وما يجرى مجراها ، كنولته :

وما الجمع بين الماء والنار في يدي / يا صعب من أن اجمع الجد والفهما
والامر لله ، رب مجتهد / ما خاب الا لانه جاعد
وليس يصح في الافهام شي / اذا احتاج المهار الى دليل

(١) الصنائين ٣٤ (٢) يتيمة الدهر ١ : ١٤٥ (٣) يتيمة الدهر ١ : ١٤٦

قال ابن جني : هذا كما يقول اهل الجدل : من شئت في المشاهدات فليبرعائل (١)

وفد عدد ذلك الشعالي في صفحات كثيرة :

ويعد ، بما الامثال ، وما المواعظ ، وما شئو الدهر والناس ؟ اليس ذلك فلسفة يفهمها الفكر

ويحسرها القلب ويشارت فيها الناس ؟ بالشعالي اذا لم يستكركن ما جاء به ابو الطيب من

فلسفة ، ولكنه فرق بين الفلسفة الخالصة وبين الفلسفة الشعرية .

والامدى نفسه لانخال انه كان ينكر على ابي تمام عمق معانيه ويديع حكمه ، بل انه

على الفيلسوف من ذلك كان يحتند ان المعاني ضالة الشعراء وطلبتهم (٢) ولكن الذي نعاء على

ابي تمام : هو حالته واغاليطه في المعاني والالفاظ واسرائه في طلب الطباق والتجنيس -

والاستعارات اسرانا يودي الى غموض شعره وخروجه الى المحال . وهو يرى «^{بها} ان ابا تمام

لو كان اخذ ^{عفو} مفوه هذه الاشياء ولم يوض فيها ولم يجاذب الالفاظ والمعاني مجاذبة وينتسرها

مكافهة وتناوب ما يسمح به خاطره وهو بجهامه غير متعب ولا مكدود ، واورد من الاستعارات ما

نرب في حسن ولم يفكش ليسلم من هذه الاشياء التي تهجن الشعر وتذهب ما هو

ورونته لكان يتقدم اكثر الشعراء ولثان قليله حينئذ ينوم مقام خير غيره ، لما فيه من لطيف

المعاني (٣)»

ومن الحق ان نعترف كذلك با نهم كانوا ثيرا ما يريدون بقولهم : مخالف للحرف ،

هذا غير ما كانت عليه العرب ، وامثال ذلك ، ان هذا المعنى مخالف للوانع ، مستحيل الحدوث

قال المسكوى : «ومن هبوب المعنى مخالفة العرب وذكر ما ليس في العادة كنول الرار :

وخال على خديك يبدو وكأنه سنا البدر في دعجا باد دجونها

والمعروف ان الخيلان سود اوسمر ، والحدود الحسان انما هي بيصر ، فاني هذا الشاعر يقلب

(١) يتيمة الدهر ١ : ١٤٧ (٢) الموازنة ٢١٠ (٣) الموازنة ٧٢

المعنى . . . وانشد الكميث نصيبا :

كان الغطاسط في قلبها اراجيز اسلم تهجوا غنا را
نقال نصيب . . . لم تهج اسلم غنارا قط . فقال الكميث :
اذا ما العجاور غنيتها تجاوين بالغلوات السوارا
نقال نصيب : لا يكون بالغلوات وبار (١)

اما الاعراب في المعاني واستنباطها استنباطا فما لم يكن ينسله نذوق النقاد ، لان المعاني الشعرية لا تستنبط بال فكر او تستخرج بالقياس ، ولكنها تحضر بالقلب نبل العقل . وتتهلج في الدماغ ولا يتكلمها الدماغ ، تلك هي المعاني التي تعبر عن شئ * صحيح تحضر به نفس الشاعر او تستوحيه من محيطها . اما غزاة المعاني وشرافتها فتتوقف جودتها على صدقتهما وصحتها ، والا * فالعرب والشريف ، كما يقول صاحب نقد الشعر ، هما شئ * اخر غير حسن او جيد ، لان ذلك يجوز ان يكون حسن جيد غير غريب ولا شريف ، مثل تشبيههم الدروع بحجاب الماء الذي تسوقه الرياح ، فانه ليس جوده هذا التشبيه / تعاور الشعراء اياه قديما او حديثا . واما طريق وغريب لم يسبق اليه ، وهو نبيح بارد ، مثل الدنيا ، مثل اشعار نغم محدثين سينفوا الى البرد فيها (٢) . وظاهر انه يحرر هنا باهي تمام واصحابه .

(٢) موند النقاد من الصاعسة البديعية

صبيان موجة البديع : روى الصولي انه سمع ابا محمد عبد الله بن الحسين بن سعد يقول للبحترى ، وعنده محمد بن يزيد النخعي ، وقد ذكروا معنى تعاروه الببحترى وابو تمام : انت في هذا اشعر من ابي تمام ، فقال الببحترى : كلا والله ، ذاك الرئيس والاستاذ ، والله ما اكلت الخبز الا به ، فقال له النخعي : يا ابا الحسن ، تايى الاثرنا مسن

جميع جوانب (١) . وفي الموضح ان الحسين بن اسحاق قال : قلت للبحترى : انما يزعمون انك اشعر من ابي تمام . فقال : والله ما ينفني هذا القول ولا يضرا با تمام ، والله ما اكلت الخبز الا به (٢) .

نتبين من هذين الخبرين المتشابهين ما كان لطريقة ابي تمام في اثار الصنعة - البديعية من رواج في عصره عند الامراء والروساء . وكان البحترى يخالف طبعه احيانا ، ويعدل عن طريقته في السلاسة والسهولة التي طريقة استاذها ابي تمام ، لينال المنة عند وجوه البلاد ، " واكل الخبز " باموالهم ، ولا يبالى من اجل ذلك ما يسوق اليه التكلف من ضعف واسلاف ، قال المرزباني : " والامر في هذا اوضح من ان يحرق الى كلام عليه او تبين له . فسبحان الذي حول تكلف ابي تمام الى البحترى (٣) . " والمتنبى نفسه لم يستطع ان ينسج طريقته الى الظهور في اور الامر الا باتباع طريقة ابي تمام في البديع ، وهذا ما يفسره الجرجاني كثرة الاستعارات والمطابقات في القصائد التي نظمها المتنبى في شبابه (٤) .

والى جانب ذلك نجد طريقة البحترى في اختيار الالفاظ السهلة والمعاني القريبة تصيب حفا وانرا من القول عند طبقة اخرى من الناس ، وقد اختاره الجاني ليقارن شعره بالذرا " لان الكتاب يفضلون على اهل دهره وقد مونه على من في عصره ، ومنهم من يدهى له الاعجاز غلوا ، ويقيم انه يناغي النجم في نوله هلوا . " والملاحظة تستظهر بشعره ، وتكثر بقوله (٥) . فالطهران كانا على جانب عظيم من القوة ونفاذ الكلمة ، طرف يؤيد الصنعة ويخلو في تأييدها . واخر يفضل عليها الانقاد للطبع وسلوك المذهب الاقرب . وكما يظهر التقلب في طريقة البحترى والمتنبى في مجازاة تيار الصنعة تارة وفي مخالفتها والمير بوحى الفطرة والطبع تارة اخرى ، نجد التقلب والتردد ينتقلان الى النقاد انفسهم ، ويجعلان الحكم في موقف هو " لا النقاد من الصناعة البديعية على غاية الصعوبة . فالعسكري مثلا يفضل الاعتدال في استعمال

(١) احبار ابي تمام ٦٧ (٢) الموضح ٢٢١ (٣) الموضح ٢٢١ مع بعض التصرف (٤) الوساطة

البديع ، ويرى انه يحسن اذا اتفق في موضع من النصبة او موضعين ، اما اذا كثر وتوالي فانه
يدير على التكلف . قال : " وقد ارتكب فم من القدماء المبالغة بين ابيات كثيرة من هذا الجنس
وظهر فيها اثر التكلف وبان عليها سعة التعسف ، وسلم بعضها ولم يسلم بعض (١) " ولكن شيوخ
البديع بين الناس جعله بوجه اهتمام اليه ويخصر له اكثر من نصف كتابه ، وجعل النقاد
يتساهلون في استخراجه ابوابه والزيادة فيها والتكلف في هذه الزيادة بحق وبغير حق . وقد
بلغ ما جمعه العسكري من فنون البديع خمسة وثلاثين فضلا ، كثير منها معاد في اسما مختلفة
وكثير منها لاائدة فيها وما من سبب معقول لاعتبارها من البديع ، الا اذا اعتبرنا التنافر
والمكانة من الاسباب المعقولة . وكذلك الباقلان والامدى والجرحاني ، بهم يستدلون
الانفراد في الصنعة كما ستر ، ولكنهم لا يرون بدا من تارة هذه السون بالبحث وتحري
بعض فنونها والزيادة فيها اذا امكن .

نما الفرق بين التجنيس والتعطف في نظراهم هلال ؟

التجنيس " ان يورد المتكلم كلمتين تجانسر كل واحدة فيما صاحبتهما في تاليف

هرونها . . . كنول الشاعر :

يوما خلجت على الخليج نفوسهم عصبا وانت لعلها مستام

خلجت : اي جذبت . والخليج بحر صغير يجذب الماء من بحر كبير (٢) .

والتعطف : " ان تذكر اللفظ ثم تكرر والمعنى مختلف . . . كنول الافر :

وانطع الهوجل مستانسا بهوجل هيرانة عنترير

فالهوجل الاول : الارز البعيدة الاطراف ، والهوجل الثاني : الثاني العظيمة الخلق (٣)

وما الفرق في نظره بين التذييل ورد المعجز على المصدر ؟

قال ابو هلال : " فاما التذييل فهو اعادة الالفاظ المترادفة على المعنى بعينه ، حتى يظهر

لن لم يفهمه ، ويتوكد عند من فهمه . . . ومثاله من القرآن قول الله عز وجل : " ذلك جزيناها
بما كفروا " وهل نجازى الا الكفور " وقوله تعالى : " وما جعلناك لبشر من قبلك الخلد ، الا ان مات
نهم الخالدون ؟ " (١)

واما رد المعجز على الصدر فهو " انت اذا قدمت الناظا تفتفي جوابا ، فالعرضي ان
تاتي بتلك الالفاظ في الجواب ولا تنتقل عنها الى غيرها ما هو في معناها ، كقول الله تعالى
" جزاء سيئة سيئة مثلها " . . . وكقوله تعالى : " انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض . والآخره اكبر
درجات واكبر تفضيلا " . . . وكقول الشاعر :

سريع الى ابن العم بلطم وجهه وليس الى داعي الغنى سريع (٢)
وما الفرق بين المائلة (٣) والكناية (٤) ، ان مثلنا على السائلة بقولهم : فلان نفي الثوب
يريدون انه لا عيب فيه ، وقولهم : فلان طاهر الجيب : يريدون انه ليس بخائن ولا غادر ، وعلى الثانية
بقولهم : طوبى النجاد ، كثير الرماد : كناية عن الطول والغنى ؟ ومثل ذلك يقال في باهي الغلو
والمبالغة وكثير من الابهاب .

يرى القارى ان ليس في الامراختلاف ، ولكنه التردد والمكاثرة :
وانخر الان الى هذه الابهاب من البديع واحكم اذا كانت تستحق ان تسمى بديعا
ام لا تستحق :

الايقال : " كنول امرى النيس :

كان عيون الوحش حول خبائنا وارجلنا الجزع الذي لم يثقب
ناورفل بالثانية في الوصف " واكد " التشبيه لها والمعنى قد يستغل دونها " يريد البالائي ان
يقول : كان يستطيع الشاعر ان لا يؤكد الكلام بقوله : " لم يثقب " قال العسكري : " الايقال
هو ان يستوفى معنى الكلام قبل البلوغ الى مقطعه . ثم ياتي بالمقطع ليزيد معنى آخر يزيد به

(١) الصناعتين : ٢٩٤ (٢) الصناعتين ٣٠٥ (٣) الصناعتين ٢٧٧ (٤) الصناعتين ٢٩٠ -

وضوحا وشرحا وتوكيدا وحسنا . . . كقول ذي الرمة :

نف العيسرى اطلال مية فاسان رسوما كاخلاق الرداء السلسل

فتم كلامه بالرداء فعب السلسل ، ثم قال السلسل فزاد شيئا بالسلسل ، ثم قال :

اظن الذى يجدى عليك سوالها دموها كتبذير الجمان المفصل

فتم كلامه بالجمان ، ثم قال : الفصل ، فزاد شيئا (١)

وانت ترى ان كلمتي : السلسل والمفصل صلتان ، وانه من التحمل الغريب ان يسمى ذلك
بها من ابواب البديع .

ولا يمكنني الباقلائي والعسكى بذلك ، بل انما يعتبران " الايغال " شيئا اخر
غير " التتميم والتكميل " . مع ان التتميم فى تعريف العسكى : " هو ان توفى المعنى حظه
من الجودة ، وتعطيه نصيبه من الصلوة ، ثم لا تغادر معنى يكون فيه تمامه الا تورده ، اولفظا
يكون فيه توكيده الا تذكره كقوله تعالى " من عمل صالحا من ذكرك او انسى وهو مؤمن ولننجيئه
حياة طيبة " فبقوله تعالى : " وهو مؤمن " تم المعنى (٢) " ومثل الباقلائي على التتميم والتكميل
بقول الشاعر :

رجال اذا لم يفتلوا الحق منهم ويمطوه هادوا بالسيوف الفواطع

قال الباقلائي " وانما تم جودة المعنى بقوله : ويمطوه (٣)

وباب اخر " يخترعه " العسكى وهو باب التوشيع ، وهو مضحك حقا ا قال العسكى فى
تعريفه : وهو ان يكون مبتدأ الكلام " يبنى " من مقطعه ، ومثل على ذلك بالايه : " ثم
جعلناكم خلايف فى الارض من بعدهم لننظر كيف تعملون (٤) " . وهذا الباب ولا شك يتوقف على
" حذر " القارى ، فان لم يحرف المقطع من نفسه ، فليس فى الامر توشيع ، وان وقع الى كلمة

(١) الصناعتين ٣٠١ (٢) الصناعتين ٣٠٨ (٣) اعجاز القرآن ٤٧ (٤) الصناعتين ٣٠٢-٣٠٣

اخرى غير " تعملون " فقال : تصنعون ، فليس في الامر توشيح كذلك !
واخيرا لنذكر باب : المؤلف والمختلف : قال العسكري : " وهوان يجمع في
كنم نصير اشياء كثيرة مختلفة او منفصلة ، كنوله تعالى : " فارسلنا عليهم الطوفان والجراد والنمل
والضاد والدم آيات مفصلات " ونوله عز اسمه : " ان الله يامر بالعدل والاحسان وايتاه ذي
الكررى وينهي عن الفحشاء والمنكر والبغى " (١)
ويديهي ان مثل هذا لا يسمى بابا الا على سبيل التمثل الثليل !

.....

كانت موجة البديع اذا موجة جارفة ، ولم يكن بمقدور النقاد ان يتجنبوا البحث
فيها ، راضين او كارهين . على اننا اذا تخطينا هذه المساهرة ، لا يصعب علينا ان نيز في النقد
مذهبين اثنين : الاول بحيد الصناعة البديعية ويستحسن الاكثار منها ، ويرى ان الشعروا النشر
لا يعدوان ان يكونا ميدان براعة ووسيلة بظهر بها الاديب ما عنده من الشطارة في نظم الكلمات
والعبث بالالفاظ . والثاني يفت من الصناعة البديعية موقف الحذر ، يقبلها ولكن باعتدال ،
ويرى انها اذا كثرت في الكلام خرجت به عن الطبع والحلاوة الى البرد والغبثانة . اولئك هم
انصار الشعر المصنوع ، وهو لا هم انصار الشعر المطبوع :

نأما انصار الشعر المصنوع : فهم ادباء المدرسة الوافعية ، كالصاحب بن عباد وبديع الزمان
الهمزاني والشمالي والحامي . مدح الشمالي ابا الطيب المتنبى بانه " يستعمل الفاظ
الغزل والنسيب في اوصاف الحرب او هو ما لم يسبق اليه ، وتفرد به واظهر فيه الحدق بحسن
النقل " كما عد ذلك برهانا " على جودة التصرف والتلعب بالكلام " (٢) وجاء في ترجمة صاحب
في ياقوت : انه كان لكلفه بالسجع لا يكاد ينزع عنه في الكلام واللم ، لاني جد ولا في هزل .
قال التوحيدي : قلت لابن المسيبي : اين يبلغ ابن عباد في عشقه للسجع ، قال : يبلغ به ذلك

(١) الصناعتين ٣١٩ (٢) خيمة الدهر ١ : ١٤١

لواءه رأى سبعة ينحل بموقعها مروة الملك ويضطرب بها حبل الدولة ويحتاج الى علم ثليل -
وكلفة صعبة وتجسّم امور وركوب احوال ، لما كان يخف عليه ان يفتح عنها ويخليها ، بل ياتي بها
ويستعملها ولا يعبا بجميع ما وصفت من عايتها .

ونال ابن العميد : خي ابن عباد من عندنا من الرى متوجها الى اصفهان ،
نجاوزنى طريقة لرية كالمدينه الى قرية فامرة وما ملح ، لالشي الا ليكتب البنا : كتابي هذا
من التوبهاريم السبت نصف النهار (١) .

وهجا احد الشعراء صاحب بقوليه

السجع سجع مهوس والحظ حظ متفوس والعقل عقل حمار (٢)

وكذلك كان الحاتمي ، وقد ذكر في مناظرته مع احد اشباع البحري ، ان ابا تمام هو المقدم ،
لتفوقه " في صنعه البديع واختراع المعاني ، على جميع المحدثين " (٣)

ومن غلاة انصار الصنعة : بديع الزمان الهمزاني ، وقد عاب على الجاحظ انه : قريب
العبارات قليل الاستعارات ، منقاد " لعمريان " الكلام يستعمله ، نفور من " معناه " يهمله ،
ما سمع له بكلمة " غير مسموعة " او لفظه " غير مصنوعة " (٤) . وهذا عيب كبير !

وقد تبجح الهمزاني على الخوارزمي في مناظرة مشهورة بينهما ، بأنه يفدر على ما لا
يفدر عليه الخوارزمي من فنون الصناعة : كأن يكتب كتابا ينرا منه جوابه ، او كتابا ينرا من اخره
الى اوله ، او كتابا اذا قرئ من اوله الى اخره كان كتابا ، فان عكست سطره مخالفة كان
جوابا ، او كتابا لا يوجد فيه حرف منفصل من را يتقدم الكلمة او دال ينلصل عنها ، او خاليا
من الالف واللام ، او خاليا من الحروف العواطل ، او كتابا اوائل سطره كلها ميم واخرا
جيم ، او كتابا اذا قرئ معرجا وسرد معوجا كان شعرا ، او كتابا اذا تسرع على وجهه كان مدحا
واذا تسرع على وجهه كان تدحا (٥) .

(١) ٨٧ معجم الادباء ج ٢ ص ٢١٨ (٢) معجم الادباء ج ٢ ص ٢١٢ (٣) زهر الاداب ١٣ ٢٧

(٤) زهر الاداب ٢ ص ١٨٨ (٥) كتاب كشف المعاني والبيان عن رسائل بديع الزمان ٢٤-٢٦

وقد رد الخوارزمي عليه وسمى عمله "شعبذة" ، ولكن الحمذاني كان يرى الاجادة
والشاعرية كلها في هذه "الشعبذة" . ويرى ان الكاتب الذي "لا يحسن من الكتابة الا هذه
الطريقة " الساذجة " وهذا النوع الواحد المتداول بكل قلم ، المتداول بكل يد وفي " لا يعد كاتباً
مبدعاً (١) !

.....

واما انصار الشعر المطبوع : فمنهم الامدى والجرجاني والباقلاني والعسكري ومؤلف " نقد الشعر "
الادب في نظر هؤلاء النقاد : فن "الصنعة" ، وليس من ناضل حقيقي بين هذين النوعين غير قضية
الاجادة ، فالفن صنعة موهبة ، والصنعة من لم يسعد التوفيق . قال العسكري : " فالصنعة :
التفان من غاية الجودة ، والقصور عن حد الاحسان ، وهو مثل قول العايبي في هذا الامر ، بعد
عمل معناه ، « انه لم يحكم » . ولما دخل النابغة يثرب ، وغني بفولسه :
امن آل مية رائح او ملقد

ومن هذه النصبدة :

عنم يكاد من اللطافة يعند

وعرف انه عيب ، خرج وهو يقول : دخلت يثرب فوجدت في شعري "صنعة" فخرجت وانا اشعر
العرب . اى وجدت تفاناً من غاية التمام (٢)

كان هؤلاء النقاد اذا لا ينكرون على الاديب كل انواع الصنعة ، ولكنهم كانوا
يفهمون منها غير ما يفهمه صاحب بن عباد وديع الزمان . كان يفهمون من الصنعة : انتظار
الفكرة واختيار كرائم الالفاظ لها ، وترتيب الساعات الواتيه لابرازها ، ومعاودة النظر اليها
بالتشذيب والترتيب ، وليس هذا بتكلف في نظر العسكري ، بل هو يندب اليه مادام حميد

(١) كشف المعاني والبيان : ٧٦ (٢) الصناعتين ٣٢-٣٣ . الرواية مبهمه ، راجع لهنهبا

اخرا للبحث الذي دعنوانه : نماذج من النقد في الجاهلية .

العائبة موقن النتيجة (١)

ويخفي العسكري على الشعراء الذين هربوا بتفتيح النصيدة ، ولا يرى رأى الفئة التي تسبهم عبيد الشعراء . قال : " نأذا عملت النصيدة فهدبها ونفحها بالناء ماغت من ابياتها ورث وذل ، والانتصار على ما حسن ونخم ، بايدال حرف منها باخرا جود منه حتى تستوى اجزاؤها وتتضارع هوانها واعجازها . وقد كان هذا دأب جماعة من حذاق الشعراء من المحدثين والقدماء منهم زهير ، كان يعمل النصيدة في ستة اشهر ويهدبها في ستة اشهر ثم يظهرها فتسمى لعائد ، الحوليات . لذلك قال بعضهم : خير الشعراء الحولي المنفع (٢) . وكان الحطيئة يعمل النصيدة في شهر وينظر فيها ثلاثة اشهر ثم يبرزها . وكان ابو نواس يعمل النصيدة ويتركها ليلة ، ثم ينظر فيها ، فيلتي اكثرها ويقتصر على العيون منها وكان البيهقي يلقي من كل نصيدة جميع ما يرتاب منه ، فحس شعره مدبها . وكان ابو تمام لا يفعل هذا الفعل وكان يرضى باول خاطره فنعي عليه حيب كثير (٣) .

والحقيقة ان التهذيب الذي يدعوا اليه العسكري واصحابه هو امر من صميم الفن الادبي وهو شيء اخر غير العمل والتكلف ، بل انه الوسيلة الكبرى لدفع التكلف والتصنع . ذلك بان الفكرة تكون اول ما تجول في الذهن عارية عن الغالب اللغوي ، تنشده ولا تراء ، او انها لا ترى الغالب الاصلح لها . وبالتهذيب يلتصق الشاعر اصلح النوايل وينفي عن الفكرة شوائب المعاني ، فيحذف من طرفها الجمل السخلة ، والكلمات الفاصلة عن اداء المعنى المطلوب ، وبمعاودة الكاتب والشاعر لانتاجه ، تكون الفكرة قد نضجت ، وانثرت من ثوبها الطبيعي وابتمدت من ثوبها الاول المستعار .

فرق عظيم بين التكلف والتهذيب . وانما يكون التكلف في تحمل الانكار الكاذبة

والتشبث بالصورة الفارفة ، او التسرع الى الفكرة قبل نضجها . والتهذيب هو ان ينظر الاديب الى

(١) الصناعتين ١٠٠ (٢) هذه الكلمة هي من المعالي للحطيئة : من كتاب : التمثيل والمحاضرة

للمعالي : مخطوطة غير مرممة - وهي عندنا في الدفتر من ١٢٣ (٤) الصناعتين

كل هذه الانات نيعذبها وبني على المعنى الصحيح واللفظ الشريف والعبارة الواضحة .
 التكلف هو اظهار الفكرة في غير قالبها ، والوصول اليها من غير طريقها الاقرب السليم ، والزيادة
 عليها ما ليس له اتصال بها . وما خلا ذلك فهو الطبع السليم . فالتكلف مرادف للتكلف ، والا
 والطبع مرادف للاجادة ، وقد انحنى الجرجاني باللم على الشاعر الذي " لا يعبأ باختلاف الترتيب
 ، واضطراب النظم ، وسوء التاليف ، وهلهلة النسيج ، ولا يبايل بين الالفاظ ومعانيها ، ولا يستبرأ
 بينهما من نسب ، ولا يمتحن ما يجتمعان فيه من سبب ، ولا يرى اللفظ الا ما ادى اليه المعنى
 ولا الكلام الا ما صور له القدر ولا الحسن الا ما افاده البديع ، ولا المروء الا ما كساه
 التصنيع (١) " وقال في مكان آخر : " وملأ الامر ثروت التكلف ورفد العمل والاسترسال
 للطبع وتجنب الحمل عليه والعنف به . ولست اعني بهذا كل طبع ، بل الموهب الذي قد
 صفه الادب وشهدته الرواية وجلته النقطة ، وألهم الفصل بين الردي والجيد . وتصور امثلة
 الحسن والنجح " الوساطة ٢٨ ووضح ان الجرجاني لا يرى التهذيب في تزويق الالفاظ وحشيها
 بالجناس والترصيع وشحنها بلفنون البديع .

ووضح كذلك ان الطبيعة التي يدعوا اليها الجرجاني ليست بالطبعة المرسلة التي
 تنهار الى الذهن لاول وهلة بل هي الطبيعة الكاملة كما يتضمنها حيان الاديب الفنان -
 ومفوا اليها ، الطبيعة التي تحتل الى " اخراج بني " يضعها في هيئتها المثلى : قال
 الجرجاني : " كانت العرب ومن تبعها من السلف تجري على عادة في تلخير اللفظ وجمال
 المنطق ، ومن حذو ان يختصر بلفظ تهذيب ، وفرد بزيادة عناية فاذا اجتمعت تلك العادة
 والطبيعة ، وانضاف اليها العمل والصنعة ، خي كما تراه نخما جزلا نوبا متينا (٢) .
 ذلك التهذيب هو كل الصناعة الفنية التي يرضاهم هو " لا ، القاد ، وهي التي اهلها
 المتقني في بعض شعوره فكانت حلة مانيه من الغموض والاحالة والاغراب . وقد نسب ابو الطيب

ضعف شعره في اخراياه الى انه "افنى طبعه وافنم الراحة منذ تارق ال حمدان (١) .
ومثل ذلك يقال في ابي تمام . فانه وضع نصب عينيه الصناعة البديعية واهمل تهذيب
شعره وتصنيفه من متوعر الالفاد بعيد الاستعارات . ولم يختر عدوما يسبح به الخاطر ولم يلق بها
يهجن الكلام وبذهب برونه ومائه ، ولعل ذلك ، كما يقول الامدى ، ثلث شعره او اكثر " ولكنه
شبه الى ايراد كى ما جاش به خاطره بولججه فكره ، فخلط الجيد بالردى ، والعين النادر بالردل
السافك والدواب بالخطا (٢) . قال مثقال الشاعر : " دخلت على ابي تمام وقد عمل شعرا
لم اسمع احسن منه ، وفي الابيات بيت واحد ليس كسائرهما ، وعلم اني قد وفقت على البيت ،
فقلت له : لو اسذات هذا البيت الفضح وقال لي : اترك اعلم بهذا متى ؟ انما مثل هذا
مثل رجل له عشرة بنون ، كلهم اديب جميل متقدم ، فيهم واحد نبيح متخلف ، فهو يعرف امره
ويرى مكانه ولا يشتمى ان يعود . ولهذا العلة وقع مثل هذا في اشعار الناس (٣) .

.....

اما الصناعة التي يقصد بها بنون البديع منذ كان للحرجاني واصحابه مؤلف اخر
منها ، لانها غير التهذيب الذي الذي كانوا يستحبونه ويندبون اليه ، وهم لا ينكرون على هذه
الفنون جمالها وفائدتها في تجسيم المعاني وتزجيها . وقد خاضوا في ابوابها ، كما راينا ،
وشاركوا في تمييز بعضها من بعض ، وتسابفوا الى وضع اسمائها . وقد استعذب " التصريح (٤) .
مؤلف نقد الشعر ، وعده دليلا على اقتدار الشاعر وسعة بصره (٥) . وقال ان الشعراء المطبوخين
كثيرا ما يذهبون اليه (٦) . كما استعذب " التصريح " وهوان يتوخى فيه تصوير مناطق الاجزاء في
البيت على سجع او تشبيه به او من جسر واحد في التصريف كنول زهير :
كبداء مقبلة ، وركاء مدبرة
كبداء مقبلة ، وركاء مدبرة

(١) هتمة الدهر ١ : ٦٢ (٢) الموازنة ٧٢ (٣) الموشح ٢٢١ واخبار ابي تمام للصولي ١١٤
١١٥ - وقد اخذنا نعر الرواية من الكتاب الثاني ولكن كلمة عشرة من الموشح واصلها في كتاب الصولي
بنون جماعة (٤) يريد المؤلف هنا ان تكون نهاية كل شطر على نافية القصيدة (٥) نقد الشعر ٣٠
(٦) نقد الشعر ٢٤

وكما يوجد في اشعار كثير من الندماء المجيدين من الفحول ، وغيرهم ، وفي اشعار
المحدثين المحسنين (١) " وقد استجاد كذلك التمثيل وارجع اليه " كثيرا من الحظ الشعري
في الكلام (٢) " ولكنه لا يرى للشاعر ان يتكلف هذه المحسنات البديعية تكلفا ، ولا ان يكثر منها
قال : " واكثر الشعراء المصيبين . . . قد غزوا هذا المعزى ورموا هذا المرمى ، وانما يحسن
اذا انفق في البيت موضع يليق به ، فانه ليس في كل موضع يحسن ولا على كل حال يصلح ولا
هو اذا تواتر واتصل في الابيات كلها بمحمود ، فان ذلك اذا كان دل على تعدد وابان عن
تكلف (٣) .

واسبب العسكري في تبين نوائد الاستعارة ، ولكنه وقف جمالها على هذه النوائد
وهي : ان يكون غرضها : شرح المعنى وفضل الابهانة منه ، او تأكيد ، او الاشارة اليه بالقليل
من اللفظ ، او حسن المعروض الذي يبرز فيه . والا فالحقيقة ارلى من الاستعارة بالاستعمال (٤)
وقد استشهد على الاستعارة بالاية الكرسة " ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك " فقال : " .
حقيقته : لا تكون مسكا . والاستعارة ابلغ : لان الغل مشاهد والامساك غير مشاهد . . . (٥)
ونائدة التذليل " اى رد العجز على الصدر " ان المعنى يزداد به انشراحا والمقصد انقضاء (٦)
ولكن العسكري لا يبيح الاكثار من هذه الاجناس ، كما رأينا ، وينتقد على الخنساء مولاتها ذلك
في تميدة لها حين تقول :

حامي الحفيلة ، محمود الخليفة مهـ	سدى الطريقة نفاع وضار
نقال سامية ، وزاد طامسية	للمجد نامية ، تعنيه اسرار
جواب قاصبة جزار ناصية	عقاد الوبة ، للغيل جوار
حلولا حلوته ، يصل مقالته	ناتر حمالته للعظم جبار

(١) الكبداء : المرأة اللخمة الوسط لا كذا البطيئة السير . والنوداء : الشنية العالية : راجع ٢٤ - ٢٥

من نند الشعر ينصرف (٢) نند الشعر ١٤ - ١٥ (٣) نند الشعر ٢٨ (٤) الصناعتين ٢٠٥

(٥) الصناعتين ٢١١ (٦) ٢١٤ من الصناعتين

فاكثر استعمال التصريح (١)

وكذلك الباطلاني ، لم يغيب عليه حلاوة البديع ، ولكنه قرر انها حلاوة سطحية ، ليس لها اتصال وثيق بالموهبة الفنية ، ولا تشق من غير صناعة تكتسب بالعادة والمراس ، وحذر من ممانعة الطبيعة وقصرها على الاسترسال في فنون البديع . جاء في كلامه عن ابي تمام : " وربما اسرف في المطابق والمجانس ووجوه البديع من الاستمارة وغيرها حتى استثقل نظمه واستوفهم رصفه ، وكان التكلف باردا ، والتعريف جامدا . وربما اتفق مع ذلك في كلامه النادر المليح كما يتفق البادر النبيج . فاما البحرى ، فانه لا يرى في التجنيس ما يراه ابو تمام ، ويقل التصنع له فاذا وقع في كلامه كان في الاكثر حسنا رشيقا ، وظريفا جميلا . وتصنعه للمطابق كثير حسن ، وتعمله في وجوه الصنعة على وجه طلب السلامة والرفعة في السلاسة ، ولذلك يخفى سلبان من العيب في الاكثر (٢) .

وند اورد الجرجاني بيت امرى النيس :

تصد وتبدى عن اصيل وتثني يناظرة من وحش وجرة مطلق

وبيت عدى بن الرثاع :

وكأنها بين النساء اعارها عينيه احور من جاذر جاسم

مذكر " اسراع الذئب اليهما " وكلاهما خال من الصنعة ، بعيد عن البديع " ثم فان بينهما

وبين غزل ابي تمام انه يقول :

دعني وشرب الهوى باشارب الكاس	فانني للذي حسبته حاسي
لا يوحشنيك ما استسمعت من سلمي	فان منزله من احسن الناس
من قطع اوصاله توصيل مهلكتي	ووصل الحافظة لتطبيع اناسي
متى اميش بتأمصيل الرجا اذا	ما كان نطع رجائي في بدى ياسي

قال الجرجاني : " لم يُجَل بيت من هذه الابيات من معنى بديع وصنعة لطيفة : طابق ، وجانس واستعار ، ناحس . وهي معدودة في المختار من غزله ، وحق لها : فقد جمعت على نصرها ننونا من الحسن واصنانا من البديع . ثم نبيها من الاحكام والمتانة والقوة ما تراه . ولكنني ما اظنت نجد له من سورة الطرب وارتياح النفس ما تجده لنول بعض الاعراب :

الول لصاحبي والعبس تهوى	بنا بين النبله والفقار
نمتع من شميم حرار نجد	لما بعد العشيته من حرار
الا يا هذا نلحات نجد	وربا روضه غب الفطار
وهيشك اذ يحل الفوم نجد	وانت على زمانك غير زار
شهور ينفذين وما شعرنا	بانصاف لهن ولا سرار
نأما ليلهن لخير ليل	وانصر ما يكون من النهار

مهور كما تراه بعيد عن الصنعة ، نارغ الالفاظ ، سهل المأخذ ، ترب التناول " ثم يقول " وكانت العرب انما تناضل بين الشعراء : بنسب المعنى ، وصحة اللفظ وجزالته واستقامته وتسلم السبق فيه لمن وصف لاصاب ، وشبه فنارب ، ووده ناغزر ، ولحن كثر سوا برامثاله ، وشوارد ابياته . ولم تكن تعباً بالتجنيس والمطابقة ، ولا تحل بالابداع والاستعارة اذا حصل لها عمود الشعر ونظام القريض . . . (١) . . .

(٣) موقف الفناد من رسالة الادب

يقول البيهقي : " قيل ليس احد من الناصر آكل للصحف ، وانطق بالكذب ، ولا اوضح ولا اطمع ولا اقل نفسا ، ولا ادنى همة من شاعر . ولذلك قال ابو سعد المخزومي :

الكلب والشاعر في حالة	يا ليت اني لم اكن شاعرا
هل هو الا باسط كفه	يستظعم الوارد والصادرا (٢)

(١) الوساطة ٣٣-٣٩ (٢) المحاسن والمساوي ٦١

ومن طرف الانتادات التي ترينا مكانة الشاعر في تلك الايام ما علق به العسكري على بيت كثير:

وان امير المؤمنين برنقه
غزا كائنات الود مني فغالها

قال ابو هلال : " نجعل امير المؤمنين يتودد اليه " واخذ على هذا الشاعر قوله في عهد

المعز بن مروان :

وما زالت رثاك تسيل خفسي
وتخرج من مكانها ضبابي

ويريني لك الرانون حتى
اجابة حبة تحت التراب

لان الشاعر احط من ان يكثر ملك في تطيب خاطره واستجلاب وده : " وانما تمدح الملوك بمثل

قول الشاعر :

لهم هم لا تنتهي لكبارها
وهمة الصغرى اجل من الدهر

له راحة لو ان معشار جودها
على البركان البراندى من البحر (١)

والحقيقة ان الذي يمعن الشاعر في روح الشعر العربي على وجه الاجمال لا يرى لاكثر الشعراء

نفوسا ربيعة تضع نصب عينيها رسالة عالية . وقد استغرقت المدائح والاحاجي نسما كبيرا من

انتاج نفوس الشعراء كالفردق وجبر والاحطل وشار وابي تمام والبحترى وقد هجا

بعض الشعراء ابا تمام فسكت عنه ولما سئل في ذلك قال : ما لي نص عن مدح من اجتديها

وقال المدح عندهم : ماجورا . يدفع اليه الطمع وحب التوجه والتقرب من

الامراء ، فكان موقف الشاعر يتبدل حال ^{يشد}مدوحه ، وفي ابن خلكان ان البحترى كان كثيرا المهبط

لمدوحه اذا ما لبت الدنيا عنهم ، واسه كان يخلل مدبده من رجل الى اخر ويبدل الاسم (٢)

وقد راينا ان من خصائص المدرسة " الواقعية " شيوع الاباحية وتحكم اخلاعة واهمال المثل

الاخلاقية : غلاميات ، وخمرات ، وزندقة يوصف لعل الامرا الانس وهذه المدرسة ولا

رب كانت المدرسة الشعرية الانوى من حيث كثرة ادبائها ونفوذ كلمة زعمائها . واذا سعدنا

بالذاكرة الى العهد الجاهلي ، فاننا لانفوز من شعرائها بكل ما تطمح اليه اليوم من ادبائنا
 في ميدان الاصلاح وذلك ما دعى الباقلائي الى اعتبار الرسالة العالمية السامية التي جاء بها
 القرآن دليلا على اعجازه ، على حين كان الشاعر * انما يقصد الى الامور البعيدة عن الوهم
 والاسباب التي لا يحتاج اليها ، فيكثر فيها من شعر ورجز . ونجد من يعينه على نقله على ما
 قدمنا ذكره من وصف الابل ونتاجها . وكثير من امرها لانائفة في الاشتغال به في دين ولا في
 دنيا . ثم كانوا يتفاخرون باللسن والذلافة والعصاحة والدرابة ، ويتنازعون فيه وتجري بينهم ليه
 الاسباب المنقولة في الآثار على ما لا يخفى على اهل . فاستدلنا بتحيرهم في امر القرآن على
 خروجه عن عادة كلامهم ، ووقعه موقعا يخرق العادات . وهذه سبيل المعجزات (١) .

وقد ورد في الخوارزمي بكذب الشعراء فقال : " لو كان الورق اغرب من السخا
 والظلم اغلى من الماء ، في وسط الدنيا ، والثل من الغنم في المغرب العتاة ، واعوز من الكمال
 في النساء . ومن الصدق في الشعراء : لما كان لي عذر في ترك مكاتبة النفيه (٢) . وعلى
 اعترافه ببراعة ابي الطيب واعجابه بشاعريته (٣) ، فانه انتقد عليه قلة ونائه ، وايتاره الطمع على المحبة
 " وانه كان لو راى الطمع في حجر فارة لدخله فالتاس كما استحسنوا قوله استنبجوا نعله ،
 وكما هجوا شعره تعجبوا من غدره . يشكروم يشكو ، ويمدح ثم يهجو ، ويشهد ثم يجرح شهادته
 ويعطي ثم يسترجع عطيته . . . (٤) .

وكان المعري عقيق الالم من دناءة الشعراء وسلوط اخلاقهم ، ويزيده الما انه
 كان يعتقد ان الدناءة والانحطاط هما امران لا يد منهما لائفة مكان الشاعرية في النفس .
 ولا ريب ان هذا الاعتقاد نتيجة لتلازم الشعر وسوء الخلق في ازمان طويلة ، حتى اصبح من
 الصعب على رجل كالمعري ان يفرق بينهما . قال المعري بعد ان نبه الى انه آخذ بنفسه
 بالصدق والاصلاح في شعره : " واضيف الى ما سلف من الاعتذار ان من سلك في هذا الاسلوب

(١) اعجاز القرآن : ٣٥-٣٦ (٢) رسائل الخوارزمي : ٤٧ (٣) كتاب الاعجاز والايجاز ٢١٥ ورسائل

الخوارزمي ١٩٨ ، ١٨٤ حيث يستشهد بشعره (٤) رسائل الخوارزمي ٦-٧

ضعف ما ينطق به من النظام لانه يستوحى الصادقة ويطلب من الكلام الهرة . ولذلك ضعف كثير من شعراية بن ابي الصلت الثقفى ومن اخذ بفريه من اهل الاسلام . وروى عن الاصمعي كلام معناه ان الشعر باب من ابواب الباطل فاذا اريد به غير وجهه ضعف (١) .

على ان العسكري قد تنبه الى الراى الصحيح فى هذا الموضوع . فبعد ان قرر

انحطاط رسالة الشعر فى الواقع " لان اكثره قد بني على الكذب والاستحالة من الصفات

المتنعة والنعوت الخارجة من العادات والالفاظ الكاذبة " يعود لبيان ان هذا النقص مارض

على الشعراء وليس اصلا فيهم . قال " واما النقص الذى يلحق الشعر من الجهات التى

ذكرناها ، وليس بوجوب الرغبة عنه والزهادة فيه . واستثناء الله عز وجل من امر الشعراء (٢) .

يدل على ان المذموم من الشعر انما هو المعدول عن جهة الحواب الى الخطاء ، والمصرف

عن جهة الاصاف والعدل الى الظلم والجور ، واذا ارتفعت هذه الصفات ارتفع الذم . ولو

كان الذم لازما له لكونه شعرا لما جازان ينزل عنه على حال من الاحوال والذى نصر

بالشعر كثرته وتعاطى كل احد له حتى العامة والسفلة ، فلحقه من النفس ما لحق العود

والشطر نوح حين تعاطاهما كل احد (٣) .

ولكن هذا النقص الاخلاقى يقتصر تأثيره على الادب من الوجهة الاجتماعية . واما

من الناحية الفنية الخالصة ، فبامكاننا ان نقول ان بين الادباء فى القرن الرابع ما يشبه -

الاجماع على الفصل بين الفن والرسالة . قال العسكري : " ليس يراد من الشعر الاحسن

اللفظ وجودة المعنى ، وهذا ما صوغ استعمال الكذب " . ويفرق هذا الناقده بين مهمة الشاعر

الفنية ، وبين مهمة النبي الذى يراد منه تشييل الحقائق والعناية بالمفائل : " نهل لبعض

الفلاسفة : لان يكذب فى شعره . فقال : يراد من الشاعر حسن الكلام ، والصدق يراد من

(١) لزوم ما لا يلزم ٣١-٣٢ (٢) يشير العسكري هنا الى الاستثناء الذى ورد فى الاية : " والشعراء

يتبعهم الفارون . الم تر انهم فى كل واد يهيمون ، وانهم يقولون ما لا يفعلون . الا الذين

امنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيرا وانتصروا من بعد ما ظلموا ، وسيعلم الذين ظلموا اى

منقلب ينقلبون " راجع اخر سورة الشعراء (٣) الصناعتين ١٠٤

من الانبياء . (١) .

وند عجب الجرجاني من ينتشر ابا الطيب ويغمر من شعره لايات وجدها تدل على

ضعف العقيدة ونسأه المذهب كقولہ :

يترشفن من نبي رشقات
هن نبيه احلى من التوحيد (٢)

قال القاضي الجرجاني : " نلوكانت الديانة عارا على الشعراء ، وكان سوء الاعتقاد سببا لتأخر الشاعر ، لوجب ان يحكى اسم ابي نواس من الدواوين ، ويحذف ذكره اذا عدت الطبقات وكان اولاهم بذلت اهل الجاهلية ومن تشهد الامة عليه بالكفر ، ولوجب ان يكون كعب بن زهير وابن الزبير واسراهما من تناول رسول الله صلى الله عليه وسلم وعاب من اصحابه بساء خرسا وثقا فحسين ، ولكن الامر متباينان . والديس بمنزل عن الشعر (٣) .

ويديهي ان القاضي لم يحس المشكلة حلا عاليا ، ولكنه نقلنا الى مشكلة مشابهة لها عند ابي نواس وغيره ، واطلعنا على نافع من الشعر تقرأ العزيزة وشهد الذوق بتقونها وهي وليدة التهمة والكفر . فكان دليله الذوق لا المنطق . ولكنه ابا عن رايه في هذا الموضع وهو ان له دلالة ، ويجب ان نذكر كما يقول الدكتور زكي مبارك * ان صاحب هذه الفكرة هو * ناصي النفاة * وسيد الثناء في البرى وجرجان : لشعره الى ^{الى} حد كانت الثروة الفنية مسيطرة على مناعه هذا القاضي الاديب (٤) .

(١) الصناعتين ١٠٣ (٢) نذكر بهذه المناسبة ما اوردناه من حلقات في كلامه عن ابي حيان " التوحيد " ، والتوحيدى ، يقع التاء المثناة من تونها وسكون الواو وكسر الحاء المهمة وسكون الباء المثناة من تحتها ويحذفها دال مهمة . ولم ار احدا من وضع كتب الانساب تعرض الى هذه النسب ، لا السمعاني ولا غيره . ولكن يقال ان ابا كان يبيع " التوحيد " ببغداد وهو نوع من " النمر " بالعراق . وعليه حمل بعض من شرح ديوان المتنبى قوله
يترشفن من نبي رشقات
هن نبيه احلى من التوحيد

وقد رد المصولي على الذين ينسبون الكفر لابي تمام . وقدّم ذلك بقوله : " وقد
ادمى عليه — ل على ابي تمام — ثم الكفر ، بل حذوه ، وجعلوا ذلك سببا للطعن على شعره
وتقييد حسنه ، وما ظننت ان كثيرا ينتقد من شعره ، ولا ايمانا يزيد فيه ^(١) " ثم اضاف : " وكذلك
ماض هو لا الاربعة الذين اجمع العلماء على انهم اشعر الناس : امرأ اللير والتابغة
الذي ياني وزهيرا والاعشى كفرهم في شعرهم ، وانما " فرهم في انفسهم " . ولا راينا جويرا
والفرزدق يتقدمان الاخطل عندنا من تقدمهما عليه ، بايمانهما وكبره . راجعا تقدمهما بالشعر
وقد قدم الاخطل عليهما خلق من العلماء . وهو لا الثلاثة طينة واحدة ، وللمناس في
تقديمهم اراه ^(٢) .

وقاب النعالي على المتنبي البيت الذي ذكره الجرباني : لانه يوضح عن ضعف
العقيدة ورقة الدين ، ولان للدين حقه من الاجلال الذي لا يسوغ الاحلال به نولا ونعلا ونظما
ونثرا ، ومن استهان بامره فدبا " بفضب من الله تعالى . ولكنه يرى رأى المصولي من ان رنة
الدين امر شخصي وان " الديانة ليست عيارا على الشعراء " . ولا سوء الاعتقاد سببا لتأخر
الشاعر ^(٣) . كما ان النعالي قد ميز في كلامه من اساعر ابن الحجاج بين غاية الادب
وغاية الاخلاق فقال : " ولولا ان جند الادب جند ، وهزله مثل : كما قال ابراهيم بن
المهدي لصنت كتابي هذا من كثير من كلام من يمد يد المجون فيعرف بها اذن الحزم ويفتح
جرب السخف يصفح بها قفى العفل ، ولكنه على علاته تنفكه الفضلاء بشعار شعره ، وتستلج
الكبراء بينات طبعه وتستخف الادباء ارواح نظمه ، ويحتمل المحتشمون فطرته ولذعه ، ومنهم
من يخلو في السيل الى ما يصحك ويحت من نواذره . وقد مدح ^(٤) الملوك والامراء والوزراء
والبرهماء فلم يخل فعيدة فيهم من سفاح هزله وتناقل حشيه . وهو عندهم مقبول الجملة

(١) اخبار ابي تمام ١٧٢ (٢) اخبار ابي تمام : ١٧٤ (٣) بتيمة الكهر ١١٦ (٤) اي

عالي مهر الكلام ، موبر الحظ من الاكرام والانعام ، مجاب الى مقترحه من الصلات الجسام ،
والاعمال المجدة التي يفتلب منها الى خير حال (١) .

وانا كان لابد للاديب من غابة فيما يكتب فانها الغاية الفنية ، التي ترمي الى
الترفيه عن النفوس واستحضار المرح والسرور لها ، شان بقية الفنون الجميلة (٢) . قال ندامة
: " وما يزيد في حسن الشعر ويمكن له حلاوة في الصدر . . . الا يجعله الشاعر كله جذا
فيستغل ، اذا كانت النفوس ربما ملئت الحق واستثقلت ، واحتاجت الى ان تهترى نشاطها وتبلى
جمامها بشي " ، والا يجعل شعره كله هزلا فيكسد عند ذوى العنول ، ولكن يخلط جدا بهزل
ويستعمل كلا في موضعه وعند اهله ومن ينفذ عنده . ومن عرف هذا المعنى في الشعر واخذ
فيه واربى فيما اتى منه على من تقدمه : ابونواس (٣) . . .

اما ما خلا هذه الغاية الفنية ، فلا يتلذذ الاديب بشي " ، لان المعاني كلها معرضة
للشاعر كما يقول صاحب نقد الشعر وله ان يتكلم منها في ما احب واثر . . . وعلى الشاعر ان لا
اذا شئ في ان معنى كان من الرنعة والغمم ، والرفق والزخامة ، واليدج والقناعة ، والمدح
غير ذلك من المعاني الحميدة او الذميمة : ان يتوخى البلوغ من التجويد في ذلك الى الغاية
المطلوبة (٤) " ثم يقول وانما ندمت هذا المعنى لما وجدت نوما يعيرون الشعر اذا سلك
الشاعر فيه هذا المسلك فاني رايت من يعيب امرا ليس في قوله :

لملك حيلي قد طرفت وموضع

نالميتها عن ذى تمام محول

اذا ما بكى من خلفها انصرفت له

بشق وتحتى شئها لم محول

ويذكر ان هذا معنى فاحش ، وليس لحاشة المعنى في نفسه ما يزيل جودة الشعر فيه ، كمالا
لا يعيب جودة التجارة في الخشب مثلا رداة في ذاته " نقد الشعر ١٤ - ١٥ مع بعض التصرف

اللفظي

(١) بنية الدهر ٢ : ٢١١ (٢) الصاحب ٢١٠ (٣) نقد الشعر ٨٠ (٤) نقد الشعر ١٤

وكذلك فيما يتعلق بالصدق والكذب والفائدة ، فهي أمور لاصلة لها بالخير الأدبي
 قال الأمدى : " والشاعر لا يطالب بأن يكون قوله صدقا ، ولا أن يوقعه موضع الانتفاع به ، لأنه
 قد يقصد إلى أن يوقعه موضع الضرر وفيبت الخلتان الأخريان واجبتي في شعر كل
 شاعر : أن يحسن ناليه ، ولا يزيد فيه شيئا على قدر حاجته ، نصحة التأليف في الشعر
 × وفي كل صناعة هي أقوى دعائه بعد صحة المعنى (١) .

من أنهم ربما وجدوا أن من البراعة في الأدب : " أن يصور الأديب الباطل
 في صورة الحق ، والحق في صورة الباطل ، كما يقول ابن عبد ربه ، وذلك بلفظ معناه ورقة
 فطنته ، فيفتح الحسن الذي لا أحسن منه ، ويحسن القبيح الذي لا أقيس منه (٢) .
 ويعمل العسكرون ما يعتدونه التناد من أن الشاعر في التلطف لقلب الحليفة بقوله

" وهذا امر صحيح ، لا يخفى موضع الصواب فيه على أحد من أهل التمييز والتحصيل .
 وذلك أن الأمر الصحيح ينادى على نفسه بالصحة ، ولا يحس إلى التلك لصحته . وإنما
 الشأن " في تحسين ما ليس بحسن ، وتصحيح ما ليس بصحيح ، بضرب من الاحتيال ونوع
 من العمل ، لا يخفى موضع الانارة ويحسم موضع التفسير " ثم يقول - وكلامه على جانب من
 الأهمية : " وما أكثر ما يحتاج الكاتب إلى هذا الجنس ، عند اعتدائه من هزيمة ، وحاجته
 إلى تغيير رسم ، أو رفع منزلة دني له فيه هوى ، أو حط منزلة شريف استحق ذلك منه . إلى
 غير ذلك منه " ومثل على ذلك يقول عبد الملك بن صالح بدم المشورة ، وهي مدوحة بكل
 لسان : " ما استشرت أحدا إلا تكبر عليّ وتصاغر لي ، ودخلته العزة ودخلتني الذلة .
 فعليك بالاستبداد فإن صاحبه جليل في العيون ، مهيب في الصدور ، ~~وإذا التفت~~
 إلى العنول حصرت العيون ، وتضعف شأنك ، ورجعت بك أركانك ، واستحرت الصغير ، واستخف

بك الكبير . وما عر سلطان لم ينفه عقله عن عقول وزرائه ، وارا' نصحاك * قال العسكري :
" فالحتمكن من نفسه يضع لسانه حيث يريد .

وظاهران ليس في كلام عبد الملك هذا ما يدل على انه يخالف اختبار الشخص
ولا نخال انه يرمي في هذا الكلام الى العبث بالحقيقة التي يراها الناس في المشورة ، ولكنه
يعبر عن رأى شخصي بحسه ويعتقده ، وثبتت على اجادته واصابته في تناول المشورة من
ناحيته المضرة .

على ان العسكري انما ينظر بوجه الاجمال ، الى الاديب من ناحية انتاجه
الموضوعي الذي يستطيع ان ينفذ فيه من واقع الحال ليؤدي مهمة ~~للملك~~ الداهية المرن
او الحكيم اللبق الذي يتناول الناحية الملائمة من الامور وجسمها ويحسن عرضها لتطلى على
النواحي الاخرى . فالعسكري يتناول هنا قضية الصدق والكذب من ناحيتها الفنية . وليس
للادب الموضوعي بد من الاخذ بهذا الرأى ، واهربا بالمثال الذي اوردته العسكري ان يوضع
في نصّة على لسان ملك مستبد كالاستنذر الكبير حال اعراضه عن نصائح استاذة ارسطو
او نابليون في خلافته مع الاديب شاتوبريان .

.....

.....

.....

....

..

قائمة المصادر

المادة من هذه القائمة ان يتردد القارئ المؤلفات التي رجعت اليها
مع اسماء اصحابها • وسنين وبلانهم • ومكان الطبع وزمانه

اسم الكتاب	اسم المؤلف	سنة وفاة المؤلف	مكان الطبع وزمانه
ساعات الشجرة	لمحمد بن سلام الجمحي	٢٢٢ هـ	لندن ١٩١٢
اميان والتبيين	لمعرو بن بحر الجاحظ	٢٤٥ هـ	طبعة السندوبي مصر ١٩٣٢
المعجم والشجرة	لابن تميم الدهنوري	٢٧٦ هـ	مصر ١٣٣٢ هـ
كتاب البديع	لمبدالله بن المعز	٢٩٦ هـ	لبنفسراد ١٩٣٥
تاريخ العرب والملوك	لمحمد بن جرير الطبري	٣١٠ هـ	لندن ١٨٧٩
الحاجس والمساوي	لابراهيم بن محمد البيهقي	٣٢٠ هـ	ليبسك ١٩٠٢
المنند	لاحمد بن عبد ربه	٣٢٧ هـ	مصر • بولاق • ١٢٩٣ هـ
احبار ابي تمام	لابي بكر محمد بن يحيى الصولي	٣٣٥ هـ	مصر ١٩٣٧
ساعات الادراك	لابي بكر محمد بن يحيى الصولي	٣٣٥ هـ	مصر ١٩٣٤
نقد الشعر	المنسوب الى لداه بن جعفر	٣٣٧ هـ	مصر ١٩٣٥
نقد الشعر	المنسوب الى لداه بن جعفر	٣٣٧ هـ	مصر ١٩٣٣
مروج الذهب وماسد الجواهر	للمسعودي	٣٤٦ هـ	باريس ١٨٧٢
ديوان ابي الطيب المتنبي	للمتنبي • شرح اليازجي	٣٥٤ هـ	بيروت ١٨٨٢
كتاب الامالي وبله • الذيل	لابي علي القتالي	٣٥٦ هـ	مصر ١٩٢٦
- والنوادر	لابي علي القتالي	٣٥٦ هـ	مصر ١٩٢٦

اسم الكتاب	اسم المؤلف	سنة وفاة المؤلف	مكان الطبع وزمانه
كتاب الافاني	لابي الفلاح الاصمعياني	٣٥٦ هـ	مصر : طبعة دار الكتب ١٩٢٧ و١٩٢٨ هـ
الموازنة بين ابي تمام والبحتري	لابي الفاسم الحسن بن بشير الآطى	٣٧١ هـ	بيروت ١٣٢٢ هـ
الموتلد والمختلف في اسما الشعراء وكناهم . . . وشعرهم	لابي الفاسم الحسن بن بشير الآطى	٣٧١ هـ	مصر ١٣٥٤ هـ
الفهرست	لابن التميم	٣٧٨ هـ	لبيسك ١٨٧١
رسائل الخوارزمي	لابي بكر الخوارزمي	٣٨٢ هـ	١ ١٢٧٩ هـ
معجم الشعراء	لمحمد بن عمران النرزياني	٣٨٤ هـ	مصر ١٣٥٤ هـ
الموشح	-	٣٨٤ هـ	مصر ١٣٤٣ هـ
الكشف عن مساوي شعر العتبي	للماحب بن عباد	٣٨٥ هـ	مصر ١٣٤٩ هـ
الرمالة الحاتمة لبطاوان العتبي في شعره كلام ارسطو في الحكمة	لابي علي الحاتمي	٣٨٨ هـ	بيروت ١٩٣١ م
كتاب الماحبي	لاحمد بن فارس	٣٩٠ هـ	مصر ١٩١٠ م
ذم الخطاء في الشعر	-	٣٩٠ هـ	مصر ١٣٤٩ هـ
الخصائص	لابي الفتح عثمان بن جني	٣٩٢ هـ	٢ ٢
المناعتين . الثابتة والشعر	لابي هارل الحسن بن سهل المسكري	٣٩٥ هـ	آستانه ١٣١٩ هـ

اسم الكتاب	اسم المؤلف	سنة وفاته	مكان النسخ وزمانه
رسائل بديع الزمان	بديع الزمان البهرازي	٣٩٨ هـ	بيروت ١٨٩٠ م
اعجاز القرآن	للفناني ابي بكر البلالاني	٤٠٣ هـ	مصر ١٣١٥ هـ
تجارب الامم	لاي علي الخازن . مسكويه	٤٢١ هـ	مصر ؟
خاص الخاص	لاي منصور الثعالبي	٤٢٩ هـ	مصر ١٨٠٩ م
النهاية في الترميز والكتابة	=	٤٢٩ هـ	مكة ١٣٠١ هـ
التنزيل والحاضرة	لاي منصور الثعالبي	٤٢٩ هـ	مخطوطة ارفق من المكتبة الاحمدية بحلب بونم (١١٦٠)
الاعجاز والابجاز	لاي منصور الثعالبي	٤٢٩ هـ	مصر ١٨٩٧ م
نوار اللؤلؤ في الخاف والمنسوب	لاي منصور الثعالبي	٤٢٩ هـ	مصر ١٩٠٨
نظم الفخر وحل المند	لاي منصور الثعالبي	٤٢٩ هـ	مصر ١٣١٧
ينبغة الدهر	للفناني	٤٢٩ هـ	دمشق ١٣٠٤ هـ
تحفة الامراء في تاريخ السوزاء	للحسن بن ابراهيم الصافي	٤٤٨ هـ	بيروت ١٩٠٤ م
رسالة المفران	لاي الملا المصري	٤٤٩ هـ	مصر ١٩٢٣ م
عبث الوليد	لاي الملا المصري	٤٤٩ هـ	دمشق ١٩٣٦ م
زهر الاداب	لاي اصحاى الحموي	٤٥٣ هـ	مصر ١٩٢٩ م
تاريخ بغداد او مدينة السلام	{ لاي بكر احمد : الخطيب البغدادي }	٤٦٣ هـ	؟ ١٩٣١ م
ذيل تجارب الامم	للويزر ابي شجاع	٤٨٨ هـ	مصر ١٩١٦ م

اسم الكتاب	اسم المؤلف	سنة وفاته	مكان الطبع وزمانه
معجم الادباء	ليانسوت الرومي	٦٢٦ هـ	طبعة هرجوليت : مصر
الكامل في التاريخ	لمزالدين بن الاثير	٦٣٠ هـ	لندن ١٨٦٦
وفيات الاعيان	لابن خلكان	٦٨١ هـ	مصر ١٢٧٥ هـ
تاريخ اداب اللغة العربية	لجورجي زيدان	١٩١٥ م	مصر ١٩٣٠
حديث الاربعاء	الدكتور طه حسين		مصر ١٩٢٥
تاريخ الفلسفة في الاسلام	De Boer	ترجمة : عبد الهادي أبو ريده	مصر ١٩٣٨
امراء الشعر العربي في العصر عباسي	للاستاذ انيس القدسي		بيروت ١٩٣٦
الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجري	Adam Mez	ترجمة : عبد الهادي أبو ريده	مصر ١٩٤٠
تاريخ الادب العربي	للاستاذ احمد حسن الزيات		مصر : الطبعة الثانية
نقد الشعر	للاستاذ نسيب عازار		بيروت ١٩٣٩
القرن الثاني في القرن الرابع	للدكتور زكي مبارك		مصر ١٩٣٤
ضحى الاسلام	للاستاذ احمد امين		مصر : الطبعة الثانية
تاريخ النقد الادبي عند العرب	للاستاذ طه احمد ابراهيم		مصر ١٩٣٧
" حضارة الاسلام في دار السلام "	للاستاذ جميل نخلة العنبر		مصر : ١٩٣٢

فهرس الرســــالة

المقدمة

الباب الاول : الجو الادبي في القرن الرابع :

- ١- المملكة الاسلامية قبل القرن الرابع
- ٢- المملكة الاسلامية في القرن الرابع
- ٣- اثر اكابر الامراء في الادب
- ٤- التجديد الادبي : المدرسة الخالصة
- المدرسة الوانصة

الباب الثاني • سمر النقد الادبي قبل القرن الرابع :

- ١- النقد في الجاهلية
- ٢- النقد في العهد الاسلامي
- ٣- المصنفات النقدية في القرن الثالث الهجري :
- طبقات الشعراء لابن سلام
- البيان والتبيين للجاحظ
- الشعر والشعراء لابن تيمية
- كتاب الديدع لابن المعتز

الباب الثالث : مناهج النقاد في القرن الرابع :

- ١- أساليب النقد
- ٢- التحقيق في نسبة كتابي نقد الشعرونقد النثر
الى قدامة بن جعفر الكاتب
- ٣- نزاهة النقاد
- ٤- مهمة النائد
- ٥- آلة النافذ

الباب الرابع : الصناعة اللفظية

- ١- جمال الالفاظ
- ٢- صحة العبارة
- ٣- حسن التأليف
- ٤- المفاضلة بين الالفاظ والمعاني

الباب الخامس : الصناعة المعنوية :

- ١- اصابة المعاني
- ٢- مراعاة المعاني التقليدية
- ٣- اخذ المعاني

الباب السادس: موقف النقاد من حركة التجديد :

- ١- انصار القديم وانصار الجديد
- ٢- رحي البيئة
- ٣- صلة الادب بالعلم والفلسفة
- ٤- موقف النقاد من الصناعة الحديثة
- ١- طغيان موجة البديع
- ب- انصار الشعر المصنوع
- ج- انصار الشعر المطبوع
- ٥- موقف النقاد من اباحية الادباء، ورسالة الادب .

.....

نائمة المصادر

.....

.....

.....

..